

دكتور
سيد عبد الستار ميهوب

القرآن والنبوة

عند

القاضي عبد الجبار

٣٢٠هـ : ٤١٥هـ

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع



دكتور

سيد عبد الستار ميهوب

القرآنُ والنبـوّة

عند

القاضي عبد الجبار

٣٢٠هـ :٤١٥هـ

دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع

الكتاب :القرآن والنبوة عند القاضي عبد الجبار

المؤلف : د. سيد عبد الستار ميهوب

الطبعة الثانية٢٠٠٣

رقم الإيداع :٣١٦٧/٢/١٩٩٦

الناشر:دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً (١) قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً (٢)﴾

قرآن كريم: سورة الكهف: الآيتان رقم ١، ٢

إلى الأستاذ الدكتور/ أحمد محمود صبحي

أستاذاً جليلاً... وعلماً من أعلام فكرنا الفلسفي المعاصر.

المقدمـــة

قام الإسلام على دعامتين أساسيتين : هما شهادة أن لا إلـــه إلا الله وإن محمداً رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،وهذا معناه الإقرار بأمرين لا ينفك أحدهما عن الآخر : شهادة أن الله تعالى رب وإلـــه ، وأن محمـــداً –عليـــه الصلاة والسلام – نبي ورسول.

ومما يعتقده المسلم أن الله تعالى عالم ،وعلمه تعالى له صفـــة الكمـــال، ومتضمن معرفة مصلحة العباد ،وهذا يتبعه إرسال الرسل –عليهم السـلام – تترى،وأخرهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام،ولما كان الأمر كذلك،فلابـــد من أن يحمل محمد – عليه الصلاة والسلام – خطاب الله تعالى إلى البشرية ،ممثلاً في القرآن الكريم،والذي ضم بين دفتيه العقيدة والشريعة والأخلاق .

وبتلقي النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – القرآن الكريم فهو رســـول ،وكل رسول نبي ،للضرورة القياسية والأدلة السمعية .

وقد مثّل القرآن الكريم لدى المسلمين – ولم يزل – قيمة لا تماثلها قيمـــة أخرى على كل الصعد : فالقرآن الكريم مصدر لتفهم المســـلمين الجوانـــب الاعتقادية ،وهو – بنفس القدر – مصدر لتلقي المسلمين المعارف الشـــرعية ،مما جعله – تبعاً لذلك – يتعرض للتحديات التي ما إنْ تنتهي منها حلقـــة إلا وتبدأ حلقة أخرى .ورغم كل ما قابله القرآن الكريم من تحديات بقي شـــاهداً على نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – من خلال مقدمات كثـــيرة ،لعـــل أولها ،أنه كتاب معجز ،كان ولم يزل.

وإذا كان هذا هو الحال مع القرآن الكريم ،فلم يكن الأمـــر مـــع النبـــي والنبوة أقل مما كان مع القرآن الكريم :تحدياً ورفضاً !! ،مما دفعنا للبحـــث في الموضوعين معاً :القرآن والنبوة .

لكل ما تقدم ،فقد قمنا بدراسة عن القرآن الكريم والنبوة في فكر قـاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ،على اعتبـار أنـه يمثـل الحركـة العقلانية في عالمنا الإسلامي ،ذلك الفكر الذي يؤكد نضجه تماسكه المذهبي ووحدته المنهجية ،مما أهّله لأن يكون فكراً أكثر انضباطاً من كل الأفكـار التي عاصرته ،التي يمثل بعضها الإيمانية التسليمية ،ويمثل الآخر الشـكلية الجدلية ،التي كثيراً ما تلجأ إلى "الماضي" لتفهم ما هو " حاضر " وتضمـن ما هو " مستقبل " !!! مما يعني توقف كل هذه الأشكال الفكرية عن " الفعلي" المقنع المثمر،على غير الحال مع فكر المعتزلة الذي أسس لنفسه مرجعيـة عقلية – شرعية ،يكاد طرفاها:العقل والشرع لا ينفك أحدهما عن الآخر .

و قد قمنا بتقسيم البحث إلى بابين :اشتمل الباب الأول على البحث فـي القرآن الكريم ،وذلك من خلال فصلين ،كل فصل اشتمل على أربعة مباحث ،واشتمل الباب الثاني على البحث في النبوة ،وذلك – أيضاً – مـن خـلال فصلين ،كل فصل اشتمل على مبحثين .

أما الباب الأول فقد دار الفصل الأول منه حـول " المفـاهيم القرآنيـة" كالتعريف بالقرآن الكريم ،ونزوله ،مع الإشارة إلى كون هذا النزول منجمـاً والبحث في السبب وراء ذلك ،وتعريفه ،وانتهى هذا الفصل بعقد مقارنة بين القرآن الذي نزل بمكة المكرمة ،والذي نزل بالمدينة المنورة ،فيما يعـرف بـ "علم المكي والمدني" .

أما الفصل الثاني فقد دار حول نظرية القاضي عبد الجبار فـي القـرآن الكريم ،كتاباً ومعجزة ،فتكلم هذا الفصل عـن مشـكلة الصفـات كمدخـل ضروري للكلام عن صفة الكلام الإلهي ،الذي يعد – بدوره – مدخلاً للكلام في القرآن الكريم ،وهذا مما دفعنا للبحث في إشكالية خلق القرآن بأبعادهـا كلها ،وليس من خلال بعد واحد فقط ،وانتهي هذا الفصل بالبحث في إعجاز

القرآن ،وهذا البحث أخذ النصيب الأكبر من هذا الفصل ،نظراً لأنه يعد أمراً ضرورياً لإثبات صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،مما يمهد للكلام في النبوة ،التي هي مدار بحث الباب الثاني .

والباب الثاني يدور حول نظرية النبوة – بوجه عام – حيث جاء الفصل الأول من هذا الباب ليعرض – بموضوعية – آراء من تكلموا في النبوة ،قبولاً ورفضاً ،وذلك في المبحث الأول ،أما المبحث الثاني فقد دار حول الردود على منكري النبوة بوجه عام ،ونبوة نبينا بوجه خاص ،مما نعتبره أمراً متناسقاً مع الفكر الاعتزالي عامة ،وفكر القاضي عبد الجبار خاصة .

والفصل الثاني تناول البحث في مفهوم النبوة والنبي عند القاضي عبد الجبار ،فقد بيّن ضرورة النبوة كمدخل للعدل الإلهي المتمثل في فعل الصلاح للمكلفين واللطف بهم ،وذلك في مبحثه الأول ،أما المبحث الثاني فتناول بالدراسة البحث في النبي : من حيث وسائل الاتصال بين الله تعالى والأنبياء ،والتفرقة بين النبي والرسول ،والبحث في صفات النبي ، ودلائله ،ورأينا كيف تناول القاضي عبد الجبار هذه المسائل بمنهج عقلاني ،خاصة حين يتكلم عن المعجزة والكرامة ، مما جعلنا نبحث عن مفعول "الكرامة" في " التواكل " الذي نراه يعم كثيراً من مظاهر حياتنا المعاصرة .

وقد أردنا ببحثنا هذا تقديم محاولة متواضعة لبيان قدر الجهد الاعتزالي لإظهار قيمة الإسلام ممثلة في معجزته الكبرى وحاملها : القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم ،وكل ما نرجوه أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا ليكون ذخراً لنا عند الله تعالى .

هذا ... والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .-

دكتور/ سيد عبد الستار ميهوب

١٩٩٦

الباب الأول

بين يدي القرآن الكريم

الفصل الأول

مفاهيم حول القرآن الكريم

- المبحث الأول:التعريف بالقرآن الكريم
- المبحث الثاني:نزول القرآن الكريم
- المبحث الثالث:تدوين القرآن الكريم
- المبحث الرابع:القرآن المكي والقرآن المدني

نحن المسلمين نؤمن إيماناً لا شك فيه ، أن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى المنزل على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بطريق جبريل عليه السلام،والأدلة على ذلك جد كثيرة وحاسمة،منها قوله تعالى " نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل"(١) .

وهذا الإيمان الراسخ لا يهتز لدعاوى هنا وهناك ، كما أن الرد عليها يكون في غير هذا الموضع ، إذ هدفنا الأهم هو دراسة القرآن الكريم من خلال منظور المعتزلة بوجه عام ، والقاضي عبد الجبار بوجه خاص ، لبيان قدر القرآن الكريم عند القاضي عبد الجبار ، الذي عكف ، ومدرسته ،على فهم القرآن الكريم ، وتدبر معانيه ، وبيان مقاصده البعيدة ، وإظهار أوجه الإعجاز فيه ، إيماناً منه بأن القرآن الكريم لم يتنزل لقوم دون قوم ، ولا لزمان دون زمان ، ولا لمكان دون مكان . وقد تواترت نصوص كثيرة لبيان هذا الأمر ، منها ما ورد في القرآن الكريم ، ومنها ما ورد في السنة النبوية المطهرة :

فأما ما ورد في القرآن الكريم ، فقوله تعالى " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا "(٢) ، وقوله تعالى " تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً "(٣) .

وأما ما ورد في السنة النبوية المطهرة ، فقول الرسول صلى الله عليه وسلم " كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة "(٤) .

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم ٣

(٢) سورة الأعراف: آية رقم ١٥٨

(٣) سورة الفرقان: آية رقم ١

(٤) في الصحيحين من حديث " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي " . أنظر : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان . تحقيق . محمد السعيد بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ط١ ج٢ ص١٧٧ .

❀❀❀

إن الإنسان خُلق مزوداً بملكات فطرية ،وعقلية مكتسبة ،تقوده – إلى .
كبير– إلى جانب الصواب والصلاح ،لكن الله تعالى أرسل رسله الواحد ب
الآخر دعماً للجانب الخيّر في الإنسان ،ودفعاً لهذا الإنسان نحو مزيد مـ
الصواب والصلاح ،حتى لا يكون لأحد من بني الإنسان حجـــة علـــى
تعالى ،مصداقاً لقوله تعالى "رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علـ
الله حجة بعد الرسل "(١) .

وبطبيعة الحال ،فإن البشرية لم يكتمل نضجها الفكري وتطورها العقلـ
دفعةً واحدةً ،وهذا ما كان وراء تتابع الأنبياء والمرسلين ،فلما بلغت البشر
تطوراً قيمياً ونضجاً فكرياً يؤهلانها للخطاب السماوي الشامل ،بعث الله نـ
محمداً عليه الصلاة والسلام ،ليكتمل به الدين ،وتختم بـــه سلســلة الأنبيـ
والرسل،وذلك مصداقٌ لقوله صلى الله عليه وسلم "مثلي ومثل الأنبياء مـ
قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية،فجعـ
الناس يطوفون به ويعجبون منه ، ويقولون : لولا هذه اللبنة ، فأنـــا اللبنـ
وأنا خاتم النبيين "(٢) ، وهذا الحديث الشريف يعضده قول الله تعالى مؤكـ
على انتهاء اتصال السماء بالأرض بطريق الوحي والأنبياء " ما كان محمـ
أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكـــان الله بكـــل شـ
عليماً "(٣) ،وبذلك يصبح القرآن الكريم – من ثَمّ – رسالة الله تعالى الأخير

---

(١) سورة النساء: آية رقم ١٦٥

(٢) متفق عليه . انظر . أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان . تحقيق.محمد السـ
البسيوني زغلول . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ط١ ج٢ ص١٧٨

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم ٤٠

إلى النـــــاس جميعاً ، مما جعله كتاباً وافياً بكل ما تحتاجه البشرية فـــي مسيرتها نحـــو الكمال المنتهي بيوم القيامة .

ولم يكن القرآن الكريم نسيج وحده في خطابه الإيماني إلـــي النـــاس ، لقوله تعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ومـــا وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ،أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كـــبُر على المشركين ما تدعوهم إليه ،الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليـــه مـــن ينيب "(١) ، مما يبين لنا اتحاد الشرائع الســـماوية فـــي كليـــات الاعتقـــاد ، لواحدية المصدر ... وهو الله تعالى .

إن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى المنزّل على نبيه محمد صلـــى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، وقد نُقل إلينا متواتراً قطعيّ الثّبوت ، مكتوباً فـــي المصاحف ،صحيحاً غير محرّف ولا مبدّل ، من أول سورة " الفاتحـــة " ، إلى نهاية سورة " الناس " ، مما جعله ليس كتاب عقائد فقط ، بل هو كتـــاب تشريعات أيضاً ، فاتخذه المسلمون حجةً لهم في عقائدهم وعباداتهم ، وفـــي أحكامهم ومعاملاتهم ، وفي آدابهم وأخلاقهم ، وفي علومـــهم ومعارفـــهم ، ومن ثم نجد القرآن الكريم وقد اعتنت بـــه الأمـــة ســـلفها وخلفـــها ســـواءً بسواء(٢).

وعن القرآن الكريم صدرت علوم الأمة ،ربما بدون استثناء ،لكـــن مـــا يهمنا هو ما صدر عنه وله علاقة مباشرة به ،مثل علم القـــراءات ،وعلـــم التجويد ،وعلم الناسخ والمنسوخ ،وعلم النسخ العثماني ،وعلم التفسير ،وعلم غريب القرآن ، وعلم إعجاز القرآن ، وعلم إعراب القـــرآن(٣) ، فيـــما

---

(١) سورة الشورى : آية رقم ١٣

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن.مطبعة الحلبي.القاهرة.ج١ ص٣

(٣) المرجع السابق:ج١ ص٤ ،ولمزيد حول هذه العلوم انظر .في علم القراءات .عبد الفتاح =

عرف بـــ(علوم القرآن) ،أو العلوم الأصول، أو العلوم الأمهات.

- القاضي:الكافي ، ابن الجزري :النشر في القراءات العشر،ابن مجاهد:القراءات السبعة،وفـــي علــم التجويد .انظر . القمحاوي :البرهان في تجويد القرآن، د. محمد سالم محيسن:مرشد المريد إلى علـــم التجويد ،عن وزارة الأوقاف المصرية : دروس في علم التجويد ،وفي علم النسخ العثمـــاني .انظـــر. الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، السيوطي :الإتقان في علوم القرآن ، د. محمد محمد أبو شهبة :المدخل لدراسة القرآن الكريم ، الذهبــي : التفسير والمفسرون ، وفي علم التفسير . انظر . الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ابن كثير : تفســير القرآن العظيم ، البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الزمخشري :الكشّاف ، الطبري : تفســير الطبري ، عبد الكريم الخطيب:التفسير القرآني للقرآن ، طنطاوي جوهري : الجواهر في تفسير القرآن الكريم ،وفي علم الناسخ والمنسوخ .انظر.أبو محمد المكي : الإيضاح في الناســخ والمنســوخ ،ابــن الجوزي : الناسخ والمنسوخ ،علي خليل : منكرات في علوم القرآن ،د.مصطفى زيـــد : النســخ فـــي القرآن ،هبة الله ابن سلامة : الناسخ والمنسوخ ،د.محمد بسيوني فودة : المرشد الوافي في علوم القرآن ،وفي علم غريب القرآن .انظر .أبو بكر السجستاني : غريب القرآن ،أبو محمد المكي : العمـــدة فـــي غريب القرآن حسنين مخلوف : معاني القرآن الكريم ،وفي علم إعجاز القـــرآن .انظـــر .البـــاقلاني : إعجاز القرآن ،الرافعي : إعجاز القرآن ،وفي علم إعراب القرآن .انظر .الأنباري : إعراب القـــرآن ، العكبري : التبيان في إعراب القرآن .وهذه العلوم تجعل لكل صاحب علم الحق في أن " يعمـــد إلـــي القرآن الكريم فيأخذ منه ما يشاء ويقتبس منه ما يريد ،و يرجع إليه فيما أحب من تشريع ،أو اعتقـــاد ،أو أخلاق ،أو إصلاح اجتماعي " .انظر .أمين الخولي : دائرة المعارف الإسلامية .مطبعة الشـــعب . القاهرة .مادة "تفسير" مج٩ ص٤٠٩،٤٣٩



المبحث الأول : التعريف بالقرآن الكريم:

لفظ القرآن في اللغة ، مصدر يماثل القراءة ، تأسيساً على قول الله تعالى "إن علينا جمعه وقرءانه ، فإذا قرأناه فأتبع قرءانه "(١) ، ثم نقل القرآن الكريم من هذا المعنى المصدري وصار اسماً للكلام الإلهي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وحياً من الله تعالى عن طريق جبريل عليه السلام(٢) . ومن تعريفات القرآن الكريم ، أنه سُمي "الفرقان" لأنه كلام به نفرق بين الحق والباطل ، وربما كان اسم "الفرقان" قد أطلق على القرآن الكريم لأن بعضه مفروق عن بعض سواء في زمنية التنزيل أو في ترتيب السور والآيات ، وذلك لقوله تعالى "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً "(٣) .ويمكن القول بأن هذين الاسمين "القرآن ، و الفرقان " هما أشهر أسماء كتاب الله تعالى ،بل يمكن أن نرجع إلى هذين الاسمين جميع أسماء الكتاب العزيز ، يليهما في ذلك أسماء : الكتاب ،والذكر ، والتنزيل ، كما هو الحال عند مدارس المتكلمين ، حين أرجعوا صفات الله تعالى إلى صفات

---

(١) سورة القيامة : الآيتان رقم :١٧، ١٨

(٢) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .وبهامشه إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني .مطبعة الحلبي .القاهرة .ط٣ ج١ ص٥٠ وما بعدها،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان .ج١ ص٧ ،مناع القطان : مباحث في علوم القرآن .مكتبة المعارف.الرياض ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ط١ ص١٥ ،د. محمد ابراهيم الحفناوي :دراسات في القرآن الكريم .دار الحديث .القاهرة. ص١٢ ،د. محمد محمد أبو شهبة :المدخل لدراسة القرآن الكريم . دار اللواء .الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ط٣ ص١٩ ،عبد الكريم الخطيب :من قضايا القرآن الكريم .دار الفكر العربي . القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص١ ،هذا ونجد السيوطي وقد عدد للقرآن الكريم أكثر من خمسين اسماً ،لكننا نجد – في الوقت نفسه– أن اسم "الكتاب" و"القرآن" من الأسماء التي تعد بمثابة الأعلام.

(٣) سورة الفرقان : آية رقم ١

الكمال والجلال والجمال(١).

وإذا كانت أسماء القرآن الكريم كثيرة ،فيجب التفرقة بين ما هو اسم وما هو وصف للقرآن الكريم ،ففي قوله تعالى "بل هو قرآن مجيد ،في لوح محفوظ "(٢) ، نجد لفظ " قرآن " اسماً ،بينما نجد لفظ "مجيد " صفة ،وكذلك في قوله تعالى "وهذا ذكر مبارك أنزلناه ،أفأنتم له منكرون "(٣) ،نجد لفظ "ذكر " اسماً ،بينما نجد لفظ "مبارك " صفة.

ومن تعريفات القرآن أنه سُمي "قرآناً "،من ضم الشيء بعضه إلى بعض حيث إنه " قرأ الكتاب قِراءة وقُرْءاناً بالضم . وقرأ الشيء قُرْءاناً بالضم أيضاً،جمعه وضمه،ومنه سُمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها.وقوله تعالى"إن علينا جمعه،وقرءانه "(٤)أي قراءته"(٥)،وأيضاً" قرأه يقرَؤه – بفتح الراء – ويقرُؤه – بضم الراء – قرْءاً وقِراءة وقرآناً،فهو مقروء،ويسمى كلام الله الذي أنزله على نبيه ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام كتاباً وقُرْآناً وفرقاناً،ومعنى القُرآن معنى الجمع،وسُمي قُرْآناً لأنه يجمع السور فيضمها،وقوله تعالى"إن علينا جمعه وقرآنه"(٦)،أي جمعه وقراءته،"فإذا قرأناه فاتبع قُرانه"(٧)،أي قراءته.قال ابن عباس رضي الله عنهما:فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك،وقرأت الشي قُرْآناً:جمعته وضممت بعضه إلى بعض.ومعنى قرأت القرآن:لفظت به مجموعاً أي ألقيته"(٨).

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان .ج١ ص٨

(٢) سورة البروج : الآيتان رقم ٢١،٢٢

(٣) سورة الأنبياء : آية رقم ٥٠

(٤) سورة القيامة :الآيتان ١٧

(٥) محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح .دار الكتاب العربي .بيروت ١٩٦٧ ص٥٢٦

(٦) سورة القيامة : آية رقم ١٧

(٧) سورة القيامة :آية رقم ١٨

(٨) ابن منظور : لسان العرب . تقديم عبد الله العلايلي .دار الجيل . بيروت ١٩٨٨م . ج٥ =

وبوجه عام ، فإنه بالإمكان حصر تعريفات القرآن الكريم في خمسة أقوال هي :

أولاً:لفظ القرآن – مقروناً بألف ولام – غير مهموز ولا مشتق ، وما يجب أن يقال فيه : هو اسم وضع علماً على الكلام المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك نجد في " تاريخ بغداد" ترجمة للإمام الشافعي،نفهم منها نسبة هذا الرأي أو القول إليه ،حيث يقول الشافعي "القرآن اسم و ليس بمهموز ،و لم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قُرِيء قرآناً ،ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل"(١) ،ونجد -أيضاً- هذا الرأي للإمام الشافعي أكثر ايضاحاً ،حيث إنه كان يقول "القران اسم،وليس بمهموز ،و لم يؤخذ من قرأت ،ولكنه اسم لكتاب الله ،مثل التوراة والإنجيل ،ويَهمز قرأت ولا يَهمز القران ،كما تقول إذا قرأتُ القران .قال :وقال إسماعيل:قرأت على شبل، وأخبر شبل أنه قرا على عبد الله بن كثير،وأخبر عبد الله أنه قرأ على مجاهد ،وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس رضي الله عنهما ،وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبيّ ،وقرأ أبيّ على النبي صلى الله عليه وسلم .وقال أبو بكر بن مجاهد المقريء :كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن .والأصل في اللفظ الجمع ،وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وسُمي القرآن لأنه جمع القصص ، والأمر والنهي ؛

- ص ٤٢، الزرقاني : مناهل العرفان . ج١ ص٧ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي :دراسات في القرآن الكريم . ص١٣ ، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص ١٥ ، عبد الكريم الخطيب : من قضايا القرآن الكريم .ص ١،د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص١٧ ، ١٨

(١) الحافظ أبو بكر أحمد عبد اللطيف البغدادي :تاريخ بغداد .المكتبة السلفية .المدينة المنورة.ج٢ ص٥٦ ،الموسوعة العربية.إشراف محمد شفيق غربال .دار نهضة لبنان للطبع والنشر . بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م ج٢ ص١٣٧٣، ١٣٧٤،الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله "الحاكم النيسابوري" : المستدرك على الصحيحين في الحديث . بذيله تلخيص المستدرك للذهبي. دار الفكر .بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ج٢ ص٢٣٠

الوعد والوعيد،والآيات والسور ،بعضها إلى بعض ،وهو مصدر كـالغفران والكفران"(١) .

ثانياً: لفظ القرآن جاء مشتقاً من قرن الشيء بالشيء ، أو قـرن الشـيء بعضه إلى بعض ، ثم أصبح هذا اللفظ علماً على الكتاب المقـدّس المـنزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما سمى كذلك لأنه يجمع أو يقرن أو يضم السور والآيات والحروف بعضها إلى بعـض ، فـالقرآن "مشـتق مـن قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، فسمي بذلـك لقـران السـور والآيات والحروف فيه ، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قران"(٢).

ثالثاً: لفظ القرآن إنما جاء كذلك لمعنى " القرائن" ، فهو – إذن – مشـتق من " القرينة والقرائن " أي الدليل المصدق أو البرهان ، لأن القرآن يصـدق بعضه بعضاً ، ثم أصبح هذا اللفظ علماً على الكتاب المنزل علـى محمـد صلى الله عليه وسلم ، حيث إن " القران بغير همز مأخوذ من " القرائـن" ، لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً ، ويشابه بعضها بعضاً ،.فهي حينئـذ قرائن"(٣) ، وعلى هذا ، فالقرآن "غير مهموز ونونه أصلية"(٤) .

رابعاً: لفظ القرآن ، جاء مهموزاً ، وعلى وزن "فعلان" ، وأيضـاً جـاء مشتقاً من " القرء" ،أي الجمع ، بمعنى أن القول " قرأت الماء في الحوض " يفيد جمع الماء في الحوض ، وكذلك سُمي الكلام المنزل على النبي صلى

---

(١) ابن منظور : لسان العرب . ج٥ ص ٤٢

(٢) محمد بهادر الزركشي :البرهان في علوم القرآن . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . مطبعة الحلبي . القاهرة ١٣٩١ هـ/١٩٧٢م ط٢ ج١ ص ٢٧٨، د. محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم .ص ١٨ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص ١٤

(٣) الزركشي : البرهان في علوم القرآن . ج١ ص ٢٧٤

(٤) د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريـم . ص ١٨ ، د. محمـد ابراهيـم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص ١٤

الله عليه وسلم " قرآناً "لأنه " جمع السور أو جمع ثمرات الكتب السابقة"(١).

خامساً: لفظ القرآن هو مصدر ، ومهموز ، وعلى وزن " الغفران"(٢)،ولسنا نريد الإطالة في جزئية التعريف بالقرآن الكريم ، لأن كتب " علوم القرآن" و" المعاجم" فيها هذا المبحث مبسوط بشكل واسع ، وأكثر الدراسات ترى أن التحليل الثقافي والمعرفي يميل إلى تأكيد أن لفظ " القرآن" مشتق من القراءة ، بمعنى الترديد ، لأن تلقّي القرآن الكريم كان بالمشافهة ولم يكن للتدوين أو الكتابة دور في تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم من جبريل عليه السلام ، علاوة على أن أول آية في القرآن الكريم كانت " اقرأ " ، كما أننا نجد عطف "القرآن" على "الجمع" في قوله تعالى " إن علينا جمعه وقرءانه"(٣) ، يؤكد التغاير بما نفسهم منه أن "القرآن " ليس بمعنى " الجمع " ، كما أن قوله تعالى " ورتل القرآن ترتيلاً"(٤) ، يؤكد أن القرآن الكريم مصدر من "قرأ" بمعنى القراءة الذي هو الترديد والترتيل .

القرآن الكريم في الاصطلاح : علماء الكلام ، و علماء الأصول ، والفقهاء ، واللغويون ، كل هؤلاء كانت لهم اهتماماتهم بالقرآن الكريم ، فسعى كل فريق منهم لتعريفه و بيان ماهيته ، و نحن ، مع علمنا بوجود

---

(١) الزركشي : البرهان في علوم القرآن . ج١ ص ٢٧٨ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص ١٥ ، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص ١٧

(٢) د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص ١٥ ، د. محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص ١٧ ، وفي تفصيل التعريف بالقرآن الكريم . انظر. جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . " في معرفة أسمائه" . ج١ ص٥٠ :٥٢

(٣) سورة القيامة : آية رقم ١٧

(٤) سورة المزمل : آية رقم ٤

اختلافات بين هؤلاء جميعاً ، إلا أننا – في الوقت نفسه – نجد اتفاقاً لا يختلف حوله مسلمان ، وهو قول الجميع " إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، و إن البشر عاجزون كلياً عن أن يأتوا بمثله "(١) ، وذلك مصداق لقوله تعالى " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً "(٢) .

هذا ... وقد انصرف كل فريق في اهتمامه بالقرآن الكريم الوجهة التي يُعنى بها علمه واختصاصه : فعلماء الكلام وجهتهم واختصاصهم يدور حول محاور عقائدية ، فنرى اهتمامهم يدور حول الكلام في صفات الله تعالى وبيان حقيقة القرآن الكريم،فمنهم من قال "القرآن كلام الله غير مخلوق "(٣)،ومنهم من قال " القرآن كلام الله تعالى ووحيه ، وهو مخلوق محدث ، أنزله الله على نبيه ليكون علماً دالاً على نبوته ، وجعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال والحرام "(٤). وذلك كله – من جانبهم – بحث يدور حول الكلام النفسي (٥) وما يتعلق به .

وعلماء اللغة، وعلماء الأصول،والفقهاء ،فإما أن ينصرف اهتمامهم إلى

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني:مناهل العرفان في علوم القرآن.ج١ ص٨ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي:دراسات القرآن الكريم .ص١٥ ،مناع القطان :مباحث في علوم القرآن .ص١٤

(٢) سورة الإسراء : آية رقم ٨٨

(٣) أبو الحسن الأشعري:الإبانة عن أصول الديانة.تحقيق د. فوقية حسين محمود.دار الكتاب .القاهرة ١٩٧٩م ط١ ص ٢١، ابن قيم الجوزية : اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية . دار المعرفة . ص٦٦،٩١، ابن قيم الجوزية : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . اختصره : محمد بن الموصلي . مكتبة الرياض الحديثة . الرياض . ج١ مواضع مختلفة.

(٤) القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي :شرح الأصول الخمسة .تعليق :الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم .تحقيق :د. عبد الكريم عثمان .مكتبة وهبة .القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ط١ ص٥٢٨ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل.ج٧ "خلق القرآن".تقويم:ابراهيم الإبياري.إشراف:د. طه حسين.الشركة العربية للطباعة والنشر.القاهرة ١٩٦١م مواضع مختلفة.

(٥) الكلام النفسي إما أن يكون مصدرياً،وإما أن يكون حاصلاً بالمصدر،فالأول هو تحضير –

الاستدلال على الأحكام ، وهؤلاء هـم الأصوليـون والفقـهاء ، وإمـا أن ينصرف اهتمامهم إلى بيان أوجه إعجاز القرآن الكريـم ، ومـن هـؤلاء علماء اللغة ، ولذلك فقد أطلقوا على القرآن الكريم " الكلام اللفظـي " ذلـك لأن الاستدلال على الأحكام – من ناحية – وبيان أوجه الإعجـاز – مـن ناحية أخرى – من الأمور التي تتعلق بالألفاظ ، ورغم هـذا كلـه ، فـإن هناك تعريفاً اصطلاحياً للقرآن الكريم يشترك فيه كل من المتكلمين ، مـن ناحية ، والفقهاء والأصوليين واللغويين ، من ناحية أخرى ، حيث أوجبـوا جميعاً الإيمان بكتب الله تعالى المنزلة ، ومنها القرآن الكريم ،وإثبات نبـوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن الكريم .

إننا نجد الأصوليين والفقهاء واللغويين ، وهم يتكلمون عن " الكتـاب " و " القرآن" فيطلقون اللفظ على كل القـرآن الكريـم ، أو علـى كـل جـزء منه(1)،فمن الأصوليين من عرف القرآن الكريم بقوله " الكتاب لغـةً يطلـق على كل كتابة ومكتوب ، ثم غلب إطلاقه في عرف أهل الشرع علـى "

=الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز إلى الجوارح ،فيتكلم بكلمات متخيلـة يرتبها في الذهن ،والثاني هو الكلمات النفسية والألفاظ الذهنية المرتبة ترتيبا ذهنيا منطقيا عليه الترتيب الخارجي ،والكلام البشري اللفظي بالمعنى المصدري هو تحريك اللسان من قبل الإنسان ،وما يساعده في إخراج الحروف من مخارجها،والكلام اللفظي بالمعنى الحاصل بالمصدر هو تلك الكلمات المنطوقة. أنظر في ذلك:شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني :بيان المختصر شرح مختصر ابن رجب،تحقيق :د. محمد مظهر بقا .مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي . جامعة أم القرى ،مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ط١ ج١ ص٤٥٧ ،د. محمد ابراهيم الحفناوي :دراسـات في القرآن الكريم .ص١٦،١٧ ،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٩

(1) يمكن إطلاق لفظ " كتاب " أو " قرآن " على القرآن الكريم ، فأما لفظ " كتاب " فلأن القـرآن الكريم مكتوب بالأقلام ، وأما لفظ " قرآن " فلأنه مقروء ومتلو بالألسنة ، مما دفع البعض إلى القـول بوجوبية الاعتناء بالقرآن الكريم على مستويين : على السطور ، وفي الصدور . انظـر . د. محمـد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص ١٩ ، مناع القطان : مباحث في علوم القـرآن . ص١٨

القرآن " ، وهو اصطلاحاً الكلام المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً"(١) ،وهذا التعريف عندما يقاس على الحدود المنطقية نجد أنه بذكر " المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف " قد استبعد كل الكتب والأحاديث القدسية والأحاديث النبوية ، لكونها – أي الكتب ماعدا القرآن الكريم – لم تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكونها – أي الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية – لم تكتب في المصاحف ، ولما ذكر هذا التعريف " المنقول إلينا نقلاً متواتراً ، فقد استبعد كل ما نقل إلينا غير متواتر ، مثل القراءات الشاذة (٢)،

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني :ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.بهامشه شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي الشافعي.دار الفكر .بيروت .ص٢٩ ،وفي ذلك أيضا يقول الجرجاني " القرآن هو المنزل على الرسول ،المكتوب في المصاحف ،المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة، والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها " انظر . علي بن محمد الجرجاني :التعريفات. ضبط .محمد عبد الحكيم القاضي .دار الكتاب المصري .القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م ط١ ص١٨٨ ،ويمكننا القول بأن تسمية القرآن الكريم "كتابا" قد جاءت أول مرة في سورة "ص" في الآية رقم ٢٩ في قوله تعالى "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب " ولهذا الأمر معنيان :الأول:أن القرآن الكريم هو أول شيء كتبه العرب وفق طرق خاصة ومعايير خاصة ولوظائف خاصة ،كل هذه الأشياء تجعله – بكل المقاييس – غير ما كتبه العرب ، سواء في طرق كتابته ،أو معاييره ،أو وظائفه .الثاني :أن القرآن الكريم باعتباره " كتابا " قد أعطي العرب حق الوجود – بكل معانيه – أمام اليهود والنصارى، فقد كان العرب "أميين " أمام هؤلاء " أهل الكتاب " ، وكانوا يتمتعون باحترام العرب لأنهم " أهل كتاب " ،أما العرب فهم " مشركون " و "عبدة أصنام " أو " عبدة أوثان " ،ولم يكتف القرآن الكريم بأنه رفع قدر المنتسبين إليه،بل إنه أشار إلى أنه " الكتاب " كي يحد من غلواء التعالي عند "أهل الكتاب" ،ثم هو " كتاب عربي " و " بلسان عربي " ، لمعرفة الفارق – وهو فارق جد هام – بينه وبين أهل الكتاب السابقين ولسانهم ،من ناحية ، والعرب المستلمين ، من ناحية ثانية .انظر في ذلك .د. نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص .دراسة في علوم القرآن .المركز الثقافي العربي ١٩٩٠م ط١ ص٥٢ وما بعدها.

(٢) مثل قراءة "ابن مسعود" لقوله تعالى في سورة المائدة .الآية رقم١٩ "فصيام ثلاثة أيام " ثم زاد "متتابعات" .

أو الأحادية(١).

ومن الأصوليين من عرّف القرآن الكريم بقوله "هو اللفظ العربي المنزّل للتدبر والتذكر،المتواتر"(٢)، وهذا التعريف لما ذكر " اللفظ " وهو جنس تحته أنواع هي الكتب السماوية وغير السماوية ، وبإضافة " العربي " إلى " اللفظ " فقد استبعد التعريف كل ما هو غير عربي ، سواء كان كتباً سماوية أو غير سماوية ، فلم يُبق إلا على ما هو عربي ، لكنه لما ذكر " المنزّل "فقد استبعد كل ما هو غير منزّل من الكتب العربية ،ولما ذكر "للتدبر والتذكر "،فقد زاد العلاقة بالقرآن وضوحاً ،مع التسليم بأن هذين اللفظين ليسا من لزوميات التعريف(٣)،ولما ذكر "المتواتر" فقد استبعد كل ما ليس متواتراً ،مثل القراءات الشاذة والأحادية(٤)، ومثل الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية من باب أولى.

و من الأصوليين من عرّف القرآن الكريم بقوله "هو الكلام المنزّل للإعجاز بسورة منه "(٥)، وهذا التعريف لما ذكر "المنزّل" فقد استبعد كل كلام ليس منزّلاً ،ولما ذكر "للإعجاز"(٦) فقد استبعد كل كلام منزّل لكنه لم

---

(١) مثل قراءة "ابن مسعود" لقوله تعالى في سورة الرحمن.الآية رقم ٧٦ "وعباقري حسان "بالجمع بدلاً من "عبقري حسان ".

(٢) الشوكاني :ارشاد الفحول .ص٢٩

(٣) التدبر هو وقوع فهم القارئ أو المستمع لظاهر القرآن الكريم وقوعاً حسناً تبعاً للمعاني المتأولة بشرط أن يكون تأويلها صحيحاً ،والتذكر أن يتحول قصص القرآن الكريم وأمثاله في وجدان القارئ أو المستمع إلى موعظة حسنة يتبعها – لزوماً – سلوك ايماني نحو الله تعالى متمثلاً ذلك في فعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

(٤) ذهب البعض إلى اعتبار من صلى بقراءة شاذة أو أحادية ،كانت صلاته غير صحيحة.

(٥) الشوكاني :ارشاد الفحول .ص٢٩

(٦) الإعجاز هو كون القرآن الكريم فوق طاقة البشر على كل الصعد : البلاغية واللغوية والعلمية ،وغيرها.

يتنزل للإعجاز ،مثل الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم ،وكذلك السّنة ،فكلاهما ليسا للإعجاز.

ومن الأصوليين من عرف القرآن الكريم بقوله " هو الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه "(١) ،وهذا التعريف لما ذكر " المنزل " فقد استبعد الكلام النفسي والكلام البشري سواءً بسواء ؛ ولما ذكر " للإعجاز " فقد استبعد كل خبر جاء من السماء ولم يكن على سبيل الإعجاز، ولذلك فهو يستبعد الكتب السماوية التي لم تتنزل لأقوامها على سبيل الإعجاز ، كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور،ولما ذكر " بسورة منه " فقد استبعد كل الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم ، والتي لو افترضنا – جدلاً – أنها للإعجاز ، فالإعجاز – هنا – لم يكن بسورة منها .

ومن الأصوليين من عرّف القرآن الكريم بقوله "هو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المكتوب في دفات المصاحف ، المنقول إلينا على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً"(٢) ،ومن تعريفات القرآن الكريم ما يماثل التعريف السابق ، حيث قالوا في تعريفه اصطلاحاً " هو الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه "(٣)،وواضح أن هذا التعريف يقصد كل القرآن الكريم،وإن ذكر "بسورة منه " ،ولو كانت أقصر سورة،كسورة " الكوثر"(٤) .

---

(١) علي عبد الكافي السبكي : الإبهاج في شرح المنهاج . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ط١ ج١ ص١٩٠

(٢) ابو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي : أصول السرخسي . تحقيق .أبو الوفا الأفغاني . دار المعرفة . بيروت . ج١ ص ٢٧٩،٢٨٠

(٣) شمس الدين الأصفهاني : المختصر شرح مختصر ابن رجب . ج١ ص٤٥٧

(٤) في هذه الجزئية ذهب الفقهاء إلى القول بأن ما دون الآية لا يعد معجزاً ، وكذلك الآية القصيرة ، ولهذا تعد صلاة الفرد بقراءة أقل من ثلاث آيات قصار ، أو آية طويلة ، صلاةً باطلة ، لأن المعجز السورة ، وأقصر السور ثلاث آيات ، وهي سورة الكوثر . انظر. السبكي : الإبهاج . ج١ ص٢٧٩ ، ٢٨٠

ويمكن بيان موقف الأصوليين من خلال هذه التعريفات ، حيث انقسموا ثلاثة أقسام : قسم توسع في التعريف الاصطلاحي ، وقسم توسط في هذا التعريف ، وقسم اختصر فيه .

القسم الأول : الذين توسعوا في تعريف القرآن الكريم اصطلاحياً ، قالوا في تعريفهم للقرآن الكريم " هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته"(١) ، وواضح أن أصحاب هذا التعريف من الأصوليين أرادوا جمع الخصائص الكبرى أو العظمى التي يختص ويمتاز بها القرآن الكريم ، وهي: الإعجاز ، والتنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم ، والكتابة في المصاحف ، والنقل المتواتر ، والتعبد بالتلاوة (٢) .

القسم الثاني: الذين توسطوا في تعريف القرآن الكريم اصطلاحياً ، لهم ثلاثة آراء : رأي يقول بضرورة الاقتصار على مجرد الإتيان بوصف واحد للقرآن الكريم ، وهو أن القرآن الكريم معجز ، وحجتهم في ذلك أن الإعجاز هو الوصف الذاتي للقرآن الكريم ، حيث لم يوصف كتاب سماوي قبله بهذه الصفة ، وبالتالي اعتبر القرآن الكريم الآية الكبرى على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، والشاهد العدل الحقيقي على أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث من قبل الله تعالى .

ورأي ثان يقول بضرورة ذكر وصفين للقرآن الكريم لا وصف واحد ، وهذان الوصفان هما : الإنزال ، والإعجاز ، وحجتهم في ذلك أن غير هذين الوصفين لا يعد من الصفات اللازمة للقرآن الكريم ، بدليل أن القرآن الكريم قد تحقق فعلاً بهما دون سواهما في عهد النبوة .

---

(١) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص١٧

(٢) د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص ٩٩:١٢٢

ورأي ثالث يقول بضرورة أن يكون وصف القرآن الكريم قاصراً على كونه منقولاً في المصاحف بالتواتر ، وحجتهم في ذلك أن الكتابة المتواترة في المصاحف كافية للتعريف بالقرآن الكريم وتمييزه عن جميع ما عداه .

القسم الثالث : الذين اختصروا في تعريف القرآن اصطلاحياً ،لهم رأيان: رأي يقول بضرورة الاقتصار على ذكر الإنزال ،والكتابة في المصاحف بالتواتر ،وحجتهم في ذلك أن المقصود هو تعريف القرآن الكريم لمن لم يدركه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ،وهذه الأوصاف – في رأي هؤلاء – كافية لتعريف القرآن الكريم لمن لم يدركه في عهد النبوة ،هذا غير الإعجاز ،فهو لا يعد وصفاً لما هو أقل من سورة من سور القرآن الكريم .

ورأي ثان يقول بضرورة ذكر الإنزال والنقل بالتواتر ،والتعبد بالتلاوة كأوصاف ضرورية للقرآن الكريم ،وحجتهم في ذلك أن هذا الوصف يناسب اختصاص وغرض علماء الأصول(١) .

---

(١) الزركشي :البرهان في علوم القرآن .ج١ ص٢٦٤ ،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص١٣، ١٤ ،مناع القطان :مباحث في علوم القرآن .ص١٧ ،د. محمد محمد أبو شهبة :المدخل لدراسة القرآن الكريم .ص٢٠

المبحث الثاني : نزول القرآن الكريم:

إن العلم بنزول القرآن الكريم يعد مهماً ، حيث يعتبر مدخلاً للإيمان بالقرآن الكريم نفسه ، وبأنه كلام الله تعالى ، وبأنه وحي منه تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبأنه يضم بين دفتيه من العقائد والتشريعات ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وتتفق مصادر البحث في "علوم القرآن" على أن لفظ "الإنزال " إنما يقصد به الإعلام :الإعلام بواسطة إثبات الألفاظ والحروف الدالة عليه ، والإعلام بنزول حامله به إلى السماء الدنيا ، ثم على النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وللقرآن الكريم وجودات ثلاثة ، أو تنزّلات ثلاثة :

<u>**الأول:**</u> في اللوح المحفوظ ، وذلك لقوله تعالى " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ "(٢) ، وهذا الوجود الأول نعلم من ظاهر الآية الكريمة أن كيفيته ووقته من الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، شأنه في ذلك شأن كثير من السمعيات التي يعتقد بها المسلم ، كدليل على صحة إيمانه وكمال هذا الإيمان ، فهو غير مطالب بالبحث في حقيقة هذا اللوح المحفوظ ، وعلى أي حال يكون ، وكيف تدون فيه الحوادث ، كل هذه الأمور من

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان . ج١ ص٣٤،٣٥،د.محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم .ص٤٦،٤٧

(٢) سورة البروج : الآيتان رقم ٢١ ، ٢٢ ، وفي تفسير هاتين الآيتين الكريمتين .انظر .الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن . وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . لنظام الدين بن الحسين بن محمد بن حسين القمي النيسابوري . دار المعرفة . بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م مج١٢ ج٣٠ ص٨٩،٩٠،تفسير غرائب القرآن ، بهامش تفسير الطبري . مج١٢ ج٣٠ ص٦٣،٦٤

الغيبيات الاعتقادية التي يطالب المسلم بالإيمان بها لا البحث فيها(١) .

واللوح المحفوظ الذي وُجد فيه القرآن الكريم قبل نزوله إلى السماء الدنيا ، هو الكتاب المكنون الذي ذُكر في قوله تعالى " إنه لقرآن كريم ،في كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهّرون ، تنزيل من رب العالمين "(٢) ،وهو ذلك "السجل "العام الذي كتب الله تعالى فيه كل ما كان وما هو كائن وما سيكون ،فهو يُعد شاهداً على عظمة الله تعالى ،وكمال علمه ،وتمام إرادته وقدرته ،ولعل في هذا ما نعرف به الحكمة من تنزّل القرآن الكريم إلى اللوح المحفوظ .

<u>الثاني:</u> ولفظ النزول يبدأ إطلاقه بدايةً من الوجود الثاني ،ثم الوجود الثالث ،لأن الوجود الأول لم يقترن به لفظ الوجود(٣) ، وهذا الوجود أو النزول الثاني للقرآن الكريم كان من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ، وكان نزول القرآن الكريم هنا دفعة واحدة (٥) ، ذلك لأن القرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقاً وليس في ليلة واحدة ،وكان هذا النزول المتفرق قد استمر طيلة سنين

---

(١) د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص ٤٧ ،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٣٦ ،د.محمد ابراهيم الحفناوي :دراسات في القرآن الكريم .ص٤٧٣

(٢) سورة الواقعة : الآيات رقم ٧٧:٨٠

(٣) د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص ٤٧

(٤) هناك قولان في مسألة نزول القرآن الكريم إلى سماء الدنيا : هل كان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، أم كان قبل البعثة ، والأصح هو القول الأول . انظر . جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . وبهامشه إعجاز القرآن . لأبي بكر الباقلاني . مطبعة الحلبي . القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ط٣ ج١ ص٤١

(٥) المرجع السابق : ج١ ص ٣٩ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في علوم القرآن . ص ٤٧٤، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص ٥٣، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص ١٠١

حياته صلى الله عليه وسلم ، فلابد – إذن – أن يكون نزول القرآن الكريم إلى سماء الدنيا غير نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، أي يكون جملة واحدة ، وفي ليلة واحدة : هي ليلة القدر ، لقوله تعالى " إنا أنزلناه في ليلة القدر "(١) ، وهي ليلة مباركة ، لقوله تعالى " حم ، والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منزلين "(٢) ، وهي في شهر رمضان ، لقوله تعالى " شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن "(٣) .

وهناك روايات قاطعة تفيد أن القرآن الكريم نزل إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً ، منها :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال " فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا،فجعل جبريل يتنزل به على النبي صلى الله عليه وسلم " (٤) .

وعن ابن عباس – أيضاً – قال " أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزّله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض " (٥) .

وإذا كان القرآن قد نزل جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، فذلك"تفخيم لأمره وأمر من نزل عليه،وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزّلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم"(٦) ،و" في نزول

---

(١) سورة القدر : آية رقم ١

(٢) سورة الدخان : الآيات رقم ١:٣

(٣) سورة البقرة : آية رقم ١٨٥

(٤) الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله . المعروف بـ " الحاكم النيسابوري " : المستدرك على الصحيحين في الحديث . بذيله تلخيص المستدرك للذهبي . دار الفكر. بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ج٢ ص٢٢٢

(٥) المصدر السابق : نفس الموضع

(٦) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص ٤٠، ٤١

القرآن جملةً واحدةً تكريم لبني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة ،وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم "(١).

الثالث: وكان النزول الثالث على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ،بطريق جبريل عليه السلام ،لقوله تعالى "وإنه لتنزيل رب العالمين ،نزل به الروح الأمين ،على قلبك لتكون من المنذرين ،بلسان عربي مبين "(٢)، وقوله تعالى " قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين "(٣) ،والمقصود بقوله تعالى "روح القدس" هو جبريل عليه السلام ،وهو أمين الوحي ،وهو الرسول الكريم الذي جاء ذكره في قوله تعالى " فلا أقسم بما تبصرون ،وما لا تبصرون ،إنه لقول رسول كريم"(٤)،وهو ذو القوة المتين ،الذي جاء ذكره في قوله تعالى "إنه لقول رسول كريم ،ذي قوةٍ عند ذي العرش مكين ،مطاع ثَمّ أمين "(٥).

وجبريل – عليه السلام – في هذا الوجود الثالث للقرآن الكريم يقتصر دوره على نقله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وحياً من الله تعالى .

والرسول صلى الله عليه وسلم يكون دوره في هذا الوجود أو النزول الثالث للقرآن الكريم الحفظ له ، والوعي به ، وتبليغه للناس ، وتبيينه وتفسيره نظرياً ، وتطبيقه عملياً (٦) ، ولهذا جاء قول أم المؤمنين السيدة

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٤١ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص٣٨:٤٠ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في علوم القرآن الكريم . ص٤٧٥، د.محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٥٣، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن .ص١٠١

(٢) سورة الشعراء :الآيات رقم ١٩٢:١٩٥

(٣) سورة النحل :آية رقم ١٠٢

(٤) سورة الحاقة :الآيات رقم ٣٨:٤٠

(٥) سورة التكوير :الآيات رقم ١٩:٢١

(٦) د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في علوم القرآن الكريم . ص٤٧٥ ، ويمكننا هنا القول–

"عائشة "رضي الله تعالى عنها حاكيةً عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم " كان خلقه القرآن "(١) ، بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم طبق القرآن الكريم سلوكاً عملياً، حتى إنه ليصدق القول إنه صلى الله عليه وسلم كان قرآناً يمشي بين الناس.ونزول القرآن هنا كان منجّماً أي مفرقاً،وكانت فترة نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة(٢)،لقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما"بُعث الرسول صلى الله عليه

=بأن القرآن الكريم باعتباره رسالة للعالمين ، فإن هذه الرسالة مطلوب تبليغها للناس ، ويتم التبليغ من الرسول صلى الله عليه وسلم دون تحوير أو تبديل أو تحريف ، وهذا واضح في أكثر من موضع من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى في الآية رقم ٤٤ من سورة الحاقة "ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين "، وقوله تعالى في الآية رقم ٣٣ من سورة الطور" أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون "، وهذا معناه أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى هي تلقي الرسالة من جبريل عليه السلام ، وإبلاغها للناس ، وليس مجرد الأخذ عن جبريل عليه السلام ، ذلك لأن مجرد التلقّي والعلم لا يتجاوز حدود " النبوّة "، أمّا الإبلاغ فهو الذي يجعل " النبي " "رسولاً" ، لقوله تعالى في الآية رقم ٦٧ من سورة المائدة " يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ، والله يعصمك من الناس "،وقوله تعالى في الآية رقم ١٩ من سورة الأنعام "وأُوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ"، وقوله تعالى في الآية رقم ٨٢ من سورة إبراهيم " هذا بلاغ للناس ولينذروا به " ، وقوله تعالى في الآية رقم ٢٠ من سورة آل عمران "وإن تولّوا فإنما عليك البلاغ "،وقوله تعالى في الآية رقم ١٠٦ من سورة الأنبياء " إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين " . انظر . د. نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص . ص ٥٥،٥٦

(١) الحاكم النيسابوري : المستدرك . ج٢ ص ٣٩٢، ٤٩٩ ، والسيدة" عائشة " هي : أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، كبيرة محدّثات عصرها ، ونابغته في الذكاء والفصاحة ، فكانت عاملاً كبيراً ذا تأثير عميق في نشر تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ روت عنه مئات الأحاديث ، ولدت بمكة المكرمة في السنة الثامنة قبل الهجرة ، وتوفيت عام ٥٨ للهجرة عن ست وستين سنة ، تكنى "أم عبد الله " ، أي " ابن الزبير " لأنها حنّكته بتمرة لما ولد ،وتسمى أيضاً " الحميراء " لغلبة البياض على وجهها .-انظر فيّ ترجمة وافية لها . عمر رضا كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ط٣ ج٣ص٩٣:١٣١، خير الدين الزركلي : الأعلام . ط٣ ج٤ ص ٥

(٢) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٣٩،٤٠ ،مناع القطان :مباحث في علوم القرآن .ص١٠١

وسلم لأربعين سنة،فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة يُوحَى إليه،ثم أُمر بالهجرة عشر سنين ،ومات وهو ابن ثلاث وستين "(١).

ونزول القرآن الكريم على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم منجّماً كان بحسب الوقائع والحوادث ،والدليل على ذلك التعبير في القرآن الكريم عن هذا الوجود الثالث بلفظ " التنزيل " وليس بلفظ " الإنزال "،فالتنزيل يقصد به النزول على سبيل التدرج والتفرق والتنجيم ،حيث إن علماء اللغة يفرّقون بين " الإنزال " و" التنزيل " ،فالأول لما نزل جملة واحدة ،والثاني لما نزل مفرقاً ومنجماً(٢) .

وبنزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقاً أي منجماً يكون مختلفاً عن الكتب السماوية السابقة عليه ،حيث كانت تلك الكتب ،كالزبور والتوراة والإنجيل ،تنزل جملة واحدة ،لقوله تعالى " وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ،ورتّلناه ترتيلاً "(٣) ، مما يدل على أن القرآن الكريم نزل مخالفاً لطريقة نزول الكتب السماوية السابقة عليه ،تلك التي كان نزولها على الرسل السابقين جملةً واحدة ،وإلا لما كان هناك ما يدعو الكفار للتعجب من نزول

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري :صحيح البخاري .ضبط وتخريج . د.مصطفى ديب البغا .دار ابن كثير ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ط٥ ج٣ ص١٣٠٣ ،والحديث مروي عن طريق السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بلفظ " إن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة " .أنظر .البخاري :صحيح البخاري .ج٣ ص١٣٩٨

(٢) أنظر.الحسين بن محمد " الراغب الأصفهاني ":المفردات في غريب القرآن .إعداد.محمد أحمد خلف الله .مكتبة الأنجلو .القاهرة ١٩٧٠م ص٧٤٤،٧٤٥،حيث يقول " الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً ، ومرة بعد أخرى ، والإنزال عام ، إنما خص لفظ الإنزال في قوله تعالى في الآية رقم ١ من سورة القدر " إنا أنزلناه في ليلة القدر " دون التنزيل لما روي أن القرآن نزل دفعةً واحدةً إلى سماء الدنيا ، ثم نزل نجماً فنجماً ".

(٣) سورة الفرقان :آية رقم ٣٢

القرآن الكريم منجماً مفرقاً(١) ،ونفهم من نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقاً حِكماً ... منها :

الأولى: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث جاء في القرآن الكريم بيان ذلك ، رداً على تمنّي الكفار أن لو كان نزول القرآن الكريم كنزول الكتب السماوية السابقة عليه ... أي جملة واحدة ، وذلك في قوله تعالى " كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتّلناه ترتيلاً "(٢) ، وهذا يدل على أن القرآن الكريم جاء مغايراً لكل الكتب السماوية السابقة عليه ، فإن كانت تلك الكتب السماوية قد نزلت جملة واحدة ،فإنّ القرآن الكريم جمع الله تعالى له الأمرين معاً ، فالله تعالى " باين بين القرآن وبين الكتب السابقة عليه ، فجعل له الأمرين : بأن أنزله جملة واحدة ، ثم أنزله مفرّقاً "(٣) ، وفي هذا التفريق تقوية وتثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ، فالوحي " إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب ، وأشد عناية بالمرسَل أليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه ، وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز "(٤) .

الثانية : تسهيل حفظ القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم على المسلمين ، وهذا أحد معاني تثبيت الفؤاد ، فتثبيت الفؤاد هنا معناه " ليقدر الفؤاد على حفظ القرآن الكريم ،فإنه صلى الله عليه وسلم كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب (٥) ، ففُرّق عليه ليثْبُت عنده حفظه ، بخلاف غيره من

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص ٣٩: ٤١ ، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص ١٠٦

(٢) سورة الفرقان : آية رقم ٣٢

(٣) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص ٤٠، ٤١

(٤) المصدر السابق : ج١ ص٤١

(٥) لقوله تعالى في الآية رقم ٢ من سورة الجمعة " هو الذي بعث في الأمّيين رسولاً منهم -

الأنبياء ، فإنه كان كاتباً وقارئاً ، فيمكنه حفظ الجميع "(١) ، ولهذا جاءت الروايات الدالة على ذلك ... منها :

أن أبا سعيد الخدري كان يُعلّم القرآن الكريم خمس آيات بالغداة ، وخمس آيات بالعشي ، ونجد أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الكريم خمس آيات خمس آيات (٢) .

وأن خالداً بن دينار قال " قال أبو العالية : تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً " (٣) .

وأن عمر قال " تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ،فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً "(٤) .

الثالثة : التدرّج في مسايرة الحوادث والوقائع من الناحية التشريعية ، فالقرآن الكريم سلك مسلكاً وسطاً تمثل في " الاعتراف بالواقعية الاجتماعية الجديدة ، وبالتدرج التعليمي والتربوي ، ومن ثمّ العقيدي ، وذلك كله إعانة من الله تعالى للعبد المسلم كي يتخلّى ذلك العبد عما كان عليه من جاهلية فكرية ومعرفية وعقائدية ، ويترك كل عاداته السيئة التي كانت مستحكمة

- يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " ، وقوله تعالى في الآية رقم ١٥٧ من سورة الأعراف "الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل " ، وقوله تعالى في الآية رقم ١٥٨ من نفس السورة السابقة " فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمّي الذي يؤمن بالله وكلماته " .

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٤١،٤٢

(٢) أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي : تاريخ دمشق . ج٢٠ ص٣٩١ ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان . ج٢ ص٣٣١

(٣) أبو بكر بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان . ج٢ ص٣٣١، علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقعال والأقوال . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ج١٠ ص٢٥٠

(٤) البيهقي : شعب الإيمان . ج١ ص٣٣٢، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص١١١

عنده ، فإذا حدث ذلك " التخلّي " جاز لهذا العبد المسلم " التحلّي " بالفضائل الجديدة القيّمة التي جاء بها الدين الجديد ، وهذا كله - لعمري - منهج تربوي على قدر كبير من الرقي والموضوعية ، إذ أن فيه اعترافاً بضرورة التدرج في بث المفاهيم الجديدة في عقول كانت مملوءة - بل ومشحونة - بمعارف ومفاهيم خاطئة ، بلغت حداً خطيراً من التأثير على عقول معتنقيها، وفي هذا التدرج تهيئة للنفوس والعقول كي تتقبل كل عقائد الإسلام ، ثم - في مرحلة تالية - تتقبل كل أحكامه "(١) .

فلولا أسلوب التفريق والتنجيم الذي نزل به القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم ، لما جاز القول بأن الإسلام دين الفطرة ، بمعنى أنه دين يدرك الواقع المعاش لمن نزل ليخاطبهم ، فهم قوم عاشوا في جاهلية ذات عادات وتقاليد غاية في الغرابة والسوء ، فلما جاء الإسلام بمنهجه التدريجي ، فهو - من ناحية - يعترف بالمفعول الكبير - والخطير - للبيئة على أهلها ، وهو - من ناحية ثانية - يعين من يخاطبهم على ترك عاداتهم وتقاليدهم المستحكمة فيهم ، حيث تصبح النفوس مهيأة لأن تكون شيئاً جديداً - جدةً كاملةً - ، ومغايرة لكل ما كان قبل الإسلام بشكل جذري .

وواضح هنا أن بعض العبادات - وما في حكمها - لم يُفرض إلاّ في مرحلة تالية ، فالصلاة - وهي عماد الدين - لم تُفرض بشكلها الكامل إلاّ قبيل الهجرة ، والصيام والزكاة كلاهما فرض بعد الهجرة بسنتين ،والحج فرض بعد الهجرة بست سنوات ،أما الخمر فتم تحريمه تدريجياً ،حتى تم التحريم بشكل قطعي لا يقبل النقد ولا النقض ،وذلك في المدينة المنورة ،أي بعد الهجرة .وهذا دليل على حكمة نزول القرآن الكريم مفرقاً ،لأن

---

(١) د. سيد عبد الستار ميهوب : الولاية عند عبد الكريم الجيلي . درا الهداية للطباعة والنشر . القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ط١ ص٨٧

القرآن الكريم بنزوله مفرقاً " أدعى إلى القبول ،إذا أنــزل علـى التدريـج بخلاف ما لو نزل مرة واحدة فإنه كان ينفُر من قبوله كثيرٌ من الناس لكـثرة ما فيه من الفرائض والمناهي "(١)،و " لو نــزل أول شــيء " لا تشــربوا الخمر"لقالوا لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل " لا تزنوا " لقالوا لا نــدع الزنــا أبداً "(٢).

---

(١) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٤٢ ،د.محمــد إبراهيـم الحفنـاوي :دراسات في القرآن الكريم .ص٤٧٩

(٢) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٤٢ ،وللمزيد حول هــذه الجزئيــة. أنظر .أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي :فضائل القرآن .تحقيق .مروان العطية ،محسن خرابة ،وفــاء تقي الدين .دار ابن كثير .دمشق ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ط١ ص٣٦٥ ،محمد عبـد العظيـم الزرقـاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٤٦:٥٥ ،د.محمد إبراهيم الحفناوي :دراسات فــي القــرآن الكريم .ص٤٧٧:٤٨٠ ،مناع القطان :مباحث في علوم القرآن .ص١٠٧:١١٧



المبحث الثالث : تدوين القرآن الكريم:

نقصد بـ " تدوين القرآن الكريم " جمعه ،وكلمة " الجمع " لها في علوم القرآن الكريم معنيان :

فقد يُقصد بها حفظه واستظهاره وتقييده في صدور الحفّاظ .

وقد يُقصد بها كتابة القرآن الكريم في الصحف ، سوراً وآيات وكلمات وحروفاً .

فأما الجمع بمعنى حفظ القرآن الكريم في الصدور واستظهاره ،فقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك فعله الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وأما الجمع بمعنى كتابة القرآن الكريم في الصحف ، فقد مرّ هذا الجمع بثلاث مراحل :

- فمرحلة كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .
- ومرحلة ثانية كانت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- ومرحلة ثالثة كانت في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه(١) .

أوّلا : تدوين القرآن الكريم وجمعه بمعنى حفظه واستظهاره :

أول من فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يصرف همته كاملةً لحفظ ما يتنزل عليه السلام من الوحي ، حتّى قبل فراغ جبريل عليه السلام من تبليغه ما هو مأمور بتبليغه ، وذلك من النبي صلى الله عليه وسلم حرص وخوف أن تفوته كلمة أو حرف مما يوحى إليه ،فكان – صلى الله عليه وسلم – يحرّك لسانه مع ما في ذلك من شدة-، وفي القرآن الكريم

(١) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٥٧ وما بعدها ،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٢٣٣، ٢٣٤ ،د.محمد محمد أبو شهبة :المدخل لدراسة القرآن الكريم .ص٢٦٢ ،مناع القطان :مباحث في علوم القرآن .ص١١٩، ١٢٠

بيان لذلك الأمر ، في قوله تعالي " لا تحرّك به لسانك لتعجل به ، إنّ علينا جمعه وقرءانه ، فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ، ثم إنّ علينا بيانه "(١)،وفي قوله تعالى "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه ،وقل ربِّ زدني علماً "(٢) ،وهذا ما يوضحه الأثر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله "كان رسول الله صلى الله عليه السلام وسلم يعالج من التنزيل شدة ،فكان يحرك لسانه مخافة أن ينفلت منه،يريد أن يحفظه ،فأنزل الله " لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرءانه " قال : يقول إن علينا أن نجمعه في صدرك ، ثم نقرأه ،" فإذا قرأناه فاتبع قرءانه " يقول : إذا أنزلناه عليك فاستمع له وأنصت ، " ثم إن علينا بيانه " أي نبينه بلسانك . وفي لفظ : علينا أن نقرأه ، فكان رسول الله صلى الله عليه السلام وسلم ، بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق – وفي لفظ استمع – ، فإذا ذهب جبريل عليه السلام قرأه كما وعد الله "(٣) .

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من حفظ القرآن الكريم ،وكان جبريل عليه السلام يعارضه مرة في كل عام ،وفي العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عارضه جبريل عليه السلام مرتين ،ففهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قرب انتهاء أجله ،وهذا ما نفهمه من قول السيدة عائشة والسيدة فاطمة رضي الله تعالى عنهما " سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :إن جبريل كان يعارضني في كل سنة مرة ،وإنه عارضني العام مرتين ،ولا أراه إلاّ حضر أجلي "(٤).

---

(١) سورة القيامة :الآيات رقم ١٦:١٩

(٢) سورة طه :الآية رقم ١١٤

(٣) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري . ضبط وتخريج . د. مصطفى ديب البُغا . دار ابن كثير . دمشق ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ط٥ ج١ ص٦

(٤) المصدر السابق :ج٣ ص١٣٢٧،ج٤ ص١٩١١،أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي-

ثم إنّ الأمة كان لها دور كبير في جمع القرآن الكريم ، بمعنى حفظه في الصدور ، فقد كان المسلمون – بشكل عام – لا يقرأون ولا يكتبـــون ، إلاّ القليل منهم ، ولذلك جاء فيهم قرآن كريم يفيد ذلـــك (١) ، وهـــذا معنـــاه أن المعول الأول في حفظ القرآن الكريم لدى الصدر الأول من المسلمين كـــان سرعة الحفظ ، ذلك الحفظ الذي يعدّ من خصائص هـــذه الأمـــة صاحبـــة الذاكرة القوية ،تلك الذاكرة التي كان فيها العوض الحقيقي عن أُمية القـــراءة والكتابة ، ولهذا صحّ القول " إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلـــوب والصدور ، لا على حفظ المصاحف والكتب ، هو أشرف خصيصـــة لـــهذه الأمة "(٢) .

وقد كان للصحابة – رضوان الله تعالى عنهم – دور كبير فـــي حفـــظ القرآن الكريم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبارك فيهم هذه الـــروح ، وقد أرسل – صلى الله عليه وسلم – إلى الدور البعيدة مـــن يعلـــم أهلـــها القرآن الكريم : قراءةً وحفظاً ، : فقبل الهجرة أرسل الرســـول صلـــى الله عليه وسلم إلى المدينة " مصعب بن عمير " و " ابن أم مكتوم " ليعلّما أهلـــها القرآن الكريم ، وبعد الهجرة أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكـــة " معاذ بن جبل " ليعلم أهلها القرآن الكريم (٣) .

وبين أيدينا آثار كثيرة تدلّ على عدد غير قليل من الصحابـــة – رضـــي الله تعالى عنهم – كان لهم السبق في حفظ القرآن الكريم ، مما مهّد لتدوينه

- :فضائل القرآن تصحيح . السيد محمد رشيد رضا . مطبعة المنار . القاهرة ١٣٤٧هـ ص٤٧

(١) وذلك في الآية رقم ٢ من سورة الجمعة ، والآية رقم ١٥٧ من سورة الأعراف ، والآية رقـــم ١٥٨ من نفس السورة السابقة .

(٢) محمد بن محمد بن محمد يوسف الجزري : النشر في القراءات العشر . تحقيق . د. محمـــد سالم محيسن . مكتبة القاهرة . مصر . ج١ ص٥٠

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص ٢٣٣، ٢٣٤

أن يكون صحيحاً ودقيقاً (١) ، ولعل من هؤلاء – بطبيعة الحال – الخلفاء الأربعة : أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعثمان بن عفّان ، وعليّ بن أبي طالب ، رضي الله تعالى عنهم (٢) ، ثم عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، ومولاه سالم بن معقل ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، ، ومعاذ بن جبل ، وأُبَيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء (٣) .

وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب (٤) .

وجاء أن قتادة سأل أنس بن مالك : من جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :أربعة.. كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد (٥) .

---

(١) الإمام البخاري : صحيح البخاري . ج١، ج٣ . مواضع مختلفة .

(٢) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص ٧١ ، هذا ... ولم يقتصر حفظ القرآن الكريم على الصحابة من الرجال فقط ، بل كانت هناك صحابيات حفظن القرآن الكريم . انظر . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٧٢

(٣) هؤلاء الذين حفظوا القرآن الكريم ، منهم من هو من المهاجرين . مثل : الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ـــ ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ،ومولاه سالم بن معقل ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، ومنهم من هو من الأنصار . مثل : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، مما يدل على دقة التوثيق التي ستكون – بعد – عند تدوين القرآن الكريم ، بمعنى جمعه كتابةً في المصاحف .

(٤) الإمام البخاري : صحيح البخاري . تحقيق . مصطفى ديب البُغا . ج٣ ص١٣٧٢،١٣٨٥ ، وهذا الحديث يضم اثنين من المهاجرين . هما : عبد الله بن مسعود ، وسالماً ، واثنين من الأنصار . هما : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب .

(٥) الأمام البخاري : صحيح البخاري . ج٣ ص١٣٨٦، وأبو زيد هذا الذي ذكره " أنس" في نهاية قوله ،هو قيس بن السكن بن زعوراء ،من بني عدي بن النجار ، كان بدرياً عقبياً ،مات قريباً من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .انظر .جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٧٢

وجاء عن أنس بن مالك قوله "مات النبي صلى الله عليه وسلم،ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد "(١) .

ولا يعني قول " أنس بن مالك "بأن من جمع القرآن الكريم أربعة ،أن يكون غيرهم لم يجمعوه ، بمعنى لم يحفظوه ، فهناك أكثر من مفهوم لمعنى الجمع هنا ، بحيث لا يمكن تصوّر أن غير هؤلاء الأربعة كانوا غير حافظين للقرآن الكريم ، خاصةً... إذا علمنا أن الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – كانوا يتنافسون على حفظ القرآن الكريم،هم وأزواجهم وأولادهم(٢) ، فإن ذكر هذا العدد عند "أنس بن مالك " لا يعني الحصر الحقيقي ، بل هو حصر نسبي ، لأن هناك –غير هؤلاء الأربعة – عدداً غفيراً من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – حفظ القرآن الكريم ، خاصةً حين نعلم أن عدداً كبيراً من الصحابة هاجروا إلى غير بلد واحد ،فتفرقوا في بلاد كثيرة ،كما أن عدداً كبيراً يقارب السبعين من الصحابة قتلوا في غزوة " بئر معونة "في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (٣) ،وكان يقال لهم "القرّاء " ،ونفس هذا الأمر حدث "يوم يمامة "إذ قتل سبعون رجلا من الحفاظ القراء(٤) ،مما يدل على وجود كثيرين من الحفاظ القراء ،سواء في مكة والمدينة ،أو في غيرهما من بلاد المسلمين ،وهذا ما نفهمه من قول عمر بن الخطاب لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما " إني أخشى أن

---

(١) البخاري :صحيح البخاري .ج٤ ص١٩١٣

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص٢٣٤

(٣) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٧٠،٧١ ،مناع القطان :مباحث في علوم القرآن ص١٢١

(٤) المرجعان السابقان على التوالي ،الأول :ج١ ص٧١ ،الثاني :ص١٢٢

يستحر القتل بالقراء في المواطن "(١) ،وهذا النص يدل على تفرق كثيرين من القراء والحفاظ في أكثر من موطن من بلاد الإسلام ،وأما ما قاله "أنس بن مالك " فهو لا يعني أن غير هؤلاء الأربعة لم يجمعوا القرآن الكريم ،فالمعنى المراد " أن أنس بن مالك لا يعلم سواهم جمعه ،لأنه لو فُهم المعنى على ظاهره لكان من الضرورة أن يلاقي "أنس " كل واحد على حدة ليعلم منه أنه لم يجمع القرآن .. وهذا محال "(٢) ،خاصة وأن هناك روايات أخرى تفيد حفظ غير هؤلاء الأربعة ،حيث يورد "البخاري " قول النبي صلى الله عليه وسلم "خذوا القرآن من أربعة :من عبد الله بن مسعود ،وسالم ،ومعاذ ،وأبي بن كعب "(٣)،وقد نفهم من " الجمع " في قول أو رواية "أنس " معنى أنه لا أحد غير هؤلاء الأربعة جمع القراءات كلها ،وقد نفهم من " الجمع " معنى جمعهم للناسخ والمنسوخ .. وغير ذلك من المعاني التي يحتملها لفظ " الجمع " في رواية "أنس" .

ومما يجب التأكيد عليه في هذا المقام ،حتى لا يظن ظانّ أنه لا أحد جمع القرآن الكريم حفظاً وقراءةً إلاّ هؤلاء الأربعة المذكورين في رواية " أنس بن مالك " ،في محاولة للتدليل على عدم تواتر القرآن الكريم ، أنه ليس من شروط التواتر أن يحفظ كل فرد على حدة كل المجموع ، بل إذا حفظ الكل المجموع ، أو حفظ الكل من الأفراد الكل من التنزيل ، ولو على التوزيع ، لكان هذا دليلاً على التواتر(٤) .

---

(١) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٥٧

(٢) المصدر السابق :ج١ ص٧٠،٧١ ،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٢٣٥،٢٣٦ ،مناع القطان :مباحث في علوم القرآن .ص١٢٢

(٣) هذه الردود وغيرها ذكرها السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن " .ج١ ص٧٠:٧٢

(٤) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٧٢، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم .ص٢٦٢ ،محمد عبد العظيم الزرقاني:مناهل العرفان في علوم القرآن -

ثانياً : تدوين القرآن الكريم وجمعه بمعنى كتابته :

يذكر "جلال الدين السيوطي" في كتابه " الإتقان في علوم القـرآن " أن " النبي صلى الله عليه وسلم قُبض ولم يكن القرآن قد جمع فـي شـيء "(١) ، لكنه يوضّح لنا أن عدم الجمع هنا معناه " عدم جمع القـرآن الكريـم فـي المصحف "(٢) ، نظراً لاعتبارات مصلحيـة عقيديـة وشـرعية ، سـوف نوضحها فيما بعد .

لكن الثابت أنه بوفاة النبي صلى الله عليـه وسـلم " الـهم الله الخلفـاء الراشدين ذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه(٣) على هذه الأمة ،فكـان ذلك ابتداءً على يد الصدّيق بمشورة عمر "(٤) .

إذن ... يمكننا القول بأن تدوين القرآن الكريم وجمعه بمعنى كتابته ، قـد مـرّ بثلاث مراحل : مرحلة في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم ، ثم فـي عهد أبي بكر الصدّيق ، الخليفة الأول رضي الله تعالى عنه ، ثم في عـهد عثمان بن عفّان ذي النورين ، الخليفة الثالث رضي الله تعالى عنه (٥) .

-ج١ ص٢٣٨، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص١٢٢

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٣) أي حفظ القرآن الكريم ، لقوله تعالى في الآية رقم ٩ من سورة الحجر " إنا نحن نزّلنا الذكـر ، وإنا له لحافظون " .

(٤) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧ ، وجاء في " فضائل القـرآن " للهروي أن " أول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر رضي الله عنه " . انظر . أبو عبيد القاسم بـن سلام الهروي : فضائل القرآن . تحقيق . مروان العطية ، وآخرين . دار ابن كثير . دمشق ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ ط١ ص١٨١:٢٨٣، علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمّال . ج٢ حديث رقم٥٧٢

(٥) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧:٦٠ ، د. محمد محمد أبو شـهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٢٦٢

المرحلة الأولى : تدوين القرآن الكريم وجمعه - بمعنى كتابته - على عهد النبي صلّى الله عليه وسلم :

من الثابت أن القرآن الكريم قبل أن يجمع في عهد أبي بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنه ، كان قد جمع - بشكل ما - في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم ، وهذا ما نفهمه من النصّ الذي أورده " السيوطي " ويقول فيه "قد كان القرآن كُتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور "(١) ، ونفس المعنى نجده في نصّ عند " الحاكم النيسابوري " يقول فيه "جُمع القرآن ثلاث مرات : إحداها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم "(٢) . وهذان النصان لا نجد بينهما تعارضاً وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن "(٣) ،لأن هذا لا ينافي كون القرآن الكريم قد جمع كتابةً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ،لأن الكلام في النهي هنا كلام على كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة(٤) ،وبالتالي يصح القول بأن القرآن الكريم قد جمع كتابةً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ،وذلك كما جاء في قول زيد بن ثابت "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع "(٥) .

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧

(٢) الحاكم النيسابوري :المستدرك على الصحيحين في الحديث .ج٢ ص٢٢٩

(٣) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٥٧

(٤) المصدر السابق:نفس الموضع .

(٥) البيهقي :شُعب الإيمان .ج١ ص١٩٥،١٩٧ ،الحاكم النيسابوري :المستدرك على الصحيحين في الحديث .ج٣ ص٥١١،٥١٢ ،وأخرجه أيضاً الترمذي في "الجامع "تحت رقم٣٩٤٩ ،والإمام أحمد في "المسند " .ج٥ تحت رقم١٨٥ ،وابن أبي شيبة في "المصنف " .ج١٢ تحت رقم١٩١ ،والطبراني في "المعجم الكبير " .ج٥ تحت رقم٤٩٣٤ .والرقاع :هي قطع للكتابة ربما من جلد أو ورق،وواضح من هذا=

ومن المعروف تواتراً ،أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ من خيرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم كتّاباً للوحي ،وكان كلما نزل شيء من القرآن الكريم أمر هؤلاء الكتاب بكتابة ما نزل ،وذلك زيادة منه صلى الله عليه وسلم في التوثيق والضبط في كتابة القرآن الكريم .وفي هذا جاء قول ابن عباس "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب ،فقال :ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يُذكر فيه كذا وكذا "(١) .

وكان من هؤلاء الكتاب :أبو بكر ،وعمر ،وعثمان ،وعلي ،وأبي بن كعب ،وزيد بن ثابت ،وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتفي بمجرد إملائهم ما أوحى إليه ،بل كان يرشدهم إلى موضع المكتوب من سورته ،كما أوضح حديث "ابن عباس "السابق(٢) ،ولذلك فالقول بأن ترتيب الآيات والسور كان توقيفياً يعد قول صحيحاً ،لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ هذا الترتيب عن جبريل عليه السلام ،وجبريل لا يصدر في كلامه إلا عن الله تعالى وأوامره ،وهذا ما نفهمه من قول ابن عباس "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ،وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ،وكان يلقاه جبريل في كل ليلة رمضان فيدارسه القرآن ،فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح

-الحديث الدليل على أن القرآن الكريم قد جمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي :فضائل القرآن .ص٢٨٠ ،ورواه الترمذي حديث رقم٣٠٨٦ في التفسير ،جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٦٠، ٦٢ ،علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ضبط .الشيخ بكري حياني . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م . ج٢ ص٥٧٩

(٢) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٦٠ ،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٢٣٩

المرسلة"(١) .

وبذلك مضى عهد النبوة والقرآن الكريم قد كُتب على هيئة ما ،لكنه لم يكن مكتوباً لا في صحف ولا في مصحف ، وأمّا لماذا لم يكتب القرآن الكريم في صحف أو مصاحف في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم كما هو على هيئته التي بين أيدينا الآن ... فلهذا أسباب نوردها فيما يلي :

أوّلاً : أسباب أو دواعي الكتابة للقرآن الكريم في صحف و مصاحف التي كانت موجودة في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ، لم تكن موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث كان القرّاء والحفّاظ كثيرين ، علاوةً على أن رقعة الإسلام كانت محدودة ،وكان النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين يبين لهم ما أشكل عليهم سواءً في نصوص الآيات أو معانيها أو قراءتها .

ثانياً : الآيات الناسخة ، والآيات المنسوخة ،حيث نعلم أن نزول القرآن الكريم كان تبعاً للحوادث ، فقد يكون هناك ناسخ لشيء نزل من قبل ، وترتيب القرآن الكريم لم يكن تبعاً للنزول ، بل كانت الآية الكريمة تكتب بعد نزولها مباشرة بإعلام من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو أن القرآن الكريم جُمع وقتها في مصحف واحد لأدّى هذا الجمع إلى التغيير كلما نزل شيء من الوحي ناسخاً لشيء سابق (٢) .

---

(١) الحاكم النيسابوري :المستدرك على الصحيحين في الحديث .ج٢ ص٥١٣ ،البخاري :صحيح البخاري .ج١ ص٧ ،ج٢ ص١٣٠٤،ص١٣٢٧ ،ج٤ ص١٩١١ ،البيهقي :شُعب الإيمان .ج٣ ص٣١١،٣١٢

(٢)جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص٢٤١،٢٤٢ ، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٢٦٨،٢٦٩ ، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن .ص١٢٤،١٢٥

المرحلة الثانية : تدوين القرآن الكريم وجمعه - بمعنى كتابته - على عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه :

سيذكر التاريخ لعمر بن الخطّاب - رضي الله تعالى عنه - أنه كان أول من أعلن فكرة جمع القرآن الكريم ، خاصةً المحفوظ في الصدور ، وذلك حين علم بموت كثيرٍ من حفّاظ وقرّاء القرآن الكريم ، وسيذكر التاريخ لأبي بكر الصدّيق - رضي الله تعالى عنه - أنه كان أول من أخرج فكرة عمر بن الخطاب إلى حيّز التنفيذ ، وما كان تردد أبي بكر في جمع القرآن الكريم إلاّ تعبيراً عن خوفه أن يكون في عمله هذا ابتداع لما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا من أبي بكر الصديق شدة حرص أن يكون مقتدياً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه - بعد إقناع عمر له - أدرك أن هذا العمل يتماهى مع مقاصد الشريعة ، حيث فيه صيانة للقرآن الكريم من الضياع والنسيان (١) ، وسيذكر التاريخ لزيد بن ثابت أنه كان

---

(١) وهذا هو معنى نص " المحاسبي " : " كتابة القرآن ليست بمستحدثة ، فإنه صلى الله عليه وسلم ،كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرّقاً في الرقاع ، والأكتاف ، والعسب ، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وُجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع وربطها بخيط ، حتى لا يضيع منها شيء " . انظر . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٨ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص٤٠٣، والرقاع أو رقع :جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو قماش أو ورق ، والعسب : جمع عسيب ، وهو طرف الجريد العريض ، وكانوا يكشطون الخوص ويكتبون فيه ، والأكتاف : جمع كتف ، وهو العظام العريضة من أكتاف الحيوان كالإبل والبقر والغنم ، واللِخاف : جمع لخفة " بفتح اللام وسكون الخاء " هي الحجارة الرقيقة ، وكانوا يكتبون القرآن الكريم على " الأقتاب" أو " الأقتاد "وهي جمع قتب أو قتد أو قتود أو قتاد ، وهي الخشب الذي يُوضع على ظهر البعير ليركب عليه . انظر . د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٢٦٧، محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح . ترتيب . محمود خاطر . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص٤٣١،٥٢١،٥٦٣،٥٩٥

أول من اضطلع بهذه المهمة الشاقة ، فوق أنها مقدّسة ، بكل ما توجبه هذه الكلمة من تحرٍّ ، ودقةٍ ، وهمّةٍ ، وضميرٍ . وإن كان " زيد " تردد ، كما تردد أبو بكر سابقاً ، إلاّ أنه لما آمن أن عمله هذا يعد في صالح الإسلام أقبل عليه بهمةٍ ووعي .

لقد كانت معركة " اليمامة " أشبه بناقوس يدق للتحذير من الاعتماد على حفظ الحفّاظ وسيلةً لتداول القرآن الكريم بين المسلمين ، حيث قُتل في هذه الحرب عدد كبير من حفّاظ القرآن الكريم وقرّائه ، ومن أشهرهم "سالم " مولى " أبي حذيفة "(١) ، وكان أول من تنبّه لهذا الأمر الخطير هو عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - ومن ثَمّ فقد أشار على " أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - " بجمع القرآن الكريم من صدور الحفّاظ وأوراق الكتّاب(٢) ، وهذا ما جاء مروياً عن " زيد بن ثابت " حيث قال " أرسل إليّ أبو بكر الصديق يوم مقتل أهل اليمامة(٣) ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إنّ عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هو والله خير ، فلم يزل حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت

---

(١) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٧٠ ، ويتراوح عدد القتلى من حفاظ القرآن الكريم وكتّابه ما بين سبعين إلى خمسمائة ، مما نفهم منه خطورة الموقف ، وأنه لابد من إجراء ما ، يُضمن به حفظ القرآن الكريم من الضياع أو التحريف .انظر . ابن كثير : فضائل القرآن . ص٢٥

(٢) المصدر السابق : ج١ ص٥٧

(٣) يقصد :بعد استشهاد الحفاظ والقراء السبعين أو الخمسمائة .

في ذلك الــــذي رأى عمر " (١) .

وواضح من هذا النصّ قناعة أبي بكر بما أشار به عمــر بن الخطـــاب من ضرورة جمع القرآن ،خاصة وأن أرض الإسلام في ازدياد ،مما يعنـــي ضرورة تفرق حفاظ القرآن في المواطن الجديدة ،إما للتعليم وإما للجهاد.

وكلّف " أبو بكر " "زيد بن ثابت " بهذه المهمة ،لصفات رآها فيه تؤهلـــه أن يقوم بهذا العمل ، ولعل من أهم صفات "زيد " أنه واحـــد مـــن حفـــاظ القرآن الكريم وكتّابه ،إذ كان واحداً من كتبة الوحي ،بل كان أكثر الكتّـــاب تفرغاً لكتابة الوحي ،ومنها أنه كان من القلائل الذيـــن شـــهدوا "العرضـــة الأخيرة "للقرآن الكريم ،وهي تلك التي عرض فيها النبي صلـــى الله عليـــه وسلم القرآن الكريم على "جبريل "عليه السلام ،وهذا يعني فهمه الكامل لمـــا يجب أن يكون عليه جمع القرآن الكريم شكلاً ومضموناً،ومنها أنه قد انتـــهت إليه الرياسة في القراءة(٢).

ويتحدث " زيد " نفسه عن تكليف " أبي بكر " له فيقول " قال أبو بكـــر : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرســـول الله صلـــى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن اجمعْه ،فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال مـــا كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت :كيف تفعلان شيئاً لـــم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خـــير ، فلـــم يـــزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ،

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧، البيهقي : شـــــعب الإيمان . ج١ ص١٩٥، ابن كثير : فضائل القرآن . ص٢١،٢٢، أبو عبيـــد الـــهروي : فضـــائل القـــرآن . ص٢٨١ ، علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ضبط . الشيخ بكـــري حياني . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م . ج٢ ص٥٧١

(٢) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٧٠ ،د.محمد محمد أبو شهبة :المدخـــل لدراسة القرآن الكريم .ص٢٧٠

فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف وصدور الرجال "(١) .

ومن هذا النصّ يمكننا أن نخرج بمجموعة ميزات توثّق جمع القرآن الكريم وكتابته :

فزيدٌ ذو أمانة وفهم لخطورة وأهمية ما يقوم به ، لقوله " فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن " .

وزيدٌ على قدر كبير من التقوى والورع والاتباع ، لقوله " فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر " .

وزيدٌ شديد التحرّي والدقة لما يجمعه ، بحيث يؤدي هذا التحري وتلك الدقة إلى عدم الوقوع في الخطأ ، لقوله " فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال "(٢) .

إن النصوص المتوافرة بين أيدينا تؤكد أن أول من أشار بجمع القرآن الكريم هو " عمر بن الخطّاب " رضي الله تعالى عنه ، وأن أول من أمر بذلك هو " أبو بكر الصديق " رضي الله تعالى عنه ، وأن أول من نفّذ ذلك هو " زيد "(٣) ، وذلك وفق منهج دقيق يجعل الخطأ غير وارد ، حيث نعلم

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧ ، البيهقي : شعب الإيمان . ج١ ص١٩٥ ، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص١٢٦،١٢٧ ، أبو عبيد الهروي : فضائل القرآن . ص٢٨١ ، ابن كثير : فضائل القرآن . ص٢٢ ، علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ج٢ ص٥٧٢

(٢) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص٢٤٤ ، علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ج٢ ص٥٧٢

(٣) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٨ ، علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ج٢ ص٥٧٢ ، أبو عبيد الهروي : فضائل القرآن .ص٢٨١، =

أن " زيداً " لم يكن يكتفي بالحفظ فقط ، ولا بالكتابة فقط ، إنما اعتمد على أمرين :

أولهما : ما كان مكتوباً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيهما : ما كان محفوظاً في صدور حفاظ القرآن الكريم .

ومما يدل على ذلك أن " زيداً " في جمعه للقرآن الكريم لم يكن يقبل ما هو مكتوب إلاّ إذا شهد شاهدان أنه كُتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ، وأن من تلقّاه سماعاً يشهد بذلك ، مع أن" زيداً" كان من الحفّاظ الموثوق بهم ، وما ذلك إلاّ مبالغة في الاحتياط،وينصرف معنى " شاهدان " هنا إلي الحفظ والكتابة (٢) .

المرحلة الثالثة : تدوين القرآن الكريم وجمعه – بمعنى كتابته – على عهد عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه :

يمكننا التأكيد على أن جمع " أبي بكر " للقرآن الكريم قد كان منصبّاً على " المحفوظ ، والمكتوب " ، دون أن يتطرّق إلى كيفية القراءة ، حيث لم يكن هناك خوف من " لحن " القارئين (٣) ، لكن الأمر تغيّر في عهد عثمان بن عفان ، حيث اتسعت رقعة الدولة الإسلامية باتساع الفتوحات وكثرة الداخلين في الإسلام وإقبالهم على معرفة وحفظ القرآن الكريم ، مما استتبعه تعدد اللهجات والقراءات ، إذ كان كل بلد يقرأ بقراءة مختلفة عن

-ابن كثير : فضائل القرآن .ص٢٤، محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن. ج١ ص٢٤٦، وهذا ما قاله " علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – " أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ، رحمة الله على " أبي بكر" ، هو أول من جمع كتاب الله" . انظر . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٧

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٨

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص٢٤٥

(٣) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٩،٦٠

قراءة البلد الآخر : فأهل الشام يقرأون بقراءة " أبي بن كعب " ، وأهل الكوفة يقرأون بقراءة "عبد الله بن مسعود "،وهناك من يقرأ بقراءة "أبي موسى الأشعري " ، وهذا كله فتح الباب أمام الخلاف بين الناس حتّى " كفّر بعضهم بعضاً "(١) ، وكذلك فإن ما دعا عثمان بن عفان إلى جمع الناس على مصحف واحد على الأحرف السبعة المشهورة ، هو خوفه أن يشتد الخلاف بين المسلمين في وجوه القراءات ، ولهذا أراد " عثمان " أن يجمع المسلمين على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلّم .

ففي الأثر أن " أنس بن مالك " قال : " إن حذيفة بن اليمان قدم على " عثمان بن عفّان " وكان يغازي أهل الشام في فتح "أرمينية "و " أذربيجان " مع أهل العراق ، فأفزع " حذيفة " اختلافهم في القراءة ، فقال ل " عثمان " : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل إلى " حفصة ": أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليكِ ، فأرسلت " حفصة " بها إلى " عثمان " فأمر " زيد بن ثابت "و " عبد الله بن الزبير " و " سعيد بن العاص " و " عبد الرحمن بن الحارث " فنسخوها في المصاحف ، وقال " عثمان " للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و "زيد " في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد " عثمان " الصحف إلى " حفصة " ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا "(٢) .

وإذا كان أبو بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه – قد شرح الله صدره

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص٢٤٩

(٢)جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٩ ، البخاري : صحيح البخاري . ج٤ ص١٩٠٨ ، البيهقي : شعب الإيمان . ج١ ص١٩٦ ، أبو عبيد السهروي : فضائل القرآن . ص٢٨٢ ، ابن كثير : فضائل القرآن . ص٣٠،٣١ ،علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ج٢ ص٥٨١

لجمع القرآن الكريم ، فإن عثمان بن عفان ما فعل الذي فعله إلاّ على ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إن "علياً بن أبي طالب " كرّم الله وجهه ، يقول : " لا تقولوا في عثمان إلاّ خيراً ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ على ملأ منّا ، ولو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان " (١) ، وما فعل " عثمان بن عفان " إلا أنه " لم يقصد قصد " أبي بكر " في جمع نفس القرآن بين لوحين ،وإنما قصد جمع الناس على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف واحد لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد " (٢) .

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٥٩،٦٠، ابن كثير :فضائل القرآن . ص٤٠ ، أبو عبيد الهروي : فضائل القرآن . ص٢٨٤،٢٨٥ ، علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ج٢ ص٥٨٣،٥٨٤

(٢) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٦٠



المبحث الرابع : القرآن المكي والقرآن المدني:

يمكننا القول بأن دراسة ما نزل من القرآن الكريم بمكة المكرّمة ، وما نزل منه بالمدينة المنوّرة ، فيما يعرف ب " علم المكّي والمدني " ،إنما هو تعبير عن الاهتمام الفقهي والتشريعي (١) ، وذلك باستخراج الأحكام الفقهية والشرعية من آيات القرآن الكريم ، بناءً على التفرقة بين ما هو ناسخ وما هو منسوخ .

وفي مجال التفرقة بين " المكي والمدني " اعتمد علماء القرآن على ثلاثة معايير :

المعيار الأول : المعيار المكاني :

وفيه اعتمد المتخصصون في علوم القرآن الكريم على التفرقة بين القرآن الكريم الذي نزل بمكة المكرمة ، والذي نزل بالمدينة المنورة ، بناءً على المكان : مكان نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلّنا يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم " مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أُمر بالهجرة عشر سنين "(٢) ، إضافةً إلى تنقّله صلى الله عليه وسلم ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ووجوده صلى الله عليه وسلم في الغار، ووجوده صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس ، ولهذا فإنّ أصحاب هذا المعيار أو التقسيم أو الرأي يقولون " إنّ المكي ما نزل بمكة ،

---

(١) قيل عن القرآن الكريم " هو إحدى نعم الله تعالى علينا ، بل من أعظم النعم ، فإليه يرجع الحلال والحرام ، وبه تعرف الشرائع والأحكام " . انظر . القاضي عبد الجبّار : شرح الأصول الخمسة . تعليق . الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم . تحقيق وتقديم . د. عبد الكريم عثمان .مكتبة وهبة . القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ط١ ص٥٢١ ، ٥٢٨

(٢) الإمام البخاري : صحيح البخاري . ج٥ ص١٣٠٢ ، ١٣٩٨

ولو بعد الهجرة ، والمدني ما نـــــزل بالمدينة "(١) ، وهذا المعيار – كما هو واضح – لا ينكر حكم ما نزل لا في مكة المكرمة ولا في المدينة المنورة ، حيث نعلم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال " أُنـزل القـرآن في ثلاثة أمكنة: مكة ، والمدينة ، والشام "(٢)، وسواء قُصد ب " الشام " بيت المقدس ، أو قُصد بها " تبوك " ، فإنّ المعيار يترك ما لم يـنزل في مكة المكرمة أو ضواحيها ، ولا في المدينة المنورة أو ضواحيها ، كقوله تعالى " لو كان عرضاً قريباً أو سفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعُدت عليهم الشُقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يَهلِكون أنفسهم والله يعلم إنّهم لكاذبون " (٣) ، فقد نزلت هذه الآية الكريمة في " تبـوك " ، وكقوله تعالى " وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون "(٤)،فقد نزلت هذه الآية الكريمة في بيت المقـدس ليلةَ الإسراء والمعراج ، وهذا الترك يعني عدم ضبط لوجود ما لم يدخل في التعريف ، مما يجعل هذا المعيار لا يفي بالمقصود منه ،وهو "الضبط والحصر "(٥).

المعيار الثاني : المعيار المخاطبي :

فإذا كان المعيار أو التقسيم الأول قد اتخذ من مكـان الـنزول : نـزول القرآن الكريم ، أساساً له ، فإنّ المعيار الثاني سوف يعتمد على "المخاطَبين" بالآيات القرآنية : بمعنى أنّ " المكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٩ ، محمد عبد العظيم الزرقـاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٦ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص٤٥٩،٤٦٠ ، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٢٢٢

(٢) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٩

(٣) سورة التوبة : آية رقم ٤٢

(٤) سورة الزخرف : آية رقم ٤٥

(٥) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٦

وقع خطاباً لأهل المدينة "(١) ، ثم يفسّر " أبو عبيد الهروي " هـــذا الكـــلام المجمل عند " السيوطـــي " بقوله " ما كان فيه حدّ ، أو فريضة، فإنه أُنـــزل بالمدينة،وما كان فيه ذكر الأمم والعذاب، فإنه أُنزل بمكة "(٢)،و " كل شـــيء في القرآن " يا أيها الذين آمنوا " فإنه أُنزل بالمدينة ، وإذا كان " يـــا أيـــها الناس " فإنه أُنزل بمكة "(٣) و " ما كان في القرآن " يا أيها الناس " و " يـــا بني آدم " فإنه مكي ، وما كان " يا أيها الذين آمنوا " فإنه مدنـــي "(٤) .

فهذه ثلاث روايات نفهم منها أن ما نزل مخاطباً " الناس " أو " بني آدم " فيعدّ قرآناً مكياً ، وذلك لغلبة صفة الكفر على أهل مكة ، فلم يتوجه إليـــهم الخطاب القرآنـــي بـــ " يا أيها المؤمنون " بل توجه إليـــهم هـــذا الخطـــاب بـــ"يا أيها الناس " مـــع كـــون غيرهم داخلاً فيهم ، وأن ما نزل مخاطبـــاً " المؤمنين " فإنه قرآن مدني ، ذلك لغلبة صفة الإيمان على أهل المدينة ، مع كون غيرهم داخلاً فيهم .

وهذا المعيار يعد ناقصاً - كسابقه - لأمريـــن :

الأول :أنّه معيار " غير ضابط ولا حاصر " ، ذلك لأنّه من المعلـــوم أن مخاطبات القرآن الكريم كثيرة ، بمعنـــى أن المخـــاطبين بـــالقرآن الكريـــم لاتحصرهم - فقط - دائرة الثنائية : " الناس أو بني آدم " و المؤمنين "،بل هناك خطاب في القرآن الكريم لا يصدر بإحدى هاتين ،كأن يخاطب القرآن

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٩ ، محمد عبد العظيم الزرقـــاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٦ ، د. محمد إبراهيم الحفناوي : دراسات فـــي القـــرآن الكريم . ص٤٦٠ ، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٢٢٢

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي : فضائل القرآن . ص٣٦٧ ، جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص١٧

(٣) أبو عبيد الهروي : فضائل القرآن . ص٣٦٧

(٤) المصدر السابق : نفس الموضع .

الكريم النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في قوله تعالى " يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، إنّ الله كان عليماً حكيماً "(١) ،وكما في قوله تعالى " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله ، والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون "(٢) .

الثاني :أن هناك آيات قرآنية كريمة نزلت بالمدينة المنورة مصدّرة بـ "يا أيها الناس " كما في قوله تعالى في سورة "النساء " - وهي مدنية - " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً "(٣) ، وكما في قوله تعالى في سورة " البقرة " - وهي مدنية - " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون "(٤) ، وكذلك نجد أن هناك آيات قرآنية كريمة نزلت بمكة - فهي مكية - مصدّرة بـ " يا أيها الذين آمنوا " ، كما في قوله تعالى في سورة " الحج " ، " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلّكم تُفلحون "(٥) .

---

(١) سورة الأحزاب : آية رقم ١

(٢) سورة المنافقون : آية رقم ١

(٣) سورة النساء : آية رقم ١

(٤) سورة البقرة : آية رقم ٢١

(٥) سورة الحج " آية رقم ٧٧ ، وسورة " الحج " مكية فيما عدا ثلاث آيات : هذان خصمان اختصموا في ربهم ، فالذين كفروا قُطّعت لهم ثياب من نار يُصبّ من فوق رءوسهم الحميم ، يُصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد " . سورة الحج : الآيات رقم ١٩ : ٢١ ، وفي تفصيل ذلك . انظر . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٩ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٧

المعيار الثالث : المعيار الزمانـــي :

هذا المعيار قد " لوحظ فيه زمن النزول ، وهو تقسيم صحيح سليم ، لأنّه ضابط حاصر ، ومطّـرد لا يختلف ، بخلاف ســابقيه ، ولذلـك اعتمـده العلماء واشتهر بينهم "(١) .

وهذا المعيار – كما هو واضح – يستند إلى " الزمان " أي يستند إلـى " المرحلة " ، بمعنى أنّه إذا كان القرآن الكريم الذي نزل بمكـة المكرّمـة – وهو المكّي – يستند إلى " مرحلة " أو" زمان " مكة المكرمة ، فـإنّ هـذا يعني وقوف آياته الكريمة تعالج ما هو موجود ، وعام ، وشائع فـي هـذه "المرحلة المكية " ، أو " الزمن المكي " ، فنجد هذه الآيات الكريمة تختـص بإنذار الكفّار ، وزعزعة أفكارهم وعقائدهم القديمـة ، تمـهيداً لأن يفيـق المخاطَبون فيعرفوا الفساد العقدي والفكري والاجتماعي الذي هم فيـه ، وإذا كان القرآن الكريم الذي أُنزل بالمدينة المنورة – وهو المدنـي – يستند إلـى " مرحلة " أو " زمان " المدينة المنورة ، فإن هذا يعني وقوف آياته الكريمـة لتعيد بناء مجتمع "جديد ": عقائدياً وفكرياً واجتماعياً ، بعد أن كانت الآيـات المكية قد أفرغت المجتمع "القديم " من كل مقوّماته الفاسدة(٢) .

إنّ هذا المعيار يستند لا إلى المكان فقط ، ولا إلى المخاطَبين فقط ، بـل يستند إلى زمان نزول الآية الكريمة في مكة المكرمة أو المدينة المنـورة ، أو في ما سواهما ، وهذا يعني " أن المكّي ما نزل قبل الهجرة ،والمدني مـا نزل بعد الهجرة ، سواء نزل بمكّة المكرمة ، أو بالمدينة المنورة عـام

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علـوم القـرآن . ج١ ص١٨٧، د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص٤٥٩ ، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٢٢١

(٢) د. سيد عبد الستار ميهوب : الولاية عند عبد الكريم الجيلي . دار الهداية للطباعـة والنشـر والتوزيع . القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ط١ ص٨٧

الفتح ،أو عام حجة الوداع ، أم بسفر من الأسفار "(١) .

وهذا المعيار في تعريف ما هو مكي وما هو مدني ، يأخذ في الاعتبار أنّ ما نزل في طريق السفر إلى المدينة المنورة أول مرة مكيّ ؛ وأنّ ما نزل بعد الهجرة – ولو في مكة المكرمة – مدنيّ (٢) ، فالآية القرآنية الكريمة " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً "(٣) ، تعدّ مدنية ، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع ، والآية القرآنية الكريمة " إنّ الله يأمركم أنْ تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل ، إنّ الله نعمّا يعظكم به ، إنّ الله كان سميعاً بصيراً "(٤) ، تعدّ مدنية ، مع أنها نزلت بمكة المكرمة في جوف الكعبة عام الفتح ، ونفس هذا الاطراد يُطبق على ما نزل في سفر الرسول صلى الله عليه وسلم ، كفاتحة سورة الأنفال ، حيث إنها نزلت ببدر ، ومع ذلك فهي تعدّ مدنية لا مكية(٥) ، لأنّ هذا المعيار لا يتخذ من المكان أساساً للتقسيم بين ما هو مكيّ وما هو مدنيّ .

وإشكالية معرفة ما هو مكي وما هو مدني من سور القرآن الكريم وآياته ، لم يرد بها نصّ توقيفي ، لأنه " لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلاّ بما ورد عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، لأنّه لم يرد عن النبي صلى

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٩ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٧٨ ، د. محمد ابراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم . ص٤٥٩ ، د. محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم . ص٢٢١

(٢) جاء في " الإتقان " : " ما نزل في مكة ، وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي صلى الله عليه وسلم ، مكي" . انظر . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٩

(٣) سورة المائدة : آية رقم ٣

(٤) سورة النساء : آية رقم ٥٨

(٥) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٨

الله عليه وسلّم بيان للمكي والمدني "(١) ، ومن ثَمّ فقد وضع العلماء القدماء مجموعة ضوابط بها نعرف ما هو مكي وما هو مدني ، نذكر منها على سبيل الإجمال لا الحصر (٢) :

- كل سورة كريمة جاء فيها " كلاّ " فهي مكية ،ذلك لأنّ سور القرآن الكريم التي فيها " كلاّ " نزلت بمكة المكرمة وأكثرها جبابرة ،فنزل القرآن الكريم بذلك تهديداً لهم وتعنيفاً وإنكاراً (٣) .
- كل سورة كريمة جاء فيها حروف المعجم فهي مكية ، إلاّ سورة "البقرة " و " آل عمران " ، وفي سورة " الرعد " خلاف (٤) .
- كل سورة كريمة فيها قصص الأنبياء ، والأمم السابقة ، فهي مكية ، إلاّ سورة " البقرة " .
- كل سورة كريمة فيها فريضة أو حدّ ، فهي مدنية (٥) .
- كل سورة كريمة فيها ذكر " المنافقين " ، فهي مدنية ، إلاّ سورة

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٩

(٢) في هذا المجال يدرس العلماء : ما هو مكي وما هو مدني ،وما نزل بمكة المكرمة وما نزل بالمدينة المنورة ، وما اختلف فيه ، والآيات المكية في السور المدنية ، والآيات المدنية في السور المكية ، وما نزل بمكة المكرمة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة المنورة وحكمه مكي ، وما يشبه نزول المكي في المدني ، وما يشبه نزول المدني في المكي ، وما حُمل من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وما حمل من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، وما نزل ليلاً ، وما نزل نهاراً ، وما نزل صيفاً ، وما نزل شتاءً ، وما نزل في الحضر ، وما نزل في السفر . ولمزيد من التفاصيل حول هذه الجزئية بوجه عام . انظر . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص٨:٢٨ ، مناع القطان : مباحث في علوم القرآن . ص٥٢،٥٣

(٣) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص١٧، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٩،١٩٠

(٤) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص ١٧ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص ١٩٠

(٥) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص١٧ ، أبو عبيد الهروي : فضائل القرآن . ص٣٦٧ ، محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٩٠

" العنكبوت " ، فهي مكية ، إلاّ الآيات الإحدى عشرة الأولى منها ، فإنّها مدنية ، وهي التي ذُكر فيها " المنافقون " .

- كل سورة كريمة فيها ذكر " آدم " عليه السلام ، أو " إبليس " ، فهي مكية ، إلاّ سورة " البقرة "(١) .

والحقيقة ... أنّ العلماء القدماء قد أدركوا أنّ هذه الضوابط ليست جامعة مانعة ، بل هي خصائص أو ضوابط أو صفات ، على سبيل التغليب.

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص١٧ ، ، حمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٩٠ ، وللمزيد حول هذه الضوابط . انظر . محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . ج١ ص١٨٩:١٩١ !



الفصل الثانـي

القاضي عبد الجبّار والقرآن الكريم

- المبحث الأول :في مشكلة الصفات
- المبحث الثاني :في كلام الله تعالى
- المبحث الثالث :في خلق القرآن الكريم
- المبحث الرابع :في إعجاز القرآن الكريم

المبحث الأول : في مشكلة الصفات:

لا شك أن البحث في القرآن الكريم يستلزم البحث في صفة كلام الله تعالى من حيث كون القرآن الكريم كلامه سبحانه،والبحث في كلامه تعالى يستلزم البحث في الصفات بوجه عام .

إنه من الخطأ اعتبار المعتزلة " نفاةً " هكذا بإطلاق ،حيث نجد ما نصه " إن المعتزلة كلهم متفقون على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة "(١). وهذا الكلام إن صدق على بعض رجالات المعتزلة ،فهو لا يصدق على كل المعتزلة ،ذلك لأن " واصل بن عطاء وضع مقدماته الأولى في مبحث الصفات برؤيته الاعتزالية ،فنفى صفات العلم والقدرة والإرادة والحياة ،وكان يعتقد أن إثبات هذه الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء ،ومثل هذا التعدد باطل ،لأنه لا قديم إلا الله "(٢) . وواضح هنا أن " واصل بن عطاء " لم يفلسف رأيه هذا ،على غير ما فعل " أبو الهذيل العلاف " ولم يفرق في

---

(١) فخر الدين الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .تحقيق . د.محمد زينهم محمد عزب .مكتبة مدبولي .القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ط١ ص٩

(٢) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ط١ ص٢٠٢ ،ومن ناحية أخرى نجد " الشهرستاني يقول "واصل بن عطاء الغزّال كان تلميذاً للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والأخبار ،وهو يقول بنفي صفات الباري تعالى :من العلم والقدرة والإرادة والحياة ،وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة ،وكان واصل يشرع فيها على قول ظاهر ،وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ،وقال :ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين .وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة ،وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه :عالماً قادراً .ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما :اعتباران للذات القديمة كما قال الجبّائي ،أو حالان كما قال أبو هاشم ".أنظر في ذلك .أبو الفتح الشهرستاني :الملل والنحل .تحقيق .محمد سيد كيلاني .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٦٧م ط١ ص٤٦، علي فهمي خشيم :الجبائيان أبو علي وأبو هاشم ١٩٦٨م ط١ ص١٠٦،١٠٧

الصفات بين ما هو صفات للذات الإلهية ، وما هو صفات للفعل الإلهي ،بل اكتفى بمجرد نفيها ،أما المعتزلة اللاحقون " لواصل " والذين تأثروا بالفكر اليوناني فقد راحوا يعمقون البحث في الصفات ،فنجد "العلاف" يقسّم الصفات إلى ما تختص به الذات الإلهية ،فيما عرف بـ "صفات الذات " ،وإلى ما يختص به الفعل الإلهي ،فيما عرف بـ"صفات الأفعال " ،وجعل الأولى تتضمن صفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر ،وأحال " العلاف " أن يوصف الله تعالى بضد هذه الصفات لأنها صفات كمال ،وجعل الثانية تتضمن صفات مثل الإرادة ،وهذا القسم يجيز " العلاف " فيه أن يتصف الله تعالى بالصفة وضدها ،كالإرادة وضدها الكراهة (١) .

إن علم العقائد يؤكد على أن التوحيد هو أساس الإيمان في الإسلام ،وإذا كان التوحيد هو دعوة كل الأنبياء والمرسلين السابقين على الإسلام (٢) ، لكن هذه الدعوة تتجلّى أكثر ما تتجلى في الإسلام ، وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وسلّم ، وفي القرآن الكريم ، ذلك لأن التوحيد هو " أول المعلوم من الدين بالضرورة " ، ومن ثَمّ " أصبح التوحيد المطلق هو شعار الإسلام الأول والأعلى ، وإلى ذلك تشير آيات قرآنية كثيرة(٣) ، بل إنّ التوحيد عقيدة إلهية ، أرسل الله تعالى بها رسله أجمعين ، ومن ثم لا يكون هناك اختلاف بين ما قاله موسى – عليه السلام – وحياً من الله تعالى ، وما قاله عيسى – عليه السلام – وما قاله محمد – صلى الله عليه وسلم – وإلى

---

(١) أبو الحسين الخياط :الانتصار .تحقيق . د. نيبرج . مصر ١٩٢٥م ط١ ص٧٥

(٢) جاء في ذلك القول " لا شئ أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد ، فللإسلام أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم " . انظر . جوستاف لوبون : حضارة العرب . ترجمة . عادل زعيتر . مطبعة الحلبي . القاهرة ص١٢٥

(٣) انظر على سبيل المثال . سورة الأنعام : آية رقم ١٩، سورة النحل : آية رقم٥١ ، سورة البقرة : آية رقم :١٦٣ ، سورة الرعد : آية رقم ١٦ ، سورة الصمد : الآيات رقم ١:٤

ذلك تشير الآية القرآنية الكريمة رقم ١٣ من سورة "الشورى" :"شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "(١) .

والتوحيد له شقّان : أحدهما : التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي ، المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى ، وتنزيهه تعالى فيها عن التشبيه والتمثيل ، وتنزيهه تعالى عن صفات النقص ، والأخر عبادته تعالى وحده لا شريك له ، وتجريد محبته ، والإخلاص له ، وخوفه ، ورجاؤه ، والتوكّل عليه ، والرضى به ربّاً وإلهاً ووليّاً ، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء "(٢) .

ولما كان القرآن الكريم مشتملاً على كل ما يهم المرء المسلم سواءً في الاعتقاد ، أو التشريع ، أو الأخلاق ، فإنّه قد ضمّن سوره وآياته الكريمة هذين النوعين من التوحيد ،وذلك " في سورتي " الإخلاص " وهما سورة " قل يا أيها الكافرون " المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي ، وسورة " قل هو الله أحد " المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري ، فسورة " قل هو الله أحد " فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال ، وبيان ما يجب تنزيهه تعالى عنه من النقائص والأمثال ، وسورة " قل يا أيها الكافرون " فيها إيجاب عبادته تعالى وحده لا شريك له ، والتبري من عبادة كل ما سواه "(٣) .

إنّ المعتزلة – بوجه عام – قد كان لهم فهم عميق لهذا كله ؛ فكثير من خلافاتهم لا تعد ذات بال إذا لم تمس التوحيد والتنزيه اللائقين بالله تعالى .

---

(١) د. سيد عبد الستار ميهوب : أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية . مخطوط دكتوراه . كلية الآداب . جامعة الزقازيق ١٩٩٠م ص١٤٢ ، د. سيد عبد الستار ميهوب : الإلهيات عند ناصر الدين البيضاوي . دار الهداية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٤م ط١ ص٣٠

(٢) ابن قيم الجوزية :اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .دار المعرفة .ص٢٧

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع .

،لأنهم – وهم أهل العدل والتوحيد – تتبعوا كل المسالك التي جاءت منها شبهات الجسمية والتشبيهية وتعدد القدماء ، فقطعوا فيها بالرأي الحاسم الذي لا يدع أية فرصة لأية حجة تنتقص من ذلك التصوّر النقي لفكرة التوحيد كما صاغها الإسلام ، والتنزيه للذات الإلهية عن كل مشابهة أو مماثلة لما وجد ، أو ما يمكن أن يتصور وجوده من المحدثات(١) .

إنّ المعتزلة يرتضون كثيراً من المسميات ، لكن أحبّ هذه المسميات هو "أصحاب العدل والتوحيد " و " الموحّدة " حيث نفوا كل ما هو قديم أصلاً ، ما عدا الله تعالى – فهم مجمعون على الفهم السوي النقي لمعنى التوحيد في الإسلام ، فأهم وأول ما يجمع عليه المعتزلة هو " التوحيد " ، حيث ألزموا المكلف بأن يكون أول ما يعرفه : التوحيد والعدل (٢) ، حتى قال القاضي عبد الجبار " أصول الدين أربعة :التوحيد،والعدل،والنبوّات،والشرائع "(٣) .

ولعل سبب تقديم " التوحيد " عندهم هو أنّ " خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبهة قد دخل في التوحيد "(٤)، وأن " من خالف في التوحيد ،

---

(١) د. محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية . الموسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢م ط١ ص٦٢

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . تعليق . الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم . تحقيق . د. عبد الكريم عثمان . مكتبة وهبة . القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ط١ ص١٢٢

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٤) المصدر السابق : ص١٢٤ ، والمعطلة هم الذين بالغوا في نفي الصفات ، حتى جعلوا الله تعالى عاطلاً عن القدرة ، والدهرية كلمة مأخوذة من قوله تعالى في الآية رقم ٢٤ من سورة " الجاثية " "وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر " ، وهذه الكلمة تطلق على من ينكر الاعتقاد بوجود الله تعالى ، وينكر خلق العالم والعناية الإلهية ، ولا يسلم بما جاءت به الأديان الحقة ، ويقول بقدم الدهر ، وأن المادة لا تفنى ، والمشبهة هم القائلون بالتشبيه المحض ، والتجسيم الصريح ، لما فهموا بعض آيات القرآن الكريم على غير حقيقتها ، فقالوا : إن لله تعالى يداً وقدماً ووجهاً ، وإن له جهة ينزل منها.انظر في ذلك. القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص١٢٤، د. مراد –

ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته ، وأثبت ما يجب نفيه عنه ، فإنه يكـــون كافراً "(١) .

مما سبق ، وغيره ، يتأكد لنا أن المعتزلة قد كان لهم فهم خاص لصفـات الله تعالى ، مما يبعدهم عن أن يكونوا " معطلة " أو " نفاة " ، وهذا الأمـــر نستطيع قوله عن موقفهم من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطـــهرة ، إذ أن القول بأنـهم " فلاسفة الإسلام وذلك لتمسكهم بالعقل دون النظر للقـرآن أو الأحاديث النبوية "(٢) يمكن الرد عليه بأن من أراد البرهان علـــى وقــوف المعتزلة للدفاع عن القرآن الكريم كنص سماوي معجز ، وعن صدق نبــوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فعليه " أن ينظر إلى مجالس أبي الــهذيل مع هشام بن الحكم ، ومجادلات النَظام مع رافضة عصره ، والمنـــاظرات بين السّكاك الرافضي وبين الإسكافي وجعفر بن حرب ، وإلى مـــا عملــه الجاحظ حين سل عليهم صارمه ، ولم تقتصر المعتزلة على الرافضة ، بــل دعاهم الحال وما وجدوا الرافضة عليه من الصلة بالثنوية ، إلى أن يحولــوا الحرب إلى مخالفيهم ويحاصروا قلعتهم ، ويحملوا على مخازنهم ، فتهجموا على الثنوية والديصانية والدهرية ، وغيرهم ممن استمد الرافضـــة منـــهم ، ولم يسبقهم- أي المعتزلة- في الإسلام أحد إلى الرد بمثل هذا المقدار"(٣) .

❁❁❁

إن القاضي عبد الجبار لما تناول مشكلة الصفات – ومن بعده مدرسته –

– وهبة : المعجم الفلسفي . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٧٩م ط١ ص١٩٦، ٢٥٣ ، هـذا ... وقـد تكلمنا عن هذه الطوائف بشكل موسّع فيه عرض ورد ، وذلك في كتابنا : الإلهيات عند ناصر الديــن البيضاوي . ص٣٥: ٣٩

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص١٢٥

(٢) فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . ص٩

(٣) أبو الحسين الخياط : الانتصار . ص٥٧

قسّم الصفات إلى : صفات إثبات ، وصفات نفي ، بمعنى أن الصفات إمـــا أن تكون إثباتاً لله تعالى(١) ، فتعمّ كل جمال وكمال وجلال يجب إلحاقه بـالله تعالى ، ذلك لأنّ " ما ينفى عن الله تعالى على ضربين : أحدهما ينفى عنـه في كل حال ، وهو كل ما كان من أضداد صفات العلم والقدرة ، نحو كونـه جاهلاً وعاجزاً ، وما شاكل ذلك من تجويزنا للحاجة والمشابهة والأجسـام والأعراض ، والضرب الثاني ينفى عنه في حال دون حال ، وذلك إذا كـان راجعاً إلى الصفات في الحقيقة ، نحو كونه مدركاً ومريداً وكارهـاً ، فإنـا نثبته على هذه الصفات فيما لا يزال وننفيها عنه فيما لم يزل "(٢) ، وإمـا أن تكون نفياً عن الله تعالى،فننفي عنه تعالى كل ما يتصور من نقص وعجز .

وهذا يعني أن صفات الذات التي يستحقها الله تعـالى لكمالـه وجمالـه وجلاله لا تصح أضدادها عليه تعالى باعتباره قديماً حيث إنه " مما لا يعقـل أن يكون الله تعالى موصوفاً بالعلم ولا تنفي عنه الجهل ،ومما لا يعـقل أن

---

(١) هذا الكلام عند القاضي عبد الجبار يتأسس على اعتقاد عنده بأن هناك مجالاً فسيحاً للكلام فـي الصفات الإلهية ، ذلك الذي يمثل " المباح " أو " المسموح به " ، لأن الكلام في صفات الله تعالى يمثـل عند القاضي عبد الجبار – ومدرسته – محاولة مشكورة للوقوف ضد تيارات التجسيم والتشبيه . انظـر في تفصيل ذلك . الشهرستاني : الملل والنحل . تحقيق . محمد سيد كيلاني . مطبعة الحلبي . القـاهرة ١٩٦٧م ج١ ص١٠٦،١٥٢،١٥٣،١٧٩:١٨٨ ، أبو المظفر الأسفراييني : التبصير في الدين . تحقيق . محمد زاهد الكوثري . مطبعة الأنوار . مصر ١٩٤٠م ط١ ص٧١:٨٠،أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين . تحقيق . محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . القـاهرة ١٩٧٠م ج١ ص١٠٦ ، نشوان الحميري : الحور العين . تحقيق . د. كمال مصطفى . مطبعـة السـعادة . مصـر ١٩٤٨م ص١٤٨ ،القاضي عبد الجبار : المختصر في أصول الدين . تحقيق . د. محمد عمـارة . دار الهلال . القاهرة ١٩٧١م ص١٨٤ ، ابن تيمية : منهاج السنة النبوية . وبهامشه . بيان موافقة صريـح المعقول لصحيح المنقول . دار الكتب العلمية . بيروت ج١ ص٢٠٣ ، الفخر الرازي : اعتقادات فـرق المسلمين والمشركين . ص٦١ ، د. علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . دار المعارف . القاهرة ١٩٨١م ط٨ ج١ ص٢٨٧ ، د. سيد عبد الستار ميهوب : الإلهيات عند ناصر الدين البيضـاوي . دار الهداية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٤م ط١ ص٣٣:٣٩

(٢) د. سعيد مراد : مدرسة البصرة الاعتزالية . القاهرة ١٩٨٦م ص٥٥١

يكون الله تعالى موصوفاً بالقِدم ولا ننفي عنه تعالى ما يدل على الحدوث والجسمية والعرضية والجهة "(١) .

والصفات ، سواءً كانت إثباتاً أو كانت نفياً ، يمكن تقسيمها إلى صفات ذات ، وصفات أفعال :

فأما صفات الذات فهي تلك الصفات الإيجابية التي يوصف بها الله تعالى ، ولا يوصف بأضدادها كالوحدانية والأزلية والصمدية ، بمعنى أن يكون الله تعالى واحداً لا شريك له ، وليس حادثاً ، وغير محتاج إلى أي شيء ، بينما يحتاج إليه تعالى كل شيء .

وأما صفات الأفعال فهي تلك الصفات التي يمكن أن يوصف بها الله تعالى وبأضدادها ، كالإرادة وضدها الكراهة(٢) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن صفات الذات عند القاضي عبد الجبار تمثّل ما لا يحتاج إلى " وجود " آخر لتتحقق من خلاله هذه الصفات ، وقد جعل القاضي عبد الجبار صفات الذات أربعاً ... هي : القدرة ، والحياة ، والعلم ، والأزلية ، وهو يقصد هنا أن الله تعالى لو لم يكن قادراً حياً عالماً أزلياً ، ما كان هذا العالم بما فيه ومن فيه،وأما صفات الأفعال فتحتاج في وجودها إلى " آخر" لتتحقق من خلاله ، فهي صفات لها تعلّق ما بالغير ، مثل صفة " العدل " فهي من صفات الأفعال التي لا بد لكي تتحقق أن يُوجَد من تتحقق فيهم ، ألا وهو العالم ، وكذلك القول في صفة " الرازق " فهي أيضاً من صفات الأفعال التي لا بد من وجود " آخر " تتحقق فيه هذه الصفة ، ألا وهو

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٦٥، د. سيد عبد الستار ميهوب : أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية . مخطوط دكتوراه . آداب الزقازيق ١٩٩٠م ص٣٤٧

(٢) أبو الحسين الخياط : الانتصار . ص٧٥ ، أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين . ج١ ص٢٢٥

المخلوق المرزوق(١) .

وبوجه عام ... فإن صفات الإثبات والنفي لا يشارك الله تعالى فيها أحدٌ، لأنه " مما يلزم المكلف معرفته أنه تعالى واحدٌ في هذه الصفات (٢) ، فلا أحد يشاركه في مجموعها نفياً وإثباتاً ، ولا في آحادها أن يستحقه على الحد الذي استحقه تعالى "(٣) .

يقول القاضي عبد الجبار "ما يلزم المكلف معرفته من علوم التوحيد هو ، أن يعلم القديم تعالى بما يستحق من الصفات ، ثم يعلم كيفية استحقاقه لها ، ويعلم ما يجب له في كل وقت ، وما يستحيل عليه من الصفات في كل وقت ، وما يستحقه في وقت دون وقت ، ثم يعلم أن من هذا حاله ، لابد من أن يكون واحداً لا ثاني له يشاركه فيما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه "(٤) .

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص١٢٨ ، القاضي عبد الجبار : المحيط بالتكليف . جمع . الحسن بن متوية . تحقيق . السيد عمر عزمي . الدار المصرية للتأليف والترجمة . ص١٠٤ :١٠٩ ، أبو الحسين الخياط : الانتصار . ص٧٥ ، عبد الله بن محمد أبو القاسم الكعبي : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة . تحقيق . فؤاد سيد . الدار التونسية للنشر . تونس ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م ص٣٤٧ ، أبو رشيد النيسابوري : المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين . تحقيق . د. معن زيادة ، وآخر . دار الاتحاد . بغداد ١٩٧٩م ص١٣٣ :١٤٩ ، أبو رشيد النيسابوري : ديوان الأصول . تحقيق . د. محمد عبد الهادي أبو ريدة . دار الكتب . القاهرة ١٩٦٩م ص٦٥ ، ٦٣٤ ، الإمام محمد عبده : رسالة التوحيد . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٧م ط٥ ص١١٠ ، أمين الخولي : المجددون في الإسلام .ج١ ص٤٠ :٥٢ ، د. أحمد محمود صبحي : في علم الكلام . مؤسسة الثقافة الجامعية . الإسكندرية ١٩٨٢م ط٢ ج١ ص١٢٦

(٢) أي صفات الجمال والكمال والجلال الواجب إثباتها لله تعالى ، وصفات النقص الواجب نفيها عنه تعالى . انظر . الشهرستاني : نهاية الإقدام في علم الكلام . تصحيح . ألفريد جيوم . ص١٩٩

(٣) القاضي عبد الجبار: المحيط بالتكليف . ص٣٥

(٤) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص١٢٨، ١٢٩



المبحث الثاني : في كلام الله تعالى:

نستطيع من جانبنا القول بأن البحث في كلام الله تعالى ،يعد من أشهر وأبرز المشكلات التي عالجها المتكلمون في بحوثهم ،خاصة الإلهية منها ،ومعلوم لنا أن هذه المشكلة كانت مدخلاً لتسمية علم الكلام بهذا الاسم (١)، هذا من ناحية ،ومن ناحية ثانية فإن البحث في كلام الله تعالى متعلق بصفات الله تعالى عند مثبتي الصفات القديمة ،ومتعلق بفعله تعالى عند من ينفون الصفات القديمة ،وعلى هذا الأساس فإن القاضي عبد الجبار لما بحث مشكلة كلام الله تعالى بحثها في " باب العدل والأفعال " ،ولذلك جاء قوله " الكلام في القرآن متصل بباب العدل ،ووجه اتصاله هو أن القرآن فعل من أفعال الله "(٢) ، وواضح هنا أن من قالوا بإثبات صفات أزلية لله تعالى ، جعلوا كلام الله تعالى قديماً ، ولعل أول من قال بهذا هو"عبد الله بن كلاب " ، وكان السلف يتحاشون وصف القرآن الكريم بأنه قديم ، وعندما كانوا يتعرضون لهذه المسألة كانوا يقولون فقط : هو غير مخلوق ، ولما تعرض المعتزلة لهذه المسألة قالوا : إنه كلام الله المخلوق المحدث "(٣) ، لكن الأشاعرة عمقوا البحث أكثر فميزوا بين كلامين : نفسي أزلي (٤) ، وجعلوه قديماً ، وآخر متعلق بالأمر والنهي والإخبار، وجعلوه

(١) أبو الحسن الأشعري :الإبانة عن أصول الديانة تحقيق د.فوقية حسين محمود .دار الكتاب .القاهرة ١٩٧٩م ط٢ ص٦٣ وما بعدها ،د.أحمد محمود إسماعيل الجزار :الله والإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري .دار الثقافة للطباعة والنشر .القاهرة ١٩٩٠م ط١ ص٣٦:٤٨

(٢) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٢٧

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج٧ خلق القرآن .تقويم ابراهيم الإبياري .الشركة العربية للطباعة والنشر .مصر ١٣٨٠هـ :١٩٦١م ط١ ١٩٦١م ص٣

(٤) محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٨ وما بعدها

محدثا(١) ،ثم إن هذه المشكلة - بالقياسات الفكرية والاجتماعية والسياسية - ارتبطت بها محنة كبيرة تعرف في التاريخ الإسلامي بمحنة الإمام أحمد بن حنبل ،حيث تدخلت السياسة في هذا الأمر الكلامي الفكري ،فوقفت إلى جانب القائلين بحدوث الكلام - ومن ثم خلق القرآن - ومثل السلطة الخليفة المأمون ووزيره أحمد بن دؤاد ،على حين وقف أحمد بن حنبل إلى جانب القائلين بأن القرآن غير مخلوق ،وانتهى الأمر بأن انتصر المتوكل لأحمد بن حنبل وفريقه ،وخرج ابن حنبل من المحنة منتصرا يضرب به المثل في الثبات على المبدأ والاعتقاد ،ولكن هذا الأمر سجل للمعتزلة على أنه أسوأ مثل على التدخل في حرية الفكر ،مع أن هؤلاء المعتزلة معروف عنهم كونهم رواد الحرية الفكرية (٢) .

وبالعودة إلى المسألة التي نحن بصددها ،وهي كلام الله تعالى ،نرى أن المعتزلة نظرت إلى كلامه تعالى على أنه مؤلف من حروف وأصوات،

---

(١) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٢٨ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان :أبو علي ،وأبو هاشم ١٩٦٨م ط١ ص١١٣

(٢) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٢٧ هامش١ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص١١٣، ١١٤ ،ونريد - هنا - التأكيد على أن هذه المسألة كان الأولى بها أن تظل في محيط المسائل الخلافية ،حيث سبق وأوضحنا خطأ محاولة المعتزلة فرض فكرتهم المتصورة عن خلق القرآن ،والكلام الإلهي عامة ،على مخالفيهم ،وازداد خطأ المعتزلة عندما استعانوا بالسلطة السياسية لفرض تصورات فكرية ،مما أوجد مقاومة لهم ،تلك المقاومة التي انتصرت في نهاية الأمر ،فثأرت لنفسها من المعتزلة معنويا وماديا .وللمزيد حول هذه المسألة .أنظر .محمد بن إسحق بن خزيمة :التوحيد وإثبات صفات الرب .مراجعة محمد خليل هراس .مكتبة أنس بن مالك .القاهرة ١٤٠٠هـ ص١٦١:١٦٧ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج٧ "خلق القرآن" ص٣ ،أبو رشيد النيسابوري :المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين .تحقيق .د.معن زيادة وآخر .دار الاتحاد .بغداد ١٩٧٩م ص١٩ وما بعدها ،د.سيد عبد الستار ميهوب :أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية ص٣٧٨:٣٩١ ، ٥٠٨، ٥٠٩ ،د.سيد عبد الستار ميهوب :الإلهيات عند ناصر الدين البيضاوي .ص١٤٨، ١٤٩

وأنه فعل من أفعال الله تعالى (١) ،وهو " ليس قديماً "(٢) .

والناظر في مذهب القاضي عبد الجبار في مسألة كلام الله تعالى يجده مقترباً – إلى حد ما – من مذهب أبي هاشم الجبائي ، حيث الكلام عندهما هو " الحروف المنظومة ، والأصوات المقطعة "(٣) ، ويحد القاضي عبد الجبار الكلام بقوله " إنه ما حصل فيه نظام مخصوص من هذه الحروف المعقولة،حصل في حرفين أو حرف ،فما اختص بذلك وجب كونه كلاماً ، وما فارقه لم يجب كونه كلاماً ، وإن كان من جهة التعارف لا يوصف بذلك ، إلا إذا وقع ممن يفيد أو يصح أن يفيد ، فلذلك لا يوصف منطق الطير كلاماً ، وإن كان قد يكون حرفين أو حروفاً منظومة "(٤) .

ويؤكد القاضي عبد الجبار أنه لا فرق بين أن يكون الكلام مهملاً أو أن

---

(١) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٢٧

(٢) أحمد أمين :ضحى الإسلام .مكتبة النهضة العربية .مصر .ج٣ ص١٦١

(٣) علي فهمي خشيم : الجبائيان . ص١١٤ ، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٢٨ ، الشهرستاني : نهاية الإقدام في علم الكلام . ص٢٨٨،٢٨٩

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " . ص٦ ، وإلى هذا المعنى يشير القاضي عبد الجبار في موضع آخر ... فيقول " ما يحصل من الحروف المعقولة له نظام مخصوص ، والأصل في ذلك أن الشيء لا يصير معقولاً باسمه ، بل يجب أن يكون معقولاً أولاً ثم يتبعه الاسم ، فصارت الفائدة في المسمى غير معقودة بالاسم ، فإذا لم يعقل الشيء امتنعت تسميته باسم ، وصار ذلك بمنزلة قولنا : عالم ، لأنا إن لم نعقل صحة الفعل المحكم لم يجز أن نعبّر عنه بقولنا : عالم ، فإذا ثبتت هذه الجملة فيجب أن يتقدم لنا العلم بما نريد تسميته بأنه كلام ، والذي عقلناه في ذلك هو الحروف التي تنتظم ، فالحروف هي معقولة ونظامها معقول " . انظر . القاضي عبد الجبار : المحيط بالتكليف . جمع الحسن بن متوية . تحقيق . السيد عمر عزمي . الدار المصرية للتأليف والترجمة . ص٣٠٦ ، وواضح هنا أن القاضي عبد الجبار – والمعتزلة – ينحاز إلى المنهج التصوري العقلي ، مقابل المنهج الاسمي الواقعي ، الذي انحازت إليه الأشاعرة ، والأول – الذي انحاز إليه القاضي عبد الجبار – يفصل بين الماهية والوجود فيكون الثبوت أهم من الوجود ، بينما المنهج الثاني – الذي انحازت إليه الأشاعرة – يوحد بين الماهية والوجود ، ووفق منهج الأشاعرة يكون الشيء ما هو موجود،ووفق منهج المعتزلة،والقاضي عبد الجبار ، يكون كل ما هو معقول موجوداً ، وإن لم –

يكون مستعملا ،وبين أن يكون من حرفين مختلفين أو من حرفين متماثلين ، فيقول في ذلك " المركب من حرفين متماثلين قد يكون كلاما ، ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم " ما أنا من دد ولا الدد مني " ، كيف كان كلاما مع تركيبه من دالتين "(١) .

والكلام عند القاضي عبد الجبار ليس معنى قائما بالنفس ، كما أنه ليس قديما ، وذلك الأمر قائم بناء على نظرة القاضي عبد الجبار إلي صفات الله تعالى ، سواء كانت صفات ذات أم كانت صفات أفعال ، فالكلام عنده ليس من صفات الذات الإلهية ، بل هو فعل لها(٢) .

وأيضا فالكلام عند القاضي عبد الجبار هو " الصوت الواقع على بعض الوجوه ، ولا يصح الفصل بين الكلام والصوت ، لاستحالة وجود الكلام

=يتحقق له وجود الآن ، وبهذا المنهج حل القاضي عبد الجبار إشكاليات معرفية وعقائدية ، فوفقا لمنهجه هذا التصوري العقلاني فإن يوم القيامة والصراط والميزان ، كل ذلك مما لم يتحقق الآن ، لكنه يعد معقولا وإن لم يتحقق تحققا عينيا الآن . انظر في تفصيل ذلك . أبو رشيد النيسابوري : المسائل في الخلاف . ص١٧ ، د. أحمد محمود صبحي : في علم الكلام . دراسة فلسفية لآراء الفرق الكلامية الإسلامية لأصول الدين . مؤسسة الثقافة الجامعية . الإسكندرية ١٩٨٢م ط٤ ج١ ص ٣٠٦ :٣٠٨

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٣٠ ، و "الدد " اللهو واللعب ، وعن هذا الحديث . انظر . الحافظ أبو بكر بن أحمد البيهقي : سنن البيهقي . دار المعرفة . بيروت . مصور عن الطبعة الهندية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م كتاب " الشهادات " ج١٠ ص٢١٧ ، وهذا الحديث مروي عن أنس بن مالك ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : المعجم الكبير . تحقيق . عبد المجيد السلفي . مكتبة ابن تيمية . مصر ط١ ج١٩ ص٣٤٣ حديث رقم٧٩٤ وهو مروي عن معاوية بن أبي سفيان ، البخاري : الأدب المفرد . باب " الغناء واللهو " حديث رقم٧٨٥ ، مجد الدين بن السعادات " ابن الأثير " : النهاية في غريب الأثر . تحقيق . محمود الطناحي وطاهر الزاوي . المكتبة العلمية . بيروت ج٢ ص١٠٩ ، هذا .. وقد ضعف " ناصر الدين الألباني " هذا الحديث . انظر . ناصر الدين الألباني : ضعيف الأدب المفرد . مكتبة الجبيل . السعودية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ط٤ ص٧٣ حديث رقم ١٢٣

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " . ص١٤ :٢٠ ، الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص٤٤ ، ٤٥

المعقول عارياً من الأصوات المقطعة ، واستحالة وجود الأصوات المقطعة عارية من الكلام "(١) .

وإذا كان الكلام عند القاضي عبد الجبار يُحَدّ كما هو سابق ، فهو – أي الكلام – قائم في محل حادث ، لأنه لا يجوز القول بأن كلام الله تعالى محدث في ذاته ، لأنّ ذاته المقدسة ليست محلاً للحوادث ، لكن الكلام يحدثه الله تعالى في محل لا يرتبط بحقيقة الكلام ، لأنّ فاعلية الكلام رهن بمن تكلّم ، أي بالمتكلم الذي أحدث الكلام ، لا بمن قام به الكلام(٢) ، وإلى ذلك يشير القاضي عبد الجبار بقوله " الطريق إلى العلم بأن الشيء يضاف إلى الحي على جهة الفعلية هو : أنه متى عُلم وقوعه من جهته بحسب قصده وإرادته ودواعيه ، وصف به ، وبهذه الطريقة يُعلم سائر ما يضاف إليه على جهة الفعلية(٣) ، ويقول " متى علمنا وقوع الكلام بحسب قصد زيد وإرادته ودواعيه ، وصفناه بأنه متكلم ، ووصفنا هذا يفيد أنه فعل الكلام"(٤).

وفعل الله تعالى للكلام نتيجة حتمية لكونه تعالى قادراً ، إذ الله تعالى قادر على إحداث الكلام ، من حيث كونه تعالى " قادراً على أجناس الاعتمادات والمصاكات ، فيجب كونه تعالى قادراً على الكلام ، لأن من حق القادر على سبب الشيء أن يكون قادراً عليه "(٥) .

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص ٢١

(٢) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص٨٠ ، ٨١

(٣) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٤٨

(٤) المصدر السابق : نفس الموضع ، وانظر في ردود الأشاعرة . الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام . ص٢٨٨ ، وما بعدها ، أبو المعالي الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ص١٠٢ :١٠٤

(٥) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٥٥ ، أبو المعالي الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد .ص١٠٠ :١٠٩ ،الشهرستاني: نهاية-

وقدرة الله تعالى على الكلام جاءت من قدرته تعالى التي شملت كل أجناس المقدورات ، بالطريقة التي يريدها الله تعالى ، سواء كان ذلك على سبيل الفعل المباشر ، أو كان على سبيل الفعل المتولد(١) ، لكن هذا الأمر لا يجب أن يُفضي إلى القول بأن الله – عزّ وجل – فعل الكلام بالآلة أو بالاعتماد ، لأنّ الله تعالى في غنى تام عن الآلة وعن الاعتماد(٢) ، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار " فإن قالوا : إنّ كونه قادراً على الكلام يقتضي حاجتنا إلى آلة وجارحة ، لأنّ إيجاده لا يصح إلاّ على هذا الوجه ، قيل لهم : إنّ الواحد منا إنما يحتاج إلى الآلة في ذلك لكونه قادراً بقدرة لا يصح أن يفعل بها إلاّ باستعمال محلّها ، ولذلك يحتاج في الكتابة وغيرها إلى الآلة ، فإذا كان تعالى ذكره قادراً لنفسه فيجب أن يصح منه إحداث الأفعال في المحال من غير آلة ، فإن كان ذلك الفعل يحتاج إلى المحل فقط أوجده فيه ، وإن احتاج إلى معان فيه أوجدها وأوجد ذلك المعنى فيه ، وإذا جاز أن يفعل العلومَ في القلوب ولا تكون آلة له ، ولا تحصل محتاجاً إليها ، فكذلك القول في الكلام إذا أوجده في المحال المبنية ، وإنما صارت آلة لنا لاحتياجنا إلى أن نعملها في الكلام ، ونصل بها إلى إيجاده "(٣) .

ونفي الآلة عن الله تعالى فرع على وصفه تعالى بالغنى ، ذلك الوصف الذي يدخل في باب " ما يجب نفيه عنه تعالى "(٤) ، إذ أن نفي الآلة عنه تعالى إنما جاء لكونه – عزّ وجل – غير جسم ، ولكونه – عزّ وجل – غير محتاج ، لأنّ الآلة إنما تجوز على الأجسام ، ولما لم يكن الله تعالى

-الإقدام في علم الكلام . ص٢٧٩

(١) د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٢٦٣

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٢١٣ :٢١٦

(٣) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٥٦ ، ٥٧

(٤) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٢١٣

جسماً صار غير محتاج ،أي صار " غنياً " تلك الصفة التـــي يدخـل منـــها القاضي عبد الجبار كي يتكلم عن نوعين من " الغنى " : غنى على الإطلاق ، وغنى لا على الإطلاق ، فأما الغنى الذي هو على الإطلاق فليـــس إلاّ لله تبارك وتعالى ، وأما الغنى الذي ليس على الإطلاق ،فهو للواحد منّـــا ، لأن الواحد منا لا يستغني مطلقاً ، بل يستغني بهذا عن ذاك ، وبشيء عن شـــيء آخر .

يقول القاضي عبد الجبار " إنّ الغنى على ضربين : غنى على الإطـــلاق ، والآخر غنى لا على الإطلاق ،أما الغنى على الإطلاق ليس إلاّ لله تعـــالى ، وأما الذي ليس كذلك ، فكالواحد منا ، لأنه لا يستغني مطلقاً وإنما يستغني بهذا عن ذاك وبشيء عن شيء "(١) ، ... ثم يقول " وتحرير الدلالة علــــى أنه تعالى غني هو أنه حي لا تجوز عليه الحاجة ، فيجب أن يكون غنيـــاً ، وهذه الدلالة مبنية على أصلين : أحدهما ، هو أنه تعالى حي ، وقد تقـــدم ، والثاني ، أنه لا تجوز عليه الحاجة ، والذي يدل على ذلك أن الحاجة إنمـــا تجوز على من جازت عليه الشهوة والنفار ، والشهوة والنفار إنمـــا تجـــوز على من جازت عليه الزيادة والنقصان ، والزيادة والنقصان إنما تجوز على الأجسام ، والله تعالى ليس بجسم ، فيجب أن لا تجوز عليه الحاجـــة ، وإذا لم تجز عليه الحاجة وجب كونه غنياً "(٢) .

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٢١٣

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

المبحث الثالث : في خلق القرآن الكريم :

للمعتزلة رأيها الخاص في القرآن الكريم ،كما أن لها رأيها الخاص في القدر ،وفي صفات الله تعالى(١) ،فالناظر إلى تراث المعتزلة الفكري يجدهم ينظرون إلى القرآن الكريم نظرتهم إلى الكلام ،الذي اعتبروه مؤلفاً من حروف وأصوات ،وذهبوا إلى القول بأنه مادام القرآن الكريم مكوناً من كلمات ،وكانت الكلمات حادثة فلابد من أن يكون القرآن الكريم حادثاً وليس قديماً ،لأن القرآن الكريم ليس صفة لله تعالى ،بل هو فعل من أفعاله سبحانه(٢) .هذا الأمر يعرف في تاريخ الفكر الإسلامي بـ " محنة خلق القرآن " تلك التي تعد علماً بارزاً على المحنة بكاملها ،التي نزلت بـ "أهل الحديث " و " الظاهر " ،وظلت قائمة من عام ٢١٨ هـ حتى عام ٢٣٤ هـ ،فكان بدؤها أيام الخليفة العباسي " المأمون " ،وانتهاؤها أيام الخليفة العباسي " المتوكل " ،حيث أمر المأمون بـ " ترك شهادة كل من لم يقر بخلق القرآن "(٣) ،وأمر المتوكل بـ " ترك النظر والمباحثة والجدال في خلق القرآن "(٤) .

وإذا كنا لا نقر مبدأ " تصفية الحسابات " !!! تحت أي مسميات(٥) ، إلاّ

---

(١) د.منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة . منشأة المعارف . الإسكندرية ١٩٧٧م ص٢٥

(٢) المرجع السابق :نفس الموضع

(٣) جمال الدين القاسمي الدمشقي :تاريخ الجهمية والمعتزلة .مؤسسة الرسالة .بيروت ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م ط١ ص٦٧ ،د.محمد عمارة :المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية .المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢م ط١ ص٦٠

(٤) جمال الدين القاسمي :تاريخ الجهمية والمعتزلة .ص٦٩

(٥) يذهب بعض الدارسين إلى القول " بأن البلية عظمت وأشتد الخطب ،حينما تعصب معتزلة -

أننا نرى أنّ المسألة كان يجب أن تكون على وجه " الإيمان بـأنّ القـرآن الكريم هو كلام الله جل وعلا ، والكفّ عن الخوض مع الخـائضين فـي القدم أو الحدوث " (١)

ورغم هذا كله فإن الدارس لهذه المسألة " المحنة " يجدها ذات شـقين : أحدهما تاريخي ، والآخر فكري كلامي .

أما الشق التاريخي ، فنرى أن ضرورة عرضه سببها أن هذه المسـألة " المحنة " قد أظهرت العقلية المعالجة لها والمتعاملة معها كعقلية " تـهميش " و " نفي " للآخرين المختلفين معها ، وأخشى ما نخشاه أن يظل التعامل مـع المخالفين في الرأي قائماً على أساس أنّ الصواب – كل الصواب – مع مـن له السيادة والسلطة ، وأن الخطأ – كل الخطأ – مع مـن لا تكـون لـه لا السيادة ولا السلطة بدلاً من أن يكون التعامل في قضايا الاختـلاف فـي الرأي قائماً على أساس أنه إذا كان كلام " ما " صواباً ، فإنه يحتمل الخطـأ ، وأنه إذا كان كلام " ما " خطأً ، فإنه يحتمل الصواب .

إنّ القارئ لمصادر هذه المسألة " المحنة "يجـد أن الخليفـة العبّاسـي " المأمون " رأى في القول بـ " قِدم القرآن " مساواةً بين الله تعالى ،وبين مـا أنزل من كلام ، وهذا – عنده – هو الشرك والتشبيه ، ولهذا كتب يقـول " قد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم ، والسواد الأكبر ، من حشو

=بغداد لرأيهم ،واستعانوا بالسلطة الحاكمة لفرضه على الناس قهراً ،في ظل خلافة المأمون والمعتصم والواثق ، وكانت محنة الإمام أحمد بن حنبل ، أو فتنة " خلق القرآن " ، ثم لم يلبث أن وقـع المتوكـل فيما وقع فيه سابقوه ، فتعصب للقائلين بـ "القدم" تعصباً يتخطى سماحة الإسلام ، وتجاوز به حـدود الدعوة كما وضعها الله تعالى وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم ، مما حدا بالكثيرين إلى القول بأنـها خصومات سياسية ، وتصفية حسابات قديمة " . انظر في ذلك . د. سعيد مـراد : مدرسـة البصـرة الاعتزالية . القاهرة ١٩٨٤م ص٥٨٢،٥٨٣

(١) د. سعيد مراد : مدرسة البصرة الاعتزالية . ص٥٨٣

الرعية ، وسفلة العامة ، ممن لا نظر له ولا رواية ، ولا استضاء بنور العلم وبرهانه ، أهل جهالة وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه ، وقصور أن يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ، وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله تعالى ويخترعه ، ثم انتسبوا إلى السُنة ، وأنهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك ، وأغروا به الجهّال ، حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب ، والتخشع لغير الله ، إلى موافقتهم ، فنزعوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا من دون الله وليجة إلى ضلالهم ، فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة المنقوصون من التوحيد حظاً ، أوعية الجهالة ، وأعلام الكذب ، ولسان إبليس في أوليائه ، والهائل على أعدائه ، من أهل دين الله ، وأحقّ أن يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته ولا يوثق به من عمي عن رشده وحظه من الإيمان بالتوحيد ، وكان عمّا سوى ذلك أعمى وأضل سبيلاً ، فإنّ أكذب الناس من كذب على الله ووحيه ، وتخرّص الباطل ، ولم يعرف الله حقّ معرفته "(١) .

وموطن الدهشة هنا – فيما نرى – أنّ الخليفة العباسي " المأمون " وهو يتقدم المعتزلة ، أراد " حمل الناس على غير ما يعتقدون ، وإكراههم على أمر لم تمض به سُنة ، ولم يجدوا فيه برهاناً من أنفسهم ، مع أنّ الإكراه على أصل الأصول ، وما به العصمة والنجاة – وهو الدين الحق – قد أباه الشرع ، ونهى عنه في غير موضع من التنزيل الكريم ، كآية " لا إكراه

---

(١) جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص٦٥ : ٦٧ ، أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . تحقيق . محمد سيد كيلاني . مكتبة الحلبي . القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ج١ ص٤٥ ، تاج الدين تقي الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت ج٢ ص٢٠٥ : ٢٢٠

في الدين "(١) ، وآية " أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "(٢) ،وآية " وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر "(٣) ، وغير هذه الآيات الكريمة كثير "(٤) ، لكن الأمر " انتقام من اضطهاد سابق ، ومقابلة له بالمثل في جزاء الاعتداء بنظيره ، إذ كان للأثرية دولة في عهد الأمويين ، وصدراً من الخلافة العباسية ، وكانت أقوالهم في تكفير مخالفيهم ، ورميهم بالزندقة ، وهدر دمهم ، تغري بهم ، وتحفظ الأمراء عليهم ، وتستفز ذوي البطش منهم على الإيقاع بهم "(٥) .

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٦

(٢) سورة يونس : آية رقم ٩٩

(٣) سورة الكهف : آية رقم ٢٩

(٤) جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص٦٨

(٥) جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص٦٩ ، ومما يُذكر هنا أن الجعد بن درهم قد ذُبح وبأمر من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وذلك على يد خالد بن عبد الله القسري ، وكان أميراً على العراق ، صلّى العيد يوم الأضحى ، وقال في آخر خطبته : أيها الناس ، انصرفوا ... وضحّوا ، تقبّل الله منكم ، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم ، ثم نزل فذبحه !!! . انظر في ذلك . جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص٣٧،٣٨، وخالد هذا كان طاغية ، شديد العداء لأهل البيت النبوي ، مبالغاً في عدائه هذا ، كثير السب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وكرّم الله وجهه ، كما أن أم خالد امرأة نصرانية رومية بقيت على دينها ، وقد بنى لها ابنها خالد بيعة في قبلة المسجد الجامع في الكوفة ، وكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس ، وقد ذمّه كثير من الشعراء ، حتى قال فيه الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية	أتتنا تهادي من دمشق بخالد
فكيف يؤم الناس من كانت أمه	تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعةً فيها النصارى لأمه	ويهدم من كفر منار المساجد

وقد انتهت حياة خالد هذا بالحبس شهوراً طويلة إلى أن قتله يوسف بن عمر الثقفي عام ١٢٦ هـ ، هذا ... وغيره كثير ، دفع أئمة التاريخ إلى القول بأن ذبح الجعد بن درهم ، على يد خالد القسري إنما كان بدوافع سياسية ، لكنه موّه باسم الدين ، إقناعاً للعامة بقتله . انظر في ذلك . جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص٣٦ : ٤٢ ، ٤٤ : ٤٧ ، د. محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية . ص٦١

هكذا كان تعامل المعتزلة مع قضية فكرية ، لكن تعاملهم لم يكن وفق أدوات الفكر وآلياته ، رغم أنهم " روّاد الفكر الحر في التاريخ الإسلامي"(١).

وموجز القول في هذه الجزئية ، أنه ما من فرقة من فرق الإسلام " إلاّ [illegible] ريحة ، ودالت لها دولة ، كما اتفق المختار بن عبد الله للكيسانية ، ويزيد بن الوليد للغيلانية ، وإبراهيم بن عبيد الله للزيدية ، والمأمون لسائر الشيعة ، والمعتصم والواثق للمعتزلة ، والمتوكل للنواصب والحشوية "(٢) ، ومن هنا يصح القول "إنّ المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم يتبعون الحق ، ويرحمون من خالفهم باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله ،وإنما الرحمة هنا لأنهم تجمعهم أخوة الإيمان،فقد قال الله تعالى " رحماء بينهم " (٣) ، فالمؤمنون مهما اختلفت اجتهاداتهم ، وتباينت مداركهم

---

(١) هناك قول بأنّ " الحديث في القرآن الكريم ، وكلام الله تعالى يعتبر من أهمّ المشاكل التي عرضت لمفكري الإسلام ، وقد أثارت ضجة كبيرة في صفوف العلماء والعامة ، وارتبطت بها محنة كبيرة تعرف بـ " محنة الإمام أحمد بن حنبل " وكان شعار النظريتين المتنازعتين : هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ فتزعّم المعتزلة جبهة المنادين بـ " خلق القرآن " ، واستجلبوا لصفهم خليفة من أعظم الخلفاء ، وهو " المأمون " ، ووزيراً من أعظم وزراء بني العباس ، وهو " أحمد بن دؤاد " ، وذهب ضحية هذا الخلاف كثيرون ، وثبت القائلون بأن القرآن غير مخلوق ، ثبتوا على رأيهم ، وليس لهم من أمور الحكم شيء ، وتراجع القائلون بـ "خلق القرآن " تحت ضغط الناس ، وخرج الإمام أحمد بن حنبل من المحنة ظافراً ، يُضرب به المثل في الثبات على العقيدة والمبدأ ، وسجّل المعتزلة بموقفهم هذا ومحاولتهم أخذ الناس بالعنف على القول برأيهم ، سجلوا أسوأ مثل على التدخل في الحرية الفكرية ، مع أنهم روّادها الأوائل " . انظر . د. عبد الكريم عثمان : تعليق هامش رقم ١ ص٢٧ كتاب " شرح الأصول الخمسة " للقاضي عبد الجبار . مكتبة وهبة . القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ط١

(٢)جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص٧٠ ، وانظر أيضاً . ابن قيم الجوزية : اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية . دار المعرفة . ص٦٦ : ٩١ ، ابن قيم الجوزية : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . اختصار . محمد بن الموصلي . مكتبة الرياض الحديثة . الرياض . ج١ ص٣٠٦ ، ٣٠٧.

(٣)سورة الفتح : آية رقم ٢٩

، فهم أخوة يتراحمون ، يتآلفون ، ولا يتباغضون ، ولا يلزم من اختـــلاف الرأي اختلاف القلوب "(١) .

وأما الشق الفكري الكلامي ، فإنّ قول المعتزلة بـــــ " خلــق القــرآن " ربطوا بينه وبين التوحيد والتنزيه ، لأنهم لما كانوا يدافعـــون عــن مبــدأ التوحيد ، فقد أعلنوا معارضتهم الشديدة لكل ما من شأنه منافاة هذا المبـدأ ، ومن ثم فقد وجدوا في القول بأن القرآن الكريم ليس مخلوقــاً ، مــا ينــافي القول بوحدانية الله تعالى ، ذلك لأن القول بأن القرآن الكريم غير مخلـــوق سوف يؤدي لا محالة – كما يرون – إلى اعتباره قديماً(٢) ، والقِدم أخـــصّ صفات الله تعالى ، ذلك لأنّ " الله تعالى هو الموجود الذي لا أول لوجـوده ، ولذلك وصفناه بالقديم "(٣) .

ويمكننا تلمّس العلاقة القوية بين قول المعتزلة بـــ " خلـــق القــرآن " ، وبين صراعهم ضد النصارى بفرقهم المختلفة ، حيث رفع النصارى القــول بقِدم الكلمة – المسيح – كمدخل لتأليه عيسى بــن مريــم عليــه الســلام ، وبالتالي فإنّ مبدأ المعتزلة في " خلق القرآن " إنما جاء رداً على النصـــارى الذين يعتقدون بأنّ المسيح عليه السلام هو كلمة الله تعالى القديمــة الأزليــة غير المخلوقة ، والتي هي في صدر الرب(٤) .

وللقاضي عبد الجبار نصوص تبيّن نظرته – الأولى – للقرآن الكريــم

---

(١) جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص١٠٢ ، ١٠٣

(٢) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص٦٩

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص١٨١ ، أبو بكر الباقلاني : التمهيد والــرد على الرافضة والخوارج والمعتزلة . دار الفكر القاهرة . ص٤٦ ، د . محمد عبد الهادي أبو ريـــدة . تكملة ديوان الأصول . لأبي رشيد النيسابوري . دار الكتب . مصر ١٩٦٩م ص٥٧٣ ، ٥٧٤

(٤) د . البير نصري نادر : فلسفة المعتزلة . مصر ١٩٥٠ ط١ ص١١٠ ، د. محمــد عمــارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية . ص٦١

، فالقرآن الكريم " عل من أفعال الله تعالى وهو إحدى النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا ، ، هو من أعظم النعم ، نا با يرجع الحلال والحرام ، وبه تُعرف الشرائ والأحكام "(١) .

هذا ... ويذهد القاضي عبد الجبار – معتزلة بشكل عام – إلى القول بأنّ كلام الله تعالى – القرآن الكريم – حادث بتدأ الوجود ، وإن كان بعض المعتزلة ير ، وجوب الامتناع عن ت به القرآن الكريم مخلوقاً ، مع الاعتراف بحدوثه ، لكن معظم رجال المعن ، نجدهم مجمعين على إطلاق لفظ " المخلوق " على كلام الله تعالى(٢) .

والفرق الكلامية التي عارضت المعتزلة . القول بـ " خلق القرآن" كثيرة(٣) ... فـ ' الحشوية النوابت من الحنـ ذهبت إلى أنّ هذا القرآن المتلو في المحاريب ، والمكتوب في المصاد غير مخلوق ولا ومحدث ، بل قديم مع الله تعالى "(٤) ، والكلابية ترى أن كلام الله تعالى " هو معنى أزلي قائم بذاته تعالى ، مع أنه شيء واحد : توراة وإنجيل وزبور وفرقان"(٥) ، وترى أيضاً أنّ كلام الله عزّ وجل " غير مخلوق ولا محدث

---

(١) القاضي عبد . بار : شرح الأصول الخمسة . ص٦١

(٢) أبو المعالي الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ص١٠٠ وما بعدها .

(٣) حمود بن عبد الله بن حمود التويجري : تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن . دار اللواء للنشر والتوزيع . الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ط . مواضع مختلفة .

(٤) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص ٥٢٠ ، القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن" . تقويم . ابر هد الإبياري . إشراف . د. طه حسين . الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٠هـ/ ٩ م ط١ ص٤ ، أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص٩٦ ، ١٠٦ ، ابن قيم الجوزية : صواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . ص٣١٤ جمال الدين لقاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٨٩ ، ٩٤

(٥) القاضي عبد ار : شرح الأصول الخمسة ص ٥١

، وأنه قديم بقدمه ، وإن لم يوصف كلامه بالقدم ولا بالحدوث ، لأن القديم إنما يكون قديماً بقدم قام به ، ولا يجوز قيام القدم بالصفة ، ولا يقال في القرآن : إنه غير الله تعالى ، ولا بعضه ، ولا هو هو "(١) .

أما مذهب القاضي عبد الجبار في هذه المسألة ، فهو أن القرآن الكريم " كلام الله تعالى ووحيه ، وهو مخلوق محدث ، أنزله الله على نبيه ليكون علماً ودالاً على نبوته ، وجعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال والحرام ، واستوجب منا بذلك الحمد والشكر والتقديس . وإذن هو الذي نسمعه اليوم ونتلوه ، وإن لم يكن من جهة الله تعالى فهو مضاف إليه على الحقيقة "(٢) ، و " القرآن مخلوق محدث مفعول ، لم يكن ثم كان ، فهو غير الله عز وجل ، وأنه أحدثه بحسب مصالح العباد ، وهو قادر على أمثاله ، وأنه يوصف بأنه مخبر به ، وآمر وناه ، من حيث فعله ، والله عز وجل متكلم به "(٣) .

وفي معرض تدليله على القول بـ " خلق القرآن " قدّم القاضي عبد الجبار أدلته معتمداً على العقل والنقل معاً(٤) ، فما كان من أدلة أو براهين عقلية تدعم نظريته ، عرضها القاضي مصحوبةً بتفنيد قول من يقول : أنّ القرآن قديم(٥)، وما كان من أدلة نقلية تؤيد نظريته ، قدّمها القاضي كدليل

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج٧ " خلق القرآن " ص٤

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٢ أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل.ج١ ص٨٠،٨١.

(٣) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٣٠

(٤) المصدر السابق : مواضع مختلفة ، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٣١،٥٣٢

(٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٣١ ، وما بعدها ، القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " . مواضع مختلفة .

على صحة ما يذهب إليه ، وأما الآيات القرآنية الكريمة التي يشير ظاهرها إلى قِدم القرآن الكريم ، فإنّ القاضي يتأوّلها ... كما سنرى بعد .

أولاً : الأدلة العقلية :

• إنّ مدخل القاضي عبد الجبار إلى القول بـ " خلق القرآن " جاء من لزوميات مذهبه في " الكلام " بوجه عام ، و " كلام الله تعالى " بوجه خاص ، فالكلام يعتمد – في أساسه –على اللغة ، والقاضي عبد الجبار يرى أن اللغة توفيقية اصطلاحية ، لأن الصلة وثيقة بين القول بـ " خلق القرآن " من ناحية ، وبين بشرية كلماته ، ولغته ، وحروفه ، وأصواته من ناحية أخرى(١) ، فكيف " لكلام وُضع بلغة مخصوصة ، ومتواضَع عليها ، أن يكون قديماً؟ "(٢) ، وإن الطريق إلى معرفة ذلك " الحوادث التي يستحيل دخولها تحت مقدور العباد،لأن ما يصح دخوله تحت مقدورهم لا يعلم من جهة الله سبحانه وتعالى ، وذلك قائم في الكلام "(٣)،ونحن نعلم أن الكلام " مما يقدر العباد على مثله ، ، مثله مثل الحركات وغيرها ، وكل ما يقدر العباد على مثله فوجود جنسه لا يدل على أنه من فعل الله تعالى ، لتجويز كونه من فعل غيره ، ويفارق ما لا يوصف العباد بالقدرة عليه كالجواهر والألوان ، لأن جنس ذلك يدل على أنه من فعل الله عز وجل ، فإذا صح ذلك فيجب أن يراعى فيما نعلمه كلام الله تعالى ، وقوعه على وجه لا يصح أن يقع من العباد عليه ، أو يتعذّر وقوعه منهم ، وقد علمنا أن الكلام خاصة مما تختلف طرائقه في البلاغة والفصاحة ، وأن الذي يقتضي فيه

---

(١) د. محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية . ص٦٣

(٢) حسني زينة : العقل عند المعتزلة . تصوّر العقل عند القاضي عبد الجبار . دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٩٨٠م ط٢ ص١٢١

(٣) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٥٩،٦٠

كونه كذلك علم فاعله ، وقد جرت العادة بأنه لا يحصل في العرب الذين هم الأصل في الفصاحة من العلم به إلا القدر الذي لا يبلغ حد القرآن في البلاغة ولا يقاربه . فإذا صح ذلك بالعادة ،وقد علم أن هاهنا كلاما خارجا عن هذه الطريقة في البلاغة والفصاحة ، وأنه قد بلغ في ذلك حدا لا يصح منهم مقاربته ، فالواجب أن نعلم أنه ليس من فعل العرب "(١) .

- والقرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، وهو فعل له عز وجل ، لأنه " إذا ادعى عند حدوثه من ظهر على يده النبوة ، فقال : إنه من جهة الله تعالى ، وقد علمنا – بظهور ذلك عليه – صدقه من حيث ظهر عليه ما ينقض العادة ، إما من الكلام أو العلم الذي معه يصح أن يفعل هذا القدر من البلاغة ، فالواجب أن يقطع بصحة ما قاله ، ويعلم أن هذا الكلام من فعله تعالى "(٢) .

- إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، وكلامه تعالى محدث ، لبطلان القول بأنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام قديم ، وبالتالي فكلام الله تعالى لا يجوز إلا أن يكون محدثا ، والدليل على ذلك " أن الكلام حروف منظومة وأصوات مقطوعة ، وقد ثبت فيما هذا حاله أنه محدث ، لجواز العدم عليه ، كما الحال في الأعراض ، فإذا صح أن كلامه تعالى من جنس هذا الكلام ، فيجب استحالة قدمه ، لأن كل مثلين استحال في أحدهما أن يكون قديما فيجب أن يستحيل في الآخر ، لأن من حق القديم أن يكون قديما

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص١٨٠

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع ، أبو القاسم الرسي : كتاب أصول التوحيد والعدل . تحقيق . د. محمد عمارة . دار الهلال . القاهرة ١٩٧١م ص١٠٩ ، أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين . تحقيق . محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٧٠م ج١ ص٦٢ ، ٦٣ ، أبو الحسين الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد . تحقيق . د. نيبرج . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٩٨٨م ص٢٧،٢٨،٧٦،١٤٠

لنفسه ، فما شاركه في جنسه ، فيجب كونه قديماً ، فإذا ثبت كون كلامه من جنس كلامنا وجب القضاء بحدوثه ، كما يجب القضـــاء بحـــدوث إحســـانه وإنعامه "(١) .

- إنّ القرآن الكريم يتقدّم بعضه على بعض ،ومن ثم لا يكون قديمـــاً ، لأن القديم هو ما يتقدمه غيره ، فـ " الهمزة في قوله : الحمد لله ، متقدمـــة على اللام ، واللام على الحاء ، وذلك مما لا يثبت معه القدم ، وهكذا الحال في جميع القرآن ، ولأنه سور مفصلة وآيات مقطعـــة ، لـــه أول وآخـــر ، ونصف وربع ، وسدس وربع ، وما يكون بهذا الوصف كيـــف يجـــوز أن يكون قديماً ؟ "(٢) .

- الكلام مما لا يدرك إلاّ وقتاً واحداً ، ويدرك في حال واحدة ، ثـــم لا يدرك رغم سلامة الحواس وعدم وجود ما يمنع ، وبالتالي فـــهو محـــدث ، لأنّ " ما استحال وجوده إلاّ وقتاً واحداً فكونه قديماً محال "(٣) .

- إنّ الكلام يحتاج في وجوده إلى محل،فلا يصح إلاّ أن يوجد فيـه(٤) ، بمعنى أن " الكلام يختص بالمحل ويستحيل وجوده إلاّ فيه ، وثبوت ذلك فيه يحيل كونه قديماً ، لأن المحال قد ثبت حدوثها ، فما يحتاج في الوجود إليـها ، بأن يكون محدثاً أولى "(٥) .

- إنّ القرآن الكريم غير الله تعالى ، مـــن حيـــث إن القـــرآن الكريـــم متصف بصفات يستحيل وجودها في الله تعالى،أو يستحيل وصف الله تعالى

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعـــدل . ج٧ " خلـــق القـــرآن " ص٨٤ ، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٥٠

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٣١

(٣) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٤ ، ٨٥

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن . ص٣٦

(٥) المصدر السابق : ص٨٥

بها ، فالقرآن الكريم " متجزئ ، متبعّض ، له ثلث وربع ، مدرك مسموع ، محكم مفصّل ، أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وقد تعبّدنا الله بتلاوته وحفظه ، وكل ذلك يستحيل على الله تعالى "(١) ... وبالتالي لما كان القرآن الكريم غير الله تعالى ، يرى القاضي عبد الجبار أنّ القرآن الكريم حادث .

- يرى القاضي عبد الجبار أن القرآن الكريم حادث ، لأنه لو كان قديماً لكان إلهاً ، ذلك لأنّ " القديم قديم لنفسه ، وما شاركه في هذه الصفة فيجب كونه مثلاً له في سائر ما تختص به من الصفات ، وهذا يوجب كونه إلهاً "(٢) ، ولذلك فإن المعتزلة قالوا " إنّ كلام الله تعالى لو كان قديماً لوجب كونه إلهاً "(٣) .
- إنّ القرآن الكريم يعدّ مخالفاً في صفاته لبعض صفات الله تعالى الذاتية ، وهذا يوجب " استحالة كونه قديماً ، ومن خالف القديم عز وجل في بعض صفاته الذاتية ، وجب حدوثه ، وذلك يوجب حدوث كلام الله تعالى "(٤) .
- إنّ الله تعالى خلق القرآن الكريم في " اللوح المحفوظ " ، فلا يجوز نقله إلى مكان آخر ، لأن هناك استحالة في وجود شيء واحد في مكانين معاً في وقت واحد (٥) .

لكل هذه الأسباب رأت المعتزلة الإجماع على القول بأن كلام الله تعالى " لا يكون إلاّ محدثاً ، وأن القول بغير ذلك يجعل القرآن الكريم مشاركاً

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٦

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع ، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٤٩

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٧

(٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٢٨ ، د. عبد الستار الراوي : العقل -

لله تعالى في الأزلية والقِدم، مما يوقع في الشرك ويناقض التوحيد "(١) .

ثانياً : الأدلة النقلية :

لم يكتف القاضي عبد الجبار – والمعتزلة – في إثبات القول بـ " خلق القرآن " بالاعتماد على الأدلة العقلية ، بل تعدوها إلى الأدلة النقلية إذا كانت تؤيد قولهم وتدعم حجتهم ، وتتبعوا الآيات التي يوهم ظاهرها بقدم القرآن ، تتبعوها بالتأويل كي تساير مذهبهم .

هذا ... وقد رصد القاضي عبد الجبار بعض المعاني في آيات القرآن الكريم وسوره ، فدلل من خلالها على صحة مذهبه ، منها :

- المنّ والامتنان :رأى القاضي عبد الجبار أن الله تعالى قد منّ على كثير من رسله وأنبيائه – عليهم السلام – ، والمن – فيما يرى القاضي عبد الجبار – لا يكون إلاّ بما هو حادث ، وبالتالي فقد فسّر القاضي عبد الجبار قول الله تعالى لموسى عليه السلام " إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي "(٢) ، بقوله " إنّ الامتنان لا يقع إلاّ بالمحدث دون القديم "(٣) .

كما أن القاضي عبد الجبار فسّر قوله تعالى " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم "(٤)، بقوله " لو لم يكن القرآن محدثاً ، لم يكن

– والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص٢٦٦ ، وللمزيد حول براهين المعتزلة على رأيهم هذا . انظر . القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " مواضع مختلفة ، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٢٨،٥٢٩،٥٤٢ : ٥٦٣ ، د. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين . ج١ " المعتزلة والأشاعرة " . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧١م ص٤٧٢ : ٤٧٥

(١) د. سعيد مراد : مدرسة البصرة الإعتزالية . ص٥٧٣

(٢) سورة الأعراف : آية رقم ١٤٤

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٥٠

(٤) سورة الحجر : آية رقم ٨٧

الله تعالى منعماً علينا به ، ولا على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولما صح أن يقول الله تعالى "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم "(١) ، لأن المنعم إنما يصح أن ينعم بما أحدثه ، أو ما يجري مجرى الحادث من جهته "(٢) .

- الذكر والإحداث : يرى القاضي عبد الجبار أن الله تعالى قد دلّل على أن القرآن الكريم محدث ، لذكره تعالى " الإحداث " بعد أن ذكر " القرآن الكريم " واصفاً إياه بـ " الذكر " ، فيقول القاضي " إنّ كتاب الله جل وعز يدل على حدوث كلامه ، لأنه تعالى قال بعد أن بيّن أنّ الذكر هو القرآن بقوله " إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون "(٣) ،وقوله جل وعز " وهذا ذكر مبارك أنزلناه "(٤) ، وقوله تعالى " إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين"(٥) ، إنّ الذكر محدث بقوله " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلاّ استمعوه وهم يلعبون "(٦) ، وقوله تعالى " ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين "(٧) ، وهذا نص في حدوث كلامه "(٨) .
- الإحكام والتفصيل والحسن والمتشابه : يرى القاضي عبد الجبار في كون القرآن الكريم محكماً ، ومفصّلاً ، وحسناً، ومنه المتشابه ، يرى القاضي عبد الجبار في ذلك كله تدليلاً على كون القرآن الكريم محدثاً ،

---

(١) سورة الحجر : آية رقم ٨٧
(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٩٣
(٣) سورة الحجر : آية رقم ٩
(٤) سورة الأنبياء : آية رقم ٥٠
(٥) سورة يس : آية رقم ٦٩
(٦) سورة الأنبياء : آية رقم ٢
(٧) سورة الشعراء : آية رقم ٥
(٨) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٧

ولذلك فقد فسّر قول الله تعالى " آلر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير "(١) ، بقوله " بيّن الله تعالى كونه مركباً من هذه الحروف ، وذلك دلالة على حدوثه ، ثم وصفه بأنه كتاب ، أي مجتمع من كتب ، وما كان مجتمعاً لا يجوز أن يكون قديماً ، ووصفه بأنه محكم ، والمحكم من صفات الأفعال ، وقال بعد ذلك : ثم فُصّلت ، وما يكون مفصّلاً كيف يجوز أن يكون قديماً ؟ "(٢) .

ثم يقول القاضي في موضع آخر " قوله تعالى : آلر ، كتاب أحكمت آياته(٣) . يدل على حدوثه ، لأن إحكام الشيء يقتضي حدوثه على وجه مخصوص ، وكذلك وصفُه سبحانه وتعالى القرآنَ بأنه متشابه يقتضي منه حدوثه ، وكذلك وصفُه بأنه مفصل وموصل ، وبأنه جعله عربياً ، وأنه جعله هدىً للناس ، وبياناً ، وشفاءً ، ودلالةً على نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومعجزاً ، إلى ما شاكله من صفاته الجارية هذا المجرى ، لأنها أجمع تقتضي حدوثه على وجه مخصوص ليصح كونه بهذه الصفات"(٤).

ثم يفسر القاضي قول الله تعالى " الله نزّل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني "(٥) ، بقوله " هذا قول من القرآن الكريم يدل على أنه محدث من حيث أنزله ، ومن حيث سماه حديثاً ، ومن حيث وصفه بأنه متشابه ، وما هو قديم لا يصح ذلك فيه "(٦) .

ويفسّر القاضي نفس هذه الآية القرآنية الكريمة في موضع آخر فيقول

---

(١) سورة هود : آية رقم ١

(٢) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة . ص٥٣٢

(٣) سورة هود : آية رقم ١

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٩

(٥) سورة الزمر : آية رقم ٢٣

(٦) القاضي عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن . دار النهضة الحديثة . بيروت . ص٣٦٣

" إن الله تعالى في هذه الآية قد وصف القرآن بأنه منزل أولا ، ثـم قـال : أحسن الحديث ، وصفه بالحسن ، والحسن من صفات الأفعـال ، ووصفـه بأنه حديث ، وهو والمحدث واحد ، فهذا صريح ما ادعيناه ، وسماه كتابـا ، وذلك يدل على حدوثه كما تقدم ، وقال : متشابها ، أي يشبه بعضه بعضـا في الإعجاز والدلالة على صدق من ظهر عليه ، وما هذا حالـه لا بـد أن يكون محدثا "(١) .

وفي موضع ثالث يقول القاضي عبد الجبار " إن الله تعـالى قـال : الله نزّل أحسن الحديث كتابـاً متشـابهاً .(٢) ، وقـال : فبـأي حديـث بعـده يؤمنون.(٣) ، فلا يجوز أن يوصف بذلك إلاّ وهو محـدث ، لأن وصـف الشيء بأنه حديث أبلغ من وصفه بأنه محدث في الدلالة على وجوده بعد أن لم يكن "(٤) .

- حدوث ما تقدّمه غيره : يرى القاضي عبد الجبار أن ما تقدمه غيره لا يعد قديماً ، لأن القدم في تعريفه : هو " الذي لا أول لوجوده "(٥) ، ومـا تقدمه غيره لا يكون قديماً ، وبالتالي فقد فسر القاضي عبد الجبار قـول الله تعالى " ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة "(٦) ، بقوله " هذا القول يوجـب كون القرآن الكريم محدثاً ، لأن ما تقدمه غيره لا يكون قديماً "(٧) .
- التدبير : يرى القاضي عبد الجبار أن كل ما هو مدبَّر فلا بد لـه

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٣٢
(٢) سورة الزمر : آية رقم ٢٣
(٣) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٥
(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٩
(٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص١٨١
(٦) سورة هود : آية رقم ١٧
(٧) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٨

من مدبّر ، مما يعني حدوث الأول ، وبالتالي فقد فسر القـــاضـي قـــول الله تعالى " يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض "(١) ، بقوله " صرّح الله تعـــالى بأن الأمر مدبَّر ، والمدبَّر لا يكون إلا حادثاً "(٢) .

- *الفعل والجعل والتقدير : فالفعل والجعل بمعنى واحد ، وهما عنـــد القاضي عبد الجبار من مقتضيات ما هو حادث ، ولهذا فقد فسر القـــاضـي قول الله تعالى " وكان أمر الله مفعولاً "(٣) ، بقوله " صرّح الله تعالى بـــأن أمره مفعول ، أي حادث "(٤) .*

وفسّر القاضي قول الله تعالى " وكان أمر الله قدراً مقدوراً "(٥) ، بقولـــه " وصفه الله تعالى بأنه " مقدور " والمقدور إذا وُصف به الموجـــود فإنمـــا يعني أنه وُجد عن قدرة قادر ، ويحتمل أن يريد به أن الأمر كـــان قبـــل إحداثه اياه قدراً مقدوراً ، وكل ذلك يبين حدوثه "(٦) .

وفسّر القاضي قول الله تعالى " إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلـــون "(٧)، بقوله " هذا نص يدل على حدوث القرآن ، لأنّ الجعل والفعل سواء فـــي الحقيقة ، وكل ذلك وما شاكله يدل على حدوث القرآن "(٨) .

- *اللغة : إنّ القرآن الكريم نزل عربياً ، ومن هـــذه المسـلمة خلـــص القاضي عبد الجبار إلى القول بحدوث القرآن الكريم ، ففسر قـــول الله*

---

(١) سورة السجدة : آية رقم ٥

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٨

(٣) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٧

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٨

(٥) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٨

(٦) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٨

(٧) سورة الزخرف : آية رقم ٣

(٨) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٩٤

تعالى " قرآناً عربياً غير ذي عوج "(١) ، بقوله " هذا دليل على حدوث القرآن،وعلى أنه حدث بعد لغة العرب ، ليصح أن يُوصف بأنه عربي "(٢).

- التحدّي : إنّ القاضي عبد الجبار يرى أن التحدي إنما يكون بما هو حادث ، وبما هو معجز للقادرين المتفاوتين في القُدر ، ولذلك نجد القاضي وقد فسّر قول الله تعالى " فليأتوا بحديث مثله إنْ كانوا صادقين "(٣) ، بقوله " هذا كلام في التحدي ، وما ثبت من تحديه العرب ، وتقريعه صلى الله عليه وسلم إياهم بالعجز عن مثله يقتضي حدوثه ، لأنّ التحدي بالقديم يستحيل ، لأنه لا يجوز أن يقرعهم بالعجز عمّا يستحيل وقوعه من كل قادر قديم ومحدث ، لأنّ ذلك إنما يصح فيما تتفاضل أحوال القادرين فيه ، ويتقدم بعضهم بعضاً "(٤) .

- الخلق : في قول الله تعالى " اقرأ باسم ربك الذي خلق "(٥) ، يرى القاضي عبد الجبار أن هذا دليل على حدوث القرآن الكريم ، فقال " هذا الكلام أحد ما استدل به العلماء على أن القرآن مخلوق ، لأنه تعالى ذكر اسم ربه ، ثم وصفه بأنه خلق ، فيترجح أن يكون هذا الوصف راجعاً إليه ، وإنْ جاز أن يرجع إلى غيره "(٦) .

هذا من القرآن الكريم ... ، أما من السنة النبوية الشريفة ، فإن القاضي عبد الجبار يريد أن يستدل من بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنّ القرآن الكريم مخلوق حادث ، فيروي قوله عليه الصلاة

---

(١) سورة الزمر : آية رقم ٢٨
(٢) القاضي عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن . ص٣٦٣
(٣) سورة الطور : آية رقم ٣٤
(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٨٩
(٥) سورة العلق : آية رقم ١
(٦) القاضي عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن . ص٤٧١

والسلام " كان الله ولا شيء ، ثم خلق الذكر "(١) ، ثم يقول " وهذا يدل على حدوث القرآن "(٢) .

ويروي قوله عليه الصلاة والسلام " ما خلق الله عز وجل من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي في البقرة "(٣) ، ثم يقول " وهذا يدل على حدوث القرآن "(٤) .

ويروي قوله عليه الصلاة والسلام " لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم "(٥) ، ثم يقول " وهذا دليل حدوث القرآن "(٦) .

---

(١) هذا الحديث نصه : كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ،وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض . انظر . الإمام البخاري : صحيح البخاري . تحقيق . د. مصطفى ديب البُغا . دار ابن كثير . دمشق ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ط٤ ج٣ ص١١٦٦ كتاب " بدء الخلق " . باب " ما جاء في قوله تعالى " وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه " – سورة الروم : آية رقم ٢٧ – حديث رقم ٣٠١٩

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٩١

(٣) هذا قول عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ونصه : ما خلق الله سماءً ولا أرضاً ولا سهلاً ولا جبلاً أعظم من سورة البقرة ، وأعظم آية فيها آية الكرسي . رواه الضريس في كتاب " فضائل القرآن " . تحقيق . مسفر سعد دماس . دار حافظ للنشر والتوزيع . الرياض ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ط١ ص١٥٤ ، وقد سُمي هذا حديثاً رغم إن قائله ابن عباس ، فالحديث يعتبر حديثاً باعتبار من يُسند إليه ، أو من يُضاف ، وقد سُمي هذا حديثاً رغم إن قائله ابن عباس ، فالحديث يعتبر حديثاً باعتبار من يُسند إليه ، أو من يُضاف إليه ، أو باعتبار قائله ، فالمضاف إلى الله تعالى يُسمى حديثاً قدسياً ، والمضاف إلى الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ يُسمى حديثاً مرفوعاً ، والمضاف إلى الصحابي يُسمى حديثاً موقوفاً ، والمضاف إلى التابعي يُسمى حديثاً منقطعاً ، وهناك قول بأن الحديث هو ما رُوي عن الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ وما عداه يُسمى أثراً ، لكن علماء الحديث لا يرون مشاحة في الاصطلاح ، ويعتبرون أقوال الصحابة والتابعين حديثاً ، من ناحية اللغة .

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ " خلق القرآن " ص٩١

(٥) الحديث مروي عن ابن عمر . إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : لا تسافروا بالقرآن ، فإني لا آمن أن يناله العدو . انظر . الإمام مسلم : صحيح مسلم . تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث . بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م ط٤ ج٣ ص١٤٩١ كتاب " الإمارة " باب " النهي عن أن يُسافر بالمصحف إلى ارض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم " .

(٦) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٧ "خلق القرآن " ص٩١

وهكذا... رأينا كيف تتبع القاضي عبد الجبار " كل ما يدل على أن الله تعالى يغير القرآن الكريم أو بعضه ، أو يقدر عليه ، أو يبدله بغيره ، أو يقدر على مثله ، أو يأتي بمثله ، أو يجتزيء منه ، وجعل كل ذلك دلالة على كون كلام الله تعالى محدثاً "(١) .

❀❀❀

لكن هذه الأدلة ، سواء منها العقلية أو النقلية ، لا تعني عدم وجود من يعارضها بأدلة أخرى : عقلية ونقلية كذلك ، ولذلك نجد " أبا المعالي الجويني " يقدم أكثر من دليل على إبطال القول بـ " خلق القرآن " ، وعلى كونه قديماً ، فيقول : الدليل على قدم كلام الله تعالى أنه لو كان حادثاً ، لم يخل من أمور ثلاثة :

إمّا أن يقوم بذات الله تعالى .

وإمّا أن يقوم بجسم من الأجسام .

وإمّا أن يقوم لا بمحل (٢) .

فأما الأمر الأول : فباطل ، لأنّ ذات الله تعالى لا تقوم بها الحوادث ، لأنّ الحوادث إنما تقوم بما هو حادث .

وأمّا الأمر الثاني : فباطل ايضاً ، لأنّ الكلام لو قام بجسم للزم أن يكون المتكلم ذلك الجسم .

وأمّا الأمر الثالث : فباطل كذلك ، لأنّ الكلام لا يصح أن يقوم لا بمحل ، لأنّ الكلام عرض من الأعراض ، ما دام حادثاً ، والأعراض يستحيل

---

(١) د. سعيد مراد : مدرسة البصرة الاعتزالية . ص٥٨١

(٢) أبو المعالي الجويني : لمع الأدلة في قواعد أهل السنة . تحقيق . د. فوقية حسين محمود . الدار المصرية للتأليف والنشر . القاهرة ١٩٦٥م ص٩٠

قيامها بنفسها(١) .

كما أننا نجد ردوداً للإمام " أحمد بن حنبل " خاصة فيما يتعلق بما قدمه القاضي عبد الجبار _ والمعتزلة _ من أدلة نقلية ، فيقول في تفسير الآية القرآنية الكريمة " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث "(٢) ، " وجدنا دلالة من هذا القول على أنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يعلم ، فعلّمه الله تعالى ، فكان ذلك محدثاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم "(٣) .

وإذا كان القاضي عبد الجبار _ والمعتزلة _ يرى أن القرآن الكريم مخلوق حادث ، وأن " أبا حنيفة " قال في هذا الشأن " ما قام بالله غير مخلوق ، وما قام بالخلق مخلوق "(٤) ، يقصد أن كلام الله تعالى له اعتباران :

الأول : اعتباره صفةً لله تعالى كباقي الصفات ، فهو قديم .

الثاني : اعتباره متلواً بألسنة التالين ، ومقروءاً بألسنة القرّاء ،ومحفوظاً في صدور الحفّاظ ، فهو غير قديم ... إذا كان الأمر كذلك ، فإن " أهل السنة " يرون ضرورة التفرقة بين ما هو " فعل العبد " الذي هو تلاوة القرآن الكريم ، وقراءته ، وكتابته ، وحفظه ، وسماعه ، والنظر إليه ، بين " كلام الله تعالى " المتلو ، المقروء ، المكتوب ، المحفوظ ، المسموع ،والمنظور إليه ،المنزّل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقولون: إن فعل العبد مخلوق ، وإن المتلو المقروء غير مخلوق ، وإن المداد والورق

---

(١) أبو المعالي الجويني : لمع الأدلة في قواعد أهل السنة . ص٩١ وما بعدها .

(٢) سورة الأنبياء : آية رقم ٢

(٣) أحمد بن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية . تحقيق . محمد حامد الفقي . مكتبة السنة المحمدية . القاهرة ١٩٦٥م ص٣١ وما بعدها .

(٤) حمو بن عبد الله التويجري : تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن . ص٨

مخلوقان ، وإن المكتوب المثبت في المصاحف غير مخلوق ، وإن أسماع العباد مخلوقة ، وما يسمعونه من القرآن غير مخلوق ، وإن أبصار العباد مخلوقة ، وما ينظرون إليه من القرآن المكتوب غير مخلوق (١) .

وفي نهاية هذه المسألة : مسألة القول بـ " خلق القرآن أو قدمه " ، نجد أن المعتزلة قد غالت في هذا الأمر ، ربما كان الدافع إلي ذلك ، مقدمات عقلية لها تعلق ما بالوحدة والكثرة ، والكمال والنقصان ، وما إلى ذلك مما يمكن تطبيقه على مجالات البحث الإنساني ، لكن إذا تجاوزنا البحث في الإنسانيات والطبيعيات إلى الإلهيات ، فتلك المقدمات قد لا تصلح لهذا المجال(٢) .

لكن هذا لا ينفي – أبداً – كون المعتزلة أصحاب روح نقدية جيدة ، وعقلية تقدمية ، حملت الإنسان مسئوليته ، وقاومت العقليات التواكلية ، فجددت الفكر وطالبت بالحرية ، ونقّت مبدأ التوحيد من شوائب التجسيم والتشبيه ، وخرافات الاتحاد والحلول والامتزاج ، وهذا فيه الكثير من التحرر للعقل الإنساني ، لكن ... ليتهم كانوا أكثر تريثاً وصبراً ، فلم يتسرعوا إلى تحقيق أمور هي بطبيعتها تحتاج في تحقيقها قروناً من الزمن ، وليتهم لم يفرضوا على الناس بالقوة والإكراه أموراً هي بطبيعتها لا تتحقق بغير الإقناع ، إذن لبقوا إلى أيامنا هذه ، ولأثروا تاريخنا الفكري ، ولغيروا تاريخنا كله إلى خير مما نحن فيه .

وحقيقة الأمر ، فإن الأجدى بالجميع الاطمئنان إلى أنّ القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى ، المنزّل على نبيّه ورسوله محمد صلى الله

---

(١) حمو بن عبد الله التويجري : تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن . ص٩ ، ٤٤ وما بعدها .

(٢) د.سعيد مراد : مدرسة البصرة الاعتزالية . ص٥٨٢ ، وما بعدها .

عليه وسلّم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، المشتمل على كل ما فيه صلاح العباد من اعتقاد وتشريع وأخلاق .



المبحث الرابع : في إعجاز القرآن الكريم:

الكلام في إعجاز القرآن الكريم له جذوره الممتدة عبر معظم الدراسات العربية والإسلامية(١) ،اعتماداً أن الخطاب القرآني كان ذا شقين :

الشق الأول :

يتمثل في الخطاب القرآني للدائرة الأكثر اتساعاً وعمومية وشمولية ،وهي دائرة " الناس " حيث جاء الإسلام بالقرآن مخاطباً كل البشر ،ولم يفرق في خطابه في هذا الشق بين الأبيض والأسود ،ولا بين أهل الكتاب والمشركين ،ولا بين العرب وغير العرب ،أو بين راغب في الإسلام وراغب عنه .إلى آخر هذه الثنائيات المتضادة .

الشق الثاني :

يتمثل في الخطاب القرآني للدائرة الأضيق والأخص ،وهي دائرة " المسلمين " أو " المؤمنين " ،حيث قلّ المخاطبون ،لأن الخطاب بات يتوجه إلى من " آمن بالله رباً ،وبالإسلام ديناً ،وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً " ،وكان لابد أن يتبع هذا الإيمان مجموعة من التكاليف تمثل ما يعرف بـ " الشريعة " ،وواضح هنا أن قلة المخاطبين – وهم يمثلون الماصدقات ... بلغة المناطقة – كانت تبعاً لزيادة الأوصاف التي تنطبق عليهم ،وهذه الأوصاف تمثل " المفاهيم ... بلغة المناطقة " ،فعندما كان القرآن الكريم يتوجه بخطابه إلى " الناس "شمل خطابه هذا كل " الناس " ،لكنه – بعد – صار يخاطب " من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ،وبمحمدٍ

---

(١) هاملتون جب : دراسات في حضارة الإسلام . ترجمة . د. إحسان عباس ، د. محمد نجم زايد . بيروت ١٩٦٤م ص ٢٥٦ ، جوستاف لوبون : حضارة العرب . ترجمة . عادل زعيتر . مطبعة الحلبي . القاهرة ١٩٦٤م ط٢ ص١١٢

صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً "فضاقت دائرة الخطاب لتصبح مقتصرة – فقط – على المسلمين .

لكن هذا لا يعفي المنتسب إلى الإسلام من الحساب والمساءلة إذا قصر اعتقاده على طقوس مؤداة ،وأحدث فصلاً بين ما يعتقده وبين ما يمارسه في حياته الخاصة والعامة ،لأنه – هنا – سيكون الحساب وستكون المساءلة ،حيث تميز الإسلام – ضمن ما تميز – بأنه طالب أتباعه بأن يتضمن سلوكهم ما يعتقدون ،وكما أعطى الإسلام " الفرد " خصوصيته وحقوقه ،أعطى " الجماعة " حقوقها ،حتى لتصبح ثنائية " الأنا " و " الآخرون " في الإسلام بعيدة عن أن تكون ثنائية إلا في اللغة فقط ، نظرا لشدة التداخل بين ما هو " لي " وما هو " لهم " ،وهذا الأمر واضح تماماً ليس فقط في أخلاقيات الإسلام ،بل في عقائده أيضاً(١) .

هذه مقدمة أولية للكلام عن الاعجاز في القرآن الكريم ،حيث كانت الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم تقتصر في خطابها إلى أتباعها – في الغالب الأعم – على جانب دون آخر .

وقضية إعجاز القرآن الكريم شغلت المعتزلة كلهم وبشكل عام(٢) ،بل وكل الفرق الكلامية الإسلامية ،ولعل السبب وراء تصدي المتكلمين لهذه القضية أن المهاجمين للقرآن الكريم " كانوا من عتاة المفكرين المتزودين

---

(١) لنا دراسة نرجو أن تكون وافية حول هذه المسألة ،وذلك في بحثنا " الدلالات الذوقية للعبادات عند أبي حامد الغزالي " .منشور في الكتاب التذكاري عن أستاذنا الراحل الدكتور أبي الوفا التفتازاني .دار الهداية للطباعة والنشر .القاهرة ١٩٨٤م .

(٢) يقول أبو الحسين الخياط في هذه الجزئية :وهل يعرف أحد صحح التوحيد وثبت القديم جل ذكره واحداً في الحقيقة ،واحتج لذلك بالحجج الواضحة وألف فيه الكتب ،ورد على أصناف الملحدين من الدهرية والثنوية سوى المعتزلة ؟.أنظر .أبو الحسين الخياط :الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد .ص١٢

بالثقافات الأجنبية المختلفة ،فتصدى لهم علماء الكلام واستطاعوا بقدرتهم على الجدل وتعمقهم إلى أسرار دينهم ،أن يحطموا الهياكل المزيفة ،ويبددوا الإظلام الخادع ،وأن يرفعوا كلمة الله عالياً "(١) .

والقرآن الكريم – في جملته – معجز على كل الصعد ،ومعلن للتحدي بهذا الإعجاز فيما مضى وفيما هو قائم وفيما سيكون ،ولعل من بدايات إعجازه أنه يمثل الدليل على كونه هو نفسه معجزاً ،فيما يعرف بـ " اتحاد الدليل والمدلول " ،ذلك لأن القرآن الكريم هو الوحي الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ،وهو نفسه دليل صدقه صلى الله عليه وسلم من حيث كونه معجزته صلى الله عليه وسلم ،ولهذا قال ابن خلدون " من علامات النبوة وقوع الخوارق للأنبياء شاهدة بصدقهم ،وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها ،فسميت بذلك معجزة ،وليست من جنس مقدور العباد ،وإنما تقع في غير محل قدرتهم "(٢) .

ثم يقول " اعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،فإن الخوارق في الغالب

---

(١) د.منير سلطان :إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة .ص٧ ،وكدليل على صحة القول بأن المعتزلة قد شغلت بالدفاع عن القرآن الكريم ،وإثبات إعجازه كمدخل لإثبات صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .أنظر ما كتبه " عمر رضا كحالة " عن مؤلفات المعتزلة في هذا المجال ،في كتابه " معجم المؤلفين .تراجم مصنفي الكتب العربية " . مكتبة المثني .بيروت .ج٣ ص١٥٩ حيث يقول عن واصل بن عطاء :له مؤلفات منها :معاني القرآن ،الخطب في التوحيد والعدل ،ج٥ ص٧٨ حيث يقول عن القاضي عبد الجبار :له مؤلفات منها :تنزيه القرآن عن المطاعن ،دلائل النبوة ،تفسير القرآن ،ج١٠ ص٢٦٩ حيث يقول عن أبي علي الجبائي :له مؤلفات منها :تفسير القرآن ،ج١٢ ص٣١٧ حيث يقول عن مقاتل بن سليمان :له مؤلفات منها :التفسير الكبير ،الوجوه والنظائر في القراءات ،الآيات المتشابهات .أنظر .د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص١٢٢ هامش رقم ٢ ،ص١٢٤ هامش رقم ٢

(٢) عبد الرحمن بن خلدون :المقدمة .دار الكتب العلمية .بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ط٤ ص٩٤

تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ،وتأتي المعجزة شاهدة بصدقه ،والقـرآن هو نفسه الوحي المدعى وهو الخارق المعجز ،فشاهده في عينه ولا يفتقـر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي ،فهو أوضح دلالة لاتحـاد الدليل والمدلول فيه "(١) .

ويبين لنا ابن خلدون كيف أن معجزة النبـي تكـون أدعـى للتصديـق وأحرى بالاتباع من كثيرين حين يجتمع فيها الدليل والمدلول معا ،كما هـو الحال في معجزة القرآن الكريم ،يبين لنا ابن خلدون ذلك الأمـر مستشـهداً بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم ،يقول فيه " ما من نبي إلا وأوتي مـن الآيات ما مثله آمن عليه البشر ،وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحي إلي ،فأنـا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "(٢) ، يعني أن المعجزة متى كـانت بهذه الصورة من الوضوح وقوة الدلالة ، بمعنى أن تكون المعجـزة هـي نفس الوحي ، كان المصدق لها أكثر ، نظراً لوضوحها ، فيكثر – من ثـم – المصدقون للنبي والمؤمنون به ، وهؤلاء هم التابعون الكثيرون المصدقـون لقوله صلى الله عليه وسلم " فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامـة " أي أن " الرسول صلى الله عليه وسلم يرجو أن يكون أكثر الأنبياء أتباعاً مـن المصدقين له والمؤمنين به يوم القيامة "(٣) .

وإلى قريب من هذا يذهب جلال الدين السيوطي،حيـث يؤكـد الفـارق

---

(١) ابن خلدون :المقدمة ،ص٩٥

(٢) أنظر .الإمام البخاري : صحيح البخاري . طبعـة . دار ابـن كثـير . دمشـق . ضبـط . د.مصطفى ديب البغا ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ط٤ كتاب " الاعتصام بالكتاب والسنة " . باب " قول النبـي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم " مج ٦ ص ٢٦٥٤ ، وهناك نص آخر يحمل نفـس المعنـى وهو " ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحـاه الله تعالى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " . أنظر . الإمام البخاري : صحيح البخـاري . كتاب " فضائل القرآن " باب " كيف نزل القرآن وأول ما نزل " ج٤ ص١٩٠٥ حديث رقم ٤٦٩٦

(٣) ابن خلدون :المقدمة ،ص٩٥

الكبير بين معجزة النبي عليه الصلاة والسلام ،وبين معجزات غيره ممن سبقه من الأنبياء والمرسلين ،فقد كانت معجزات الأنبياء والرسل السابقين للرسول صلى الله عليه وسلم حسيةً ،على حين نجد أن معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عقلية ،فتم التمييز بين معجزة تعتمد على الجانب العاقل الفاهم في الإنسان ،وبين معجزة تعتمد على الجانب الحسي ،وواضح هنا أن ما هو حسي غالباً ما يكون متفرقاً مختلفاً غير باقٍ ،بينما يكون العقل غير متفرق ولا مختلف وباقياً ... يقول السيوطي " إن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ،وهي إما حسية وإما عقلية ،وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية ،وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية،لأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ،ليراها ذوو البصائر "(١) .

ويفسر لنا السيوطي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ،وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ ،فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً "(٢) ،يفسره بأن معناه " أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ،فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ،وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات ،فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون ،يدل على صحة دعواه "(٣) .

ويفسر السيوطي نفس هذا الحديث بمعنى آخر... فيقول"وقيل المعنى أن

---

(١) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .بهامشه .إعجاز القرآن للباقلاني .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ط٣ ج٢ ص١١٦

(٢) الإمام البخاري :صحيح البخاري .ج٤ ص١٩٠٥ حديث رقم ٤٦٩٦

(٣) السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١١٦ ،١١٧

أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشـاهد بالأبصـار : كناقـة صالح وعصا موسى ، ومعجزات القرآن تُشاهَد بالبصيرة فيكون من يتبعـه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهَد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ،والـذي يشاهَـد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً " (١) .

وبوجه عام ... فإن القاضي عبد الجبار لا يختلف تعريفه للمعجز عـن التعريفات السابقة ، فالمعجز عنده – لغة – هو " ما يُعجز الغير ، كمـا أن المقدر ما يقدر الغير " (٢) .

أما تعريف المعجز عنده اصطلاحاً فهو " الفعل الذي يدل علـى صـدق المدّعي للنبوة ، بمعنى أن البشر يعجزون عن الإتيان بمـا هـذا سـبيله ، فصار كأنه أعجزهم " (٣) .

ولا يقف القاضي عبد الجبار على مجـرد ذكـر التعريـف اللغـوي أو الاصطلاحي للأمر المعجز ، بل يتعداه إلى وضع مجموعة من الأوصـاف أو الشروط لهذا الأمر المعجز ،بحيث إذا لم تتوافر فيه هـذه الشـروط أو

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج٢ ص ١١٧

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٦٨

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع ، د. عبـد الرحمـن بـدوي : مذاهـب الإسـلاميين . ج١ ص٤٧٦ ،ونحن نجد أنه في حين يتكلم ابن خلدون عن المعجز فيذكر – إلى جانبه – الكرامات ، ويجعل للمعجز صفة التحدي كدليل على صدق نبوة النبي ، بينما الحال غير ذلك في الكرامة ، إذ لا تحـدي فيها ولا وجوب للتصديق بها، بل ولا إبلاغها ، وقد يكون سترها أولى ، في حين يفعل ابن خلدون هذا، نجد المعتزلة – أو أغلبهم – يرفضون الكرامة والسحر ، وهذا الرفض يتماشى مع مذهبهم بوجه عام ، حتى لا تختلط المعجزة بالكرامة ، بحيث أنهم أوجبوا الإيمان – فقط – بالمعجزات تكون على أيـدي الأنبياء والرسل ، ولا أحد غيرهم . أنظر في تفصيل ذلك . القاضي عبد الجبـار : شـرح الأصـول الخمسة . ص ٥٦٨، د. أبو الوفا التفتازاني : ابن عطاء الله السكندري وتصوفـه . مكتبـة الأنجلـو المصرية . القاهرة ١٩٦٩م ط٢ ص٧٦، د. أحمد إسماعيل الجزار : الولاية بين الجيلاني وابن تيمية . دار الثقافة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٩٠م ص٤٠، د. سيد عبد الستار ميـهوب : الولاية عند عبد الكريم الجيلي . دار الهداية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٤م ط١ ص٧١ :٧٤

الأوصاف عد هذا الأمر غير معجز ، وذلك دليل على دقة مباحثه في هـــذا الأمر وغيره .

- الشرط الأول (١) : أن يكون هذا المعجز حكمه كأنه من جهـــة الله تعالى ، تأسيساً على التفرقة بين نوعين من المعجز (٢) :

الأول : ما لا يكون إلا من عند الله تعالى وجهته ، بحيث لا يقدر عليـــه العباد ، ويمتنع أن يكون في مقدورهم : كإحياء الموتى ، وإبـــراء الأكمـــه والأبرص ، وقلب العصا حية ... وما هو مثل ذلك مـــن الأمـــور التـــي لا يمكن للبشر الإتيان بها .

الثاني : ما يكون من حكمه جواز أن يكون من عند الله تعالى وجهتـــه ، فيمكن أن يقدر عليه العباد ، وقد يكون في مقدورهم ، لكنه لما كـــان فـــوق قدرتهم وطاقتهم – بأي شكل – صار معجزاً ، ولهذا فلو أن الأمر المعجـــز كان في حكم " كأنه " من عند الله تعالى عُد معجـــزاً ، ولا يشـــترط فيـــه " ضرورة " أن يكون من عند الله تعالى .

يقول القاضي عبد الجبار " أول وصف للمعجز أن يكون مـــن جهـــة الله تعالى ، أو في حكم كأنه من جهته جل وعز ، لأن المعجز ليس من شـــأنه كونه من جهة الله تعالى ، بل إذا جـــرى في الحكم كأنه من جهتـــه تعـــالى كفى " (٣) .

- الشرط الثاني : أن يكون الإعلام بالمعجز بعد إعلان النبوة من قبـــل النبي ،وذلك علي سبيل المباشرة بحيث لا يتقدم عليه ولا يتأخر ،أمـــا عـــن

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥" التنبؤات والمعجزات " . تحقيق د. محمود الخضيري ، د. محمود قاسم . مراجعة د. إبراهيم بيومي مدكور . إشراف د. طه حســـين . الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ص١٧٠

(٢) المصدر السابق : ص٢٦٢

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٦٩

عدم تقدم المعجز على إعلان النبوة ، فلأنه لو وقع المعجز على هذه الصورة فلن يكون دليلاً على صدق مدعي النبوة أولى من كونه دليلاً على صدق غيره ، وأما عن عدم تأخر المعجز على إعلان النبوة زمنا ، فلأنه سيكون غير متعلق به ، ولكن يجوز تأخير معجز عن إعلان النبوة زمناً طال أم قصر ، بشرط أن يكون قد سبق هذا المعجز معجز آخر غير متأخر ، ثبت به صدق دعوى النبوة ، فيكون جواز تأخير معجز وجود معجز آخر غير متراخ عن دعوى النبوة ، وهذا هو ما نفهمه من قول القاضي عبد الجبار " إن المعجز يجب أن يكون واقعا عقيب دعوى المدعي للنبوة ، لأنه لو تقدم الدعوى لم تتعلق به ، وكذلك فلو تراخى عنه لم يتعلق به ، إلا أنه إذا ثبت صدق المدعي للنبوة بمعجز وتراخى عن دعواه معجز آخر جاز "(١) .

ويضرب لنا القاضي عبد الجبار مثلاً للمعجز الذي تأخر عن إعلان النبوة ، وصار مقبولاً باعتباره معجزاً ، فيقول " إن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيوب ، نحو إخباره علياً عليه السلام " إنك تقابل الناكثين والمارقين والقاسطين "(٢) ،وقوله لعمار " ستقتلك الفئة الباغية ،وآخر

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٦٩، ٥٧٠، القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥"التنبؤات والمعجزات". ص٢١٣، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : أعلام النبوة . راجعه .طه عبد الرءوف سعد . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص٢٨ ، والماوردي هذا هو : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي ، كان قاضياً من العلماء الباحثين ، له تصانيف كثيرة منها : أدب الدنيا والدين ، الأحكام السلطانية ، أعلام النبوة ، العيون والنكت ، الحاوي في فقه الشافعية ، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ وتوفي سنة ٤٥٠هـ ، ويعتبر من أعلام المعتزلة .

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦"إعجاز القرآن"تقويم . أمين الخولي . الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ط١ ص٣٣٢، والناكثين اسم فاعل من النكث ، والنكث هو : نقض العهد ، والمارقين : قيل فيهم :هم الخوارج الذين يمرقون-

زادكم ضياح من لبن "(١) ، كلها أعلام دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ، مع تأخرها عن دعواه ، جاز ذلك لثبوت صدقه بدلالة أخرى غير هذه الدلالة "(٢) .

- الشرط الثالث : أن يكون المعجز الدال على صدق مدعي النبوة مطابقاً لدعواه ، أي مطابقاً لدعوى مدعي النبوة ، فإذا لم يكن كذلك لم يتعلق بدعواه ، فأصبح لا يدل على صدقه ، ذلك مثل " رجل قال بحضرة جماعة : إني رسول فلان إليكم ، وعلامته أن يحرك رأسه إذا بلغه كلامي هذا ، فإنه إذا بلغه ولم يحرك ، وسكن رأسه لم يدل على صدقه ، إن لم يدل على كذبه "(٣) .

- الشرط الرابع : يجب أن يكون المعجز الذي يراد له أن يدل على صدق مدعي النبوة ناقضاً للعادة التي اشتهرت بين من بعث فيهم مدعي النبوة ، فلو "ادعى أحد النبوة وجعل معجزته طلوع الشمس من مشرقها ، وغروبها من مغربها ، لم تصح دعواه ، ولم يدل ذلك على صدقه ، وبالعكس من ذلك ، فلو ادعى النبوة وجعل معجزته طلوع الشمس من المغرب وغروبها في المشرق ،فإنه يدل على صدقه ،لما انتقض في

= من الدين مروق السهم من الرمية ، أي يجاوزونه ، ويحرفونه ، ويتعدونه ، والقاسطين : اسم فاعل من قسط يقسط فهو قاسط إذا جار ، وأراد بالناكثين أهل وقعة الجمل ، لأنهم كانوا بايعوا علياً رضي الله عنه ، ثم نقضوا بيعته وقاتلوه ، وأراد بالقاسطين أهل الشام ، وأراد بالمارقين الخوارج . أنظر . مجد الدين السعادات : النهاية في غريب الحديث . تحقيق . محمود الطناحي ، طاهر الزاوي . المكتبة العلمية . بيروت ج٣ ص١٠٧ ،ج٤ ص٦٠ ،٣٢٠ ،ج٥ ص١١٤

(١) الضياح : اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط . أنظر . ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث . ج٣ ص١٠٧

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٧٠

(٣) المصدر السابق : ص٥٧٠ ،٥٧١

أحدهما ولم ينتقض في الآخر "(١) ، ولهذا فلابد أن يكون المعجز ناقضاً للعادة خارقاً للقوانين(٢) ،فالمعجز – بهذا المعنى – هو الظاهرة المخالفة للنظام الطبيعي المألوف ،وهي فعل مختار قصدها إظهار أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي وبدعوى البنوة(٣) .

ويجمل لنا القاضي عبد الجبار شروط المعجز بقوله " اعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعاً من الله تعالى حقيقة أو تقديراً ،وأن يكون مما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه ،وأن يتعذر على العباد فعل مثله في جنسه أو صفته ،وأن يكون مختصاً بمن يدعي النبوة "(٤) .

وبين لنا القاضي عبد الجبار الفوارق بين المعجزة – وهي ملزمة –(٥) ،وبين غيرها من الشعوذة وما يتوصل إليه بالحيلة :

فما يتوصل إليه بالحيلة ليس من جهة الله تعالى ،ولا هو في حكم ما هو من جهته تعالى .

وما يتوصل إليه بالحيلة لا يعتبر ناقضاً للعادة ،ولا خارقاً للقوانين التي اعتادها الناس ،وإنما قد يتصور ذلك فيما يتوصل إليه بالحيلة،وذلك التصور

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٧١، أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٢٩، د. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين . ج١ ص٤٧٦ :٤٧٨ .

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص١٨٦،٢٠٢، جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١١٦، د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص١٢٦،١٣٣،١٣٤، د. محمد عمارة : رسائل العدل والتوحيد . دار الهلال . القاهرة ١٩٧١م ط١ ج١ ص٢٣٧

(٣) د. جميل صليبا : المعجم الفلسفي . بيروت ١٩٧٣م ط٢ ص٣٩١،٣٩٢، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني : الرسالة الشافية . تحقيق . محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام . دار المعارف . القاهرة . ذخائر العرب . رقم ١٦ ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز . ص١١٨ وما بعدها .

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥" التنبؤات والمعجزات" ص١٩٩

(٥) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٥٧،١٢٣

إنما " تنفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعته ، ولا يكون له بها دراية ومعرفة ، وليس هذا حال المعجز "(١) .

وما يتوصل إليه بالحيلة يمكن للآخرين تعلمه وتعليمه .

وما يتوصل إليه بالحيلة يحتاج في وجوده إلى آلات وأدوات ، بحيث لو سقطت هذه الآلات والأدوات سقط معها ما يتوصل إليه بالحيلة والشعوذة(٢).

ويشترط القاضي عبد الجبار لصحة المعجز الدال على صحة مدعي النبوة وصدقها أن يكون من جنس ما يتعاطاه ويتفوق فيه أهل زمان كل نبي ، ثم يفوقهم ويقهرهم ذلك المعجز ، فقد جعل الله تعالى " معجزة موسى عليه السلام قلب العصا حية ، لما كان الغالب على أهل ذلك الزمان السحر ، وجعل معجزة عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص ، لما كان الغالب على أهل زمانه الطب "(٣) ،وأيضا " فقد قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة ، ومعجزة عيسى بالأطباء ، فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره ، فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته ، وكذلك الطب في زمن عيسى "(٤) ،و أيضا ... فإن "معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره ،والشائع المنتشر في ناس دهره ،لأن موسى عليه السلام حين بعث في عصر السحرة خص من فلق البحر يبساً ،وقلب العصا حية ،ما بهر كل ساحر،وأذل كل كافر ،وبعث عيسى عليه السلام في عصر الطب ،فخص

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٧٢

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٤) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج٢ ص١١٩ ، القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ "إعجاز القرآن" ص٢٠٥

من إبراء الزمنى،وإحياء الموتى بما أدهش كل طبيب،وأذهل كل لبيب "(١).

وإعجاز القرآن الكريم باب اتسع لكثير من الاتجاهات الباحثة في كـــون القرآن الكريم معجزاً :

فالبعض يرى أن الجانب التشريعي هو دليـــل الإعجـــاز فـــي القـــرآن الكريم(٢) .

والبعض الآخر يرى أن الجمال في المواقف والمعاني والألفاظ المتكـورة ،هو دليل إعجاز القرآن الكريم(٣) .

والبعض الثالث يرى أن الإعجاز العلمي هو الجانب الأقوى الذي يـــدل على إعجاز القرآن الكريم(٤) .

---

(١) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٥٧ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيـــد والعدل .ج١٥ "التنبؤات والمعجزات" ص١٩٤ ،د.محمد عمارة :رسائل العدل والتوحيد .ج١ ص٢٣٨

(٢) أنظر في ذلك قول الشيخ محمد أبو زهرة " إن ما تضمنه القرآن الكريم من العلم الذي هو قوام الأنام في الحلال والحرام ،وفي سائر الأحكام ،هو وجه من وجوه الإعجاز ،فشريعة القرآن هي أقـــوى وجوه الإعجاز ،وهي الدلالة على إعجازه إلى يوم القيامة ،وهي شفاء لأسقام المجتمعات " .أنظر فـــي ذلك .محمد أبو زهرة :أصول الفقه .القاهرة ١٩٥٧م ص٨١ :٨٤

(٣) أنظر في ذلك قول د.عبد الحليم محمود " إعجاز القرآن كامن في " المثلية " ،فلقد كرر القرآن لفظ " مثل " في آيات كثيرة ،وعم هذا اللفظ نواحي كثيرة في آيات القرآن ،بحيث يصبـــح "التمـــاثل " واضحاً في نظم القرآن ،وفي وصفه البديع ،وأسلوبه المتميز بما فيه من أمر ونهي ووعـــد ووعيـــد " .أنظر د.عبد الحليم محمود :التفكير الفلسفي في الإسلام .مكتبة الأنجلو المصرية .القاهرة ١٩٦٨م ط٣ ج١ ص٥٧ نقلاً عن :د.منير سلطان :إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة .ص٤٦

(٤) أنظر في ذلك قول عبد الرازق نوفل " أهم وجوه الإعجاز في القرآن إعجازه العلمـــي ،ففـــي القرآن ما يقرب من ٧٥٠ آية علمية " .أنظر .عبد الرازق نوفل :محمد رسولاً ونبياً .القـــاهرة ١٩٦١م ط١ ص٨٩ ،لكن الجانب العلمي في القرآن – بالمعنى الحرفي للعلمية – لا يجب أن يفهم علـــى هـــذا الوجه ،لأن المفاهيم العلمية قد تصدق حينا ،ثم تأتي نظرية علمية تبطل سابقتها من النظريات العلميـــة ،مما يعني " احتمالية العلم " بينما القرآن الكريم ليس كذلك ،فهو " مؤكد " و " موثق " ،ولهذا فـــ "القرآن لم ينزل ليدلل على نظرية من نظريات الهندسة مثلاً ،ولا ليقرر قانوناً من قوانينها ،وكذلك علم الهندسة لم يوضع ليخدم القرآن ويشرح آياته ويبين أسراره ،وهكذا القول في سائر العلوم الكونيـــة والصنـــائع العالمية،وإن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها وحذقها والتمهر فيها،خصوصا عند الحاجة إليها"–

لكن إجماع الأمة كان أكثر ما يكون حول القول بأن إعجاز القرآن الكريم يكمن في ألفاظه وتراكيبه وسياقاته اللفظية وخصائصه الجمالية(١) ،حتى قرأنا أن القرآن الكريم " تحدى أهل البيان في عبارات محرجة ،ولهجة مرغمة ،أن يأتوا بمثله أو سورة منه فما فعلوا ،ولو قدروا ما تأخروا ،لشدة حرصهم على تكذيبه ومعارضته بكل ما ملكت أيمانهم واتسع له إمكانهم ، وهذا العجز الوضيع بعد ذاك التحدي الصارخ هو أثر تلك القدرة الفائقة، وهذا السكون الذليل بعد ذلك الاستفزاز الشامخ هو أثر ذلك الكلام العزيز"(٢) .

ومن العرض السابق للآراء التي تكلمت في إعجاز القرآن الكريم،يتبين لنا أن القاضي عبد الجبار يرى أن إعجاز القرآن الكريم فصاحته ،تبعاً لرأيه في كون معجزة كل نبي مما مهر فيه قومه واشتهروا به ،فقد "جعل الله سبحانه وتعالى معجزة موسى عليه السلام ،قلب العصا حية ،لما كان الغالب على أهل ذلك الزمان السحر ،وجعل معجزة عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص ،لما كان الغالب على أهل زمانه الطب ،وجعل معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ،وجعله في أعلى طبقات الفصاحة ،لما كانت الغلبة للفصاحة والفصحاء في ذلك الزمان ،وبها كان

-أنظر .محمد عبد العظيم الزرقاني .مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص١٧

(١) أبو بكر الباقلاني :إعجاز القرآن .بهامش كتاب " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ط٣ ج٥٠،٥١ ،سيد قطب :التصوير الفني في القرآن .دار المعارف .القاهرة ١٩٦٦م ص١٨،٣٥،٦١ ،هاملتون جب :دراسات في حضارة الإسلام .ص٢٥٦ ،جوستاف لوبون :حضارة العرب .ص١١٧

(٢) مصطفى صادق الرافعي :إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .دار الكتاب العربي .بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ط٩ ص٧ ،جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١١٦ :١٢٣

يفاخر أهل زمانه ويتباهى "(١) ، ونفس هذا المعنى نجده عند الماوردي ، حيث يقول " ولما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم في عصر الفصاحة والبلاغة ، خُص بالقرآن في إيجازه بما عجز عنه الفصحاء ، وأذعن له البلغاء "(٢) .

ونفس هذا المنحى نجده عند معظم رجال المعتزلة – إن لم يكن جميعهم – وذلك في القول بأن " أعظم طبقة في الحسن بلاغةُ القرآن "(٣) .

✡✡✡✡✡

نظرية إعجاز القرآن الكريم عند القاضي عبد الجبار :

يرى القاضي عبد الجبار أن القرآن الكريم معجزة النبي صلى الله عليه وسلم" الكبرى "، مما يعني إيمان القاضي بأن هناك للنبي – صلى الله عليه وسلم – معجزات أخرى غير القرآن الكريم :

فهناك لدى القاضي إيمان بما ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – من مجيء الشجرة إليه (٤) ،وسقيه – صلى الله عليه وسلم – الكثير بالماء القليل ،وإطعامه الجماعة من الطعام اليسير القليل ،وأنه قد حن إليه جذع كان يخطب إليه ،ذلك لما انتقل النبي للخطبة إلى المنبر ،وأنه تكلمت بين

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٧٢، القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦" إعجاز القرآن " ص ٣١١

(٢) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٥٨

(٣) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني : النكت في إعجاز القرآن . القاهرة ١٩٦٨م ط٢ ص٦٩، ٧٥: ٨٧، والرماني هذا من كبار المعتزلة العارفين بالقرآن الكريم ، واللغة العربية ، والفقه الإسلامي ، وعلم الكلام ، كان يسمى " الجامع " لجمعه بين هذا كله . أنظر . كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي . ترجمة . د. عبد الحميد النجار . دار المعارف . القاهرة ١٩٦٢م ج٢ ص١٨٩ ، جمال الدين أبو الحسن أبو يوسف القفطي : أنباه الرواة . تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتب . القاهرة ١٩٥٢م ج٢ ص٢٩٤

(٤) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٣٤

يديه ذراع شاة مسمومة ، وأنه انشق له القمر ... كل هذه المعجزات الحسية يعلن القاضي عبد الجبار إيمانه بها ، ففي " المغني " نقرأ قوله " من معجزاته ، صلى الله عليه وسلم ، ما ثبت عنه من مجيء الشجرة وعودها مكانها ، عند قوله لها : أقبلي وأدبري ، وأنها أقبلت تخد الأرض خداً ، ومن ذلك ما ظهر وتواتر أنه – صلى الله عليه وسلم – سقى الكثير من الماء القليل ، ومن ذلك ما ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه أطعم الجماعة الكبيرة من يسير الطعام ، ومن ذلك ما ثبت أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يخطب إلى جذع ، فلما تحول عنه إلى المنبر حن كحنين الناقة ، حتى التزم فسكن حنينه ، مع أنه جذع مطروح قد أتى عليه الدهر ، ومن ذلك انشقاق القمر ، فالقرآن قد دل على كونه ، فهو بمنزلة نقل المتواتر وحصول الإجماع ، ومن ذلك ما خبر به – عليه الصلاة والسلام – وشهد القرآن بصحته ، ووقع به التصديق من الكافة ، من أنه أسري به إلى بيت المقدس ، حتى خبرهم بالأمور التي شاهدها ، ومن ذلك ما ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – من الإخبار عن الغيوب "(١) .

وهذا كله – من جانبنا – تدليل على إبطال قول من يقول بأن المعتزلة – والقاضي عبد الجبار – على إجماع على إنكار معجزات النبي – صلى الله عليه وسلم – غير القرآن الكريم (٢) .

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ " إعجاز القرآن " ص ٤٠٧،٤١٣،٤١٥،٤١٦،٤١٩،٤٢٢ .

(٢) أنظر في بعض هذه المزاعم . عضد الدين الإيجي : المواقف . القسطنطينية ١٩٢٨م ص٥٦٣، أبو بكر الباقلاني : التمهيد والرد على الملحدة . نشر .د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، د. محمود الخضيري . القاهرة ١٩٤٧م ص٩٦،١٠٧ :١٠٩ ، أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص٨٥ ، حتى إن الشهرستاني يقول في كتابه " الملل والنحل " ج١ ص٢٢٤ وهو يعرض للنسطورية وتحريفها الأناجيل " إضافة نسطور الحكيم إلى الأناجيل كإضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة " !!! ولا يخفى ما في هذه العبارة من تحامل ظاهر ، فلا المكان مكان عرض لمذهب –

وفي إثباته معجزات النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول القاضي عبد الجبار " فأما من شنع على مشايخنا وزعم أنهم أبطلوا سائر معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ، فكلامه يدل على جهل ، لأن شيوخنا أثبتوها معجزة ودلالة ، لكنهم لم يجوزوا الاعتماد عليها في مكالمة المخالفين " (١) .

وهذا الكلام من القاضي عبد الجبار يجعلنا نقسم المعجزات التي وقعت للنبي عليه الصلاة والسلام ،إلى قسمين :

الأول :ما يعد معجزاً ولا يمكن الاعتماد عليه في مواجهة الخصوم ومحاجاتهم ،وهذا القسم مرتبط بالمشاهدة والمعاينة والحضور ،وهو من المعجزات التي يعلم بأمرها بعد العلم بالنبوة ،لأنه فرع على العلم بها ،وفي ذلك جاء قول القاضي عبد الجبار " لا نعتمد في إثبات معجزة محمد – صلى الله عليه وسلم – على المعجزات التي إنما تعلم بعد العلم بنبوته عليه الصلاة والسلام ،لأن ثبوت ذلك فرع على ثبوت النبوة ،فهي معجزات مؤكدة وزائدة في شرح الصدور في من يعرفها من جهة الاستدلال "(٢) .

الثاني :ما يعد معجزاً ويمكن الاعتماد عليه في مواجهة الخصوم ومحاجاتها ،وهو القرآن الكريم ،فالذي " يمكن أن يعتمد عليه مع المخالفين هو القرآن "(٣) .

- المعتزلة ،ولا المقارنة هنا مقبولة ، ولا طريقة العرض مرضية ، لكنه الثأر المعنوي ، ولهذا فإن هناك آراء كثيرة تنسب إلى المعتزلة لم يقولوا بها،أو تنسب إليهم بطريقة غير طريقتهم ،مما يحدث في نفس القارئ أثراً سلبياً تجاه المعتزلة،وهذه الآراء تنقل عبر كتب المخالفين في الرأي للمعتزلة،مما يشكك فيها.

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦" إعجاز القرآن" ص١٥٢، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٩٥ : ٥٩٨

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦" إعجاز القرآن" ص١٥٢،٤٠٧،٤١٤

(٣) المصدر السابق :ص٢٣٦،٤١٤

وواضح – بعد – أن القاضي عبد الجبار يعلن إيمانه بكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ،من معجزات :القرآن وغيره ،لكنه يميز بين القرآن الكريم ،وبين غيره من معجزات النبي ،فيجعل للقرآن الكريم مزية ليست لغيره ،وهي أنه المعجزة الوحيدة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام ،وتصلح في الرد على المخالفين ،أما غير القرآن الكريم من معجزات تتمثل في خوارق الطبيعة ،فهي تزيد في شرح صدور المؤمنين،لكنها لما كان المعاندون للإسلام غير مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ،صارت هذه المعجزات لا تصلح لمخاطبتهم ،فلا تقوم حجة ،لأن الإيمان بها فرع على الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم(١) .

ومن تفرقة القاضي عبد الجبار في المعجزة بين ما هو معجزة ويمكن أن تحتج به أمام الخصوم والمعاندين،وبين ما هو معجزة ولا يحتج به أمام الخصوم أو المعاندين ، من هذه التفرقة تأسست على يده – أي القاضي عبد الجبار – نظرية متكاملة فريدة في إعجاز القرآن الكريم وتحديه ،ذلك الإعجاز والتحدي اللذان ما زالا قائمين شاهدي عدل على صدق ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ونظرية إعجاز القرآن الكريم عند القاضي عبد الجبار تقوم على أمرين:هدم وتفنيد ادعاءات وأكاذيب المغرضين ،وإثبات صدق ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،وذلك عن طريق إثبات صدق وصحة معجزاته ،عليه الصلاة والسلام .

الأمر الأول :هدم وتفنيد ادعاءات المغرضين :

لا شك أن للقرآن الكريم في العقيدة الإسلامية ،والفكر الإسلامي ،قيمة لا

---

(١) علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢١٤ ،د.منير سلطان :إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة .ص٨١،٨٢.

تماثلها قيمة :فمنه تستقى مسائل الاعتقاد والتشريع والأخلاق ،وقد وجـــدت إلى جانب القرآن الكريم مصادر تشريعية أخرى :كالسنة النبوية المطـــهرة ،والإجماع ،والقياس ،لكن القرآن الكريم كان الأكثر تعرضاً للتحديات والنقد ،وذلك من أول أيام دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وكان ذلك كله مـــن داخل المجتمع ومن خارجه على السواء .

و الثابت تاريخياً أن أعداء الإسلام انهزموا وانداح الإسلام ينتشـــر فـــي أرجاء الأرض ،فقفل أعداؤه راجعين ،لكنهم لم يعدموا طريقة – وطرقـــاً – ليستمروا في إيجاد التحدي بيـــن الإســـلام والجاهليـــة بمفهومـــها العقـــدي والتشريعي والمعرفي ،ومن هنا فقد بدأت مرحلة جديدة ضـــد المســـلمين – والإسلام – تمثلت في مواجهة القرآن الكريم نفسه :فهناك محاولات تقليـــد القرآن الكريم ،أو سورة من سوره الكريمة ،أو آيـــة مـــن آياتـــه الكريمـــة ،وهناك محاولات " الإمامية " لنقد القرآن الكريم .

- أما محاولات تقليد القرآن الكريم ،أو سورة من سوره ،أو آية مـــن آياته الكريمة ... فجاءت مرة من محاولات أهل الكتاب والجـــاهليين ومـــن انضم إليهم ،أن يصوروا الرسول – صلى الله عليه وسلم – على أنه شـــاعر أو كاهن ،حتى يربطوا بين القرآن الكريم وبين الشـــعر والكهانـــة ، لكـــن القرآن الكريم ردهم بنصوصه القطعية ،وذلك في قوله تعالى " إنـــه لقـــول رسول كريم ،وما هو بقول شاعر ،قليلاً ما تؤمنون ،ولا بقول كاهن ،قليـــلاً ما تذكرون "(١) ،وقوله تعالى " وما علمناه الشعر وما ينبغي له ،إن هـــو إلا ذكر وقرآن مبين "(٢) .

وواضح هنا التشديد القرآني على ضرورة الفصل التـــام بيـــن القـــرآن

---

(١) سورة الحاقة :الآيات رقم ٤٠ :٤٢

(٢) سورة يس :آية رقم ٦٩

الكريم ،من ناحية ،وبين الشعر والكهانة ،من ناحية ثانية ،عن طريق نفي صفة " الشاعر أو الكاهن " عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،ومن ثم نفي صفة " الشعر " عن القرآن الكريم ،وتم ذلك بالتفرقة الحاسمة بين القرآن الكريم وبين الشعر :فالقرآن الكريم ليس شعراً ،والشعر ليس قرآناً "حيث حرص المسلمون على إيجاد تفرقة بينية بين مصطلحات القرآن الكريم وبين مصطلحات الشعر ،فلا فواصل الآيات القرآنية الكريمة قوافي(١) ،ولا تلك الآيات القرآنية الكريمة أبيات شعر ،ولا سور القرآن الكريم قصائد شعر ،حتى عندما أراد المسلمون تسميته لم يسموه " سفراً " ولا "ديواناً " ولا ما شابه ذلك من أسماء أو صفات بناء على أن القرآن الكريم شرفه أن يضيف لا أن يضاف إليه ،فكان أن سموه "مصحفاً "(٢) .

بل بلغ الأمر – على الأقل في الصدر الأول للإسلام – أن ذم الشعر ،حتى يتم إبعاد الذهنية العربية – وهي أول متلق للقرآن الكريم بعد النبي صلى الله عليه وسلم – عن أي تصور للتماثل أو المشابهة بين الشعر والقرآن الكريم ،لكن هذا الذم لم يكن على سبيل التحريم ،بقدر ما كان على سبيل " نفي صفة الشعر عن القرآن الكريم لأسباب ترتبط بتصور العرب لماهية الشعر من حيث المصدر والوظيفة ، وبالمثل أراد القرآن الكريم دفع صفة " الشاعر " عن النبي صلى الله عليه وسلم ،لأن وظيفة الشاعر في

---

(١) جاء في " الإتقان " للسيوطي ج٢ ص٩٧ ما نصه " تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها ،وهي الطريقة التي يباين بها القرآن الكريم سائر الكلام ،وتسمى " فواصل " لأنه ينفصل عندها الكلامان ،وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ،وأخذ من قوله تعالى " كتاب فصلت آياته " ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا ،لأن الله تعالى لما سلب عنه أسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح ،وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه " .

(٢) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٥٨

ذلك المجتمع مغايرة للوظيفة التي كلف القرآن الكريم بها النبي محمداً صلى الله عليه وسلم : فالشاعر معبر عن القبيلة ،ومحمد مبلغ لرسالة ،والشعر نص يحقق مصالح القبيلة في مهاجاة أعدائها ونصرة حلفائها ،أو في مدح رجالها وزعمائها ، والقرآن وحي يهدف إلى إعادة بناء الواقع وتغييره إلى الأفضل على كل الصعد ،ومن ثم كان التشديد على أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس شاعراً ولا كاهناً ولا ساحراً ، وعلى أن القرآن الكريم ليس شعراً ولا كهانة ولا سحراً "(١) .

ونفس النفي القائم بين القرآن الكريم والشعر ، يقوم بينه وبين السجع ، بمعنى أننا كما نفينا عن القرآن الكريم الشعر ،نستطيع نفي السجع عنه كذلك ،وإن اختلفت الأسس ،فبينما تم النفي في مجال الشعر اعتماداً على النصوص القرآنية نفسها في المقام الأول ،سيتم النفي في مجال السجع اعتماداً على تعاريف لغوية وحجج منطقية :

فأما التعاريف اللغوية ... فإن السجع يقع على وجه " الزينة الخارجية " ،فيقع اللفظ المسجوع أولاً ثم يتبعه المعنى المفهوم ،بينما الأمر عير ذلك في القرآن الكريم ،حيث اللفظ يتبع المعنى ،ولهذا جاء القول " السجع هو موالاة الكلام على وزن واحد ،ويتبع المعنى فيه اللفظ ،والقرآن فيه اللفظ يتبع

---

(١) د. نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص . دراسة في علوم القرآن . المركز الثقافي العربي . بيروت ١٩٩٠م ط١ ص١٤٠، لكن ... ما يجب توضيحه أن نم الشعر هنا ليس فيه إدانة للشعر كشعر بل هو يدين الشعر الذي كان يراد مساواة القرآن الكريم به ،أو مساواته بالقرآن الكريم ،ولذلك كانت أقوال " حسان بن ثابت " و" عبد الله بن رواحة " مؤيدة بـ " روح القدس " جبريل عليه السلام ،وكان الشعر المضاد مصدره " الشيطان " أو " ابليس " وهذا النوع الأخير من الشعر هو الذي يكون في قلب " المؤمن " أسوأ من القيح . أنظر . د.نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص . دراسة في علوم القرآن . ص١٤٠ ،أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن . على هامش " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي . ج١ ص٧٦ ،الموسوعة العربية الميسرة . دار نهضة لبنان للطبع والنشر . بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ج١ ص٧١٦ ،ج٢ ص١١٧٨

المعنى "(١) .

وأما الحجج المنطقية ... فإن القرآن الكريم " لو كان سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ،ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ،ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز ،وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ،ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ،لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر "(٢) .

وعلى صعيد نفي السجع عن القرآن الكريم أيضا تأكيداً للتباين بينهما :أي القرآن الكريم والسجع ،كمدخل للقول بإعجاز القرآن الكريم ،يتكلم الرماني معرفاً " الفاصلة " في القرآن الكريم فيقول " فواصل الذكر الحكيم حروف متشابكة في المقاطع ،توجب حسن إفهام المعنى "(٣) ،ثم يبين لنا الفارق بين فواصل القرآن الكريم وبين السجع ،فيقول " الفواصل بلاغة ،والسجع عيب ،ذلك لأن الفواصل تابعة للمعاني ،وأما الإسجاع فالمعاني تابعة لها ،ومنها – أي الفواصل – ما هو متجانس وما هو متقارب :فأما المتجانس فمثل قوله تعالى " والطور ،وكتاب مسطور "(٤) ،وأما المتقارب

---

(١) أبو بكر الباقلاني :إعجاز القرآن .على هامش " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي .ج١ ص٨٧،٨٨ ،ج٢ ص٨٣،٨٤

(٢) المصدر السابق :ج٢ ص٨٧ ،وهذا التعريف اللغوي والرد المنطقي إنما يمثلان جانباً من التفكير الأشعري الذي يفصل بين الكلامين :الإلهي ،والبشري ،بمعنى أنهم صرفوا همهم ناحية المعنى لا اللفظ ،كما أنه يجعل القرآن الكريم صفة لله تعالى وليس فعلاً له ،وهذا – بطبيعة الحال – مغاير للتوجه الاعتزالي الذي يرى حدوث كلام الله تعالى ،ويرى في القرآن الكريم فعلاً له تعالى وليس صفة .أنظر في ذلك .قول السيوطي في " الإتقان في علوم القرآن " ج٢ ص٩٢ " القرآن من صفاته تعالى " ،وقول القاضي عبد الجبار في " شرح الأصول الخمسة " ص٥٢٧ " القرآن فعل من أفعال الله تعالى " .

(٣) أبو الحسن الرماني :النكت في إعجاز القرآن .ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز .القاهرة ١٩٦٨م ط٢ ص٧٩

(٤) سورة الطور :الآيتان رقم ١،٢

فمثل قوله تعالى " ق ،والقرآن المجيد ،بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب "(١) .

إنه من الواضح ضرورة الفصل التام بين القرآن الكريم ، من جهة ، وبين الشعر والسجع والكهانة ، من جهة أخرى ، ذلك لأن القرآن الكريم " يخرج عن منظوم الكلام ومنثوره ، ولا يدخل في شعر ولا رجز ولا سجعة ولا خطابة ، حتى تجاوز محصور أقسامه وباين سائر أنواعه بأسلوب لا يشاكل ، ونظم لا يماثل ، فصار – وإن كان من حروف الكلام – خارجاً عن أقسام الكلام "(٢) .

هذا وقد شهد المتقدمون في البلاغة والفصاحة للقرآن الكريم حيث " عرضوا القرآن على السجع والشعر والنظم والنثر ، فلم يوافق شيئاً من طرق كلام العرب "(٣) .

ولتأكيد هذا المعنى القاطع ، والفصل الحاسم ، يُروى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال للذين جاءوا فكلموه في شأن الجنين : كيف نَدى من لا أكل ولا شرب ، ولا صاح فاستَهل ،أليس دمه قد يُطَل ؟ قال لهم : أسجاعة كسجاعة الجاهلية ، وفي بعضها أسجعاً كسجع الكهان ؟"(٤) ،فرأى ذلك " مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ،والقرآن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى ،وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود

---

(١) سورة ق : الآيتان رقم ٢،١ ، وأنظر في ذلك . أبو الحسن الرماني : النكت في إعجاز القرآن . ص٨٠ وما بعدها .

(٢) ابو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦٠

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٤) أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن . بهامش " الإتقان " للسيوطي . ج١ ص٨٧،٨٨

فيه ،وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ "(١) .

ومرة تكون محاولات أهل الكتاب والجاهليين والمغرضين ومن انضم إليهم ،السعي إلى تقليد القرآن الكريم نفسه ،بمقالات وأشعار روج لها الكهنة ومحترفو البلاغة ، في محاولة منهم للقول بمثل القرآن الكريم ، مما يعني عدم إعجازه .

وفي" البرهان الكاشف " نماذج لهذه الترهات ،تبين ركاكة الأسلوب ، وتخبط المعاني وهشاشتها ، وضياع القصد ، على حين نجد القرآن الكريم قد نشأ فيه الإعجاز من جهة التأليف ، وليس التأليف المطلق ، بل التأليف الخاص ،هذا وقد " سلك من رسخ قدمه في الحماقة التأليف عند قصد المماثلة ،من ذلك ما حكي عن مسيلمة الكذاب أنه قال : الفيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ؟ له ذنب وثيل ،وخرطوم طويل "(٢) !!! .

وأيضاً لمسيلمة الكذاب هذا قوله " يا ضفدع نقي ،كم تنقين ،لا الماء تكدرين ،ولا الشراب تمنعين " ،فلما سمع أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – هذا الكلام ،قال : إن هذا الكلام لا يخرج من إله(٣) .

كما أن النضر بن الحارث – وكان من فصحاء قريش – عارض القرآن الكريم بقوله المتصنع " والزارعات زرعاً ،والحاصدات حصداً ،والطاحنات طحناً ،والعاجنات عجناً ،والخابزات خبزاً فاللاقمات لقماً"(٤) !!!.

كما أن أعرابياً قرأ "ألا يا مهلك الفيل ،ومن سار مع الفيل ،وكيد القوم ،

---

(١) أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن . بهامش " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي . ج١ ص٨٨

(٢) كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق د. خديجة الحديثي ،د. أحمد مطلوب . مطبعة العاني . بغداد ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ط١ص٥٤

(٣) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٧١

(٤) المصدر السابق : ص٧٢ ،د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص١٢١

في تب وتضليل ،بطير صبه الله على الفيل أبابيل ،ضحى من طين سجيل ،فصار القوم في قاع كعصف ثم مأكول "(١)!!! ،وقرأ "قد أفلح من هينم في صلاته ، وأطعم المسكين من مخلاته ،واجتنب الرجس وفعلاته ،بورك في بقره وشاته "(٢) !!! .

بل إن الوليد بن المغيرة – وكان على كفره ،وكان أفصح قومه – طلب من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقرءوا له شيئاً من القرآن الكريم " فقرءوا له ،فقال : ليس هذا من كلام البشر ،وليس بشعر . فمضى إليه أبو لهب ،فقال له : أفسدت قريشاً بهذا القول فارجع عنه ،فقال :أقول إنه سحر ،وتد تعاطاه من الشعراء ما خرج عن أسلوبه إلى طريقة شعره ،فقال في قصة الفيل :

ألا من مهلك الفيل	ومن سار مع الفيل
بطير صبه الله	عليهم من أبابيل
رمتهم بجناديل	ترى من طين سجيل
فأضحى القوم في القاع	كعصف غير مأكول (٣) !!

وواضح – هنا – قدر التكلف والتصنع ،ودليل هذا أن الوليد بن المغيرة غلب عليه الطبع ،رغم محاولته تمثل معاني القرآن الكريم ،بل واستعمل ألفاظه ... فقال بعد ذلك ما هو أشد تكلفا وتصنعا :

"وقرأ معلنا ليصدع قلبي	والهوى يصدع الفؤاد السقيما

---

(١) كمال الدين الزملكاني : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . ص٥٥،أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦١

(٢) كمال الدين الزملكاني : البرهان الكاشف . ص٥٥، أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٧٢

(٣) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦٠،٦١

أرأيت الذي يكذب بالدين   فذاك الذي يدع اليتيما "(١)

ولعل لنا في رد " أبي العلاء المعري " على كل هذه الترهات ما يغني عن الإفاضة في بيان تهافتها ،حيث رد " أبو العلاء " أكاذيب وافتراءات كثيرة روّج لها " ابن الراوندي " في كثير من كتبه(٢) ،فقال أبو العلاء " أجمع ملحدٌ ومهتدٍ ،وناكب عن المحجة ومقتدٍ ،أنّ هذا الكتاب الذي جاء به محمدٌ – صلى الله عليه وسلم – كتابٌ بَهَر بالإعجاز ،ولقى عدوه بالأرجاز(٣) .ما حُذِيَ على مثال ،ولا أشبهَ غريبَ الأمثال .وما هو من القصيد الموزون ،ولا الرَّجز من سهل وحزون .ولا شاكل خطابة العرب ،ولا سجع الكهنة ذوي الأرب .وجاء كالشمس اللائحة نوراً للمُسِرَّة والبائحة(٤) ،لو فهمة الهضب الراكد لتصدّع ،أو الوعول المعصمة لراق الفادرَة والصَدَع(٥) .وإن الآية منه أو بعض الآية ، لتَعترض في أفصح كَلِمٍ

---

(١) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٦١ ،وهناك معارضات كثيرة على نفس المنوال الركيك المتهافت .أنظر .أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٧٠ :٧٢

(٢) ابن الراوندي هذا ألّف كتباً تطعن في الإسلام ،وقد رد عليه كثير من رجال المعتزلة ،من أشهرهم " أبو الحسين الخياط " في كتابه " الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد " . ومن كتب ابن الراوندي :التاج .يحتج فيه لقدم العالم ،الدامغ .يطعن فيه على نظم القرآن الكريم ،الزمرد .يحتج فيه لإبطال الرسالة ،نعت الحكمة .تجاوز فيه كل حد فقال عن الله سبحانه وتعالى مالا يليق به جل وعلا ،القضيب .يطعن فيه على علم الله تعالى ،فيدعي أنه سبحانه عالم بعلم محدث ،فهو – عز وجل – لم يكن عالماً حتى خلق لنفسه علماً ،المرجان .في اختلاف أهل الإسلام .وكل هذه المؤلفات المشبوهة نقضها ورد عليها أبو الحسين الخياط في كتابه " الانتصار " .أنظر في ذلك .القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٣٢ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦." إعجاز القرآن " مواضع مختلفة ،أبو الحسين الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد .مواضع مختلفة ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢١٥ وما بعدها

(٣) جمع رِجز :العذاب .

(٤) المُسِرّة :المخفية الكاتمة .من أسرّ الشيء :أخفاه وكتمه ،البائحة .من باح الشيء :أظهره .

(٥) المعصمة :الممتنعة في الجبال ،الفادرة :مؤنث الفادر :الوعل ،الصدع من الوعول :المدمج الشديد الخلق الشاب الصلب القوي .

يقدر عليه المخلوقون ،فتكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غَسَق(١) ،والزهرة البادية في جُدوب ذات نَسَق "(٢) .

• وأما محاولات الإمامية – وغيرهم – نقد القرآن الكريم ،أو الطعن فيه ،فقد ظهرت في محاولات هؤلاء ادعاء أن القرآن الكريم طاله التبديل والتغيير والتحريف ،وحاول هؤلاء أن يثبتوا أن في القرآن الكريم نقصاً ، فبزعمهم أنه كان في الأمة من غير في القرآن الكريم وبدل فيه ،حتى إنهم ليقولون إن الآيات التي تدل على مقام " أئمتهم " وأحوالهم قد تم حذفها(٣) من آيات القرآن الكريم ،و إن القرآن الكريم كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أضعاف ما هو عليه الآن ،فسورة الأحزاب – مثلاً – "كانت بحمل جمل ،وأنه قد زيد فيه ونقص وغير وحرف "(٤) .

وكذلك ... هناك طائفة الحشوية وأهل الحديث تزعم أن القرآن الكريم مأخوذ من أخبار الآحاد ،وأن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان – رضي الله عنهما – قاما بجمع القرآن الكريم بعد أن كان متفرقاً في الصدور :صدور الحفاظ والقراء ،إضافة إلى الخلاف الذي كان موجوداً في المعوذتين ،وسورتي القنوت وآية الرجم(٥) .

فأما الإمامية والروافض فقد زعمت أن القرآن الكريم الموجود الآن

---

(١) جنح غسق :جنح الظلام

(٢) الجدوب :الواحد جدب :المحل ،النسق :ما كان على طريقة نظام واحد،ولعله أراد بذلك نبات النسق :الأرض المغروسة نخلاً على نسق واحد .أنظر في تفصيل ذلك .أبو العلاء المعري :رسالة الغفران .دار صادر .بيروت .ص٢٣٢،٣٢٦،٣٢٧

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٥٣

(٤) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٦٠١

(٥) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٥٣ ،أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٦١،٦٢ ،الجاحظ :رسائل الجاحظ .تحقيق وشرح .عبد السلام هارون .مكتبة الخانجي .القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ط١ ص٢٢٨،٢٢٩

ناقص عما كان عليه أيام النبي – صلى الله عليه وسلم – ،لكن القاضي عبد الجبار يرد على هذا الافتراء ببيان أن القرآن الموجود الآن لا تختلف عليه الأمة ،وإذا كان الأمر كذلك فعدم الخلاف عليه بين الصحابة أولى وأوكد ،وما فعله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان – رضي الله عنهما – من جمع القرآن الكريم وتوقيف الناس على مصحف واحد ،ما كان هذا إلا " لكي يزول الخلاف ،ولا يقع التنازع وتنحسم مادة الاختلاف "(١) .

وأما أهل الحديث فإن القاضي عبد الجبار يرى أنهم – رغم تخطئته لهم – عارفون بنقل القرآن الكريم متواتراً ،فالقرآن الكريم " منقول بالتواتر ،ويبين ذلك من حال أهل الحديث :أنهم رووا عن الرسول صلى الله عليه مسلم ما يدل على ضد ما اعتقدوه ،من أنه – صلى الله عليه وسلم – بيَّن ما لقارئ القرآن من الثواب ،على سورة ،سورة ،ورووا أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ،ورووا أن القرآن كان محفوظاً في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم لجماعة ،وفصلوا بين من كان يحفظه بكماله ،وبين من قرأ على الرسول سبعين سورة "(٢) .

وأما جمع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان القرآن الكريم ،فإنهما ما فعلا ذلك إلا " ليعظم القرآن ،لأنه معتمد الدين ،فوجدوا ما يعود إلى حفظه وحياطته لازماً ،وأن خلاف ذلك مؤدي إلى الفتنة وفساد الدين ،فتشددا في ذلك ،ولهذه العلة لم يتشددا في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الضرب من التشدد ،وإن كانا قد تشددا أيضاً فيه ومنعا من إكثار الرواية في هذا الباب لئلا يكثر الغلط "(٣) .

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ "إعجاز القرآن" ص١٥٤

(٢) المصدر السابق :ص١٥٦،١٥٧

(٣) المصدر السابق :ص١٥٦

والقرآن الكريم عند القاضي عبد الجبار لم يتغير منه حرف ولا أكثر،وبالتالي فألفاظ القرآن الكريم لم تتغير ولم تتبدل(١) ،رغم أن القرآن الكريم لم يكتب في عهده – صلى الله عليه وسلم – ولهذا الأمر أسباب :

منها ... أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – خاف أن يتكل الناس على ذلك ، وتضعف لأجله الرغبات في الحفظ ،فأحب – عليه الصلاة والسلام – أن يتناول حفظاً(٢) .

ولعلنا نعرف أنه في هذا العصر الأثير ،كان المسلمون يحفظون القرآن الكريم في جد شديد ،وكانوا يتدبرون معانيه ويفقهونها ،وبلغ الأمر أن الواحد منهم كان إذا حفظ بعض القرآن الكريم حُسب فقيهاً .

ومنها ... أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يقم بجمع القرآن الكريم لأنه – صلى الله عليه وسلم – كان ينتظر الوحي ،وفيه " الزيادة والنقصان ،وقد كانت تنزل آيات فتُضم إلى مواضع من السور ،فأحب – صلى الله عليه وسلم – أن يتكامل القرآن الكريم على وجه يستقر معه العلم به ،ثم يُجمع ويُدون "(٣) .

ويورد القاضي عبد الجبار نماذج للطاعنين في القرآن الكريم ،ثم يرد عليهم مفنداً أقوالهم ،مبيناً ضعف وتهافت مذاهبهم :

فمن هؤلاء من " طعن في تنزيل القرآن الكريم ،ولم يثبت أن الزيادة والنقصان لاتجوزان عليه "(٤) ،وهؤلاء – كما يرى القاضي عبد الجبار – لا نصيب لهم في الإسلام (٥) ،ذلك لأن القرآن الكريم قد ضمن الله تعالى

---

(١) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٢٠

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦"إعجاز القرآن" ص١٦٥

(٣) المصدر السابق : ص١٦٥،١٦٦

(٤) المصدر السابق : ص٣٤٦، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٦٠١

(٥) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦"إعجاز القرآن" ص٣٨٤

حفظه ، وذلك لقوله تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "(١) ،ثم إن العرب قد كانت لهم عناية كبيرة بالأخبار ،فلأن يعتنوا بالقرآن الكريم أولى ، لأننا "علمنا أن عناية المسلمين بالقرآن الكريم أعظم من عناية أرباب المذاهب بالكتب المصنفة ،وإذا صح فيها المعرفة بالأخبار ،فالقرآن الكريم إن لم يزد على ذلك لم ينقص منه ،وقد علمنا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– علمنا القراءتين : مالك يوم الدين ،وملك يوم الدين ،حتى لا يجوز التشكك في ذلك "(٢) .

ولأن حاول البعض القول بأن القرآن الكريم كان أزيد مما هو عليه ،ثم نقص منه على عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فهذا أمر لا يستقيم ،لأنه "لو جاز ذلك في أيام عثمان بن عفان – مع قرب العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم وشدة العناية بالإسلام – لجاز في غير ذلك من الأوقات ،وكيف يقع ذلك في أيام عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ولا ينكره أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – وإن لم يتمكن كل التمكن في أيامه ،فهلا رد القرآن إلى مثل حاله في أيام خلافته – عليه السلام – وقد علمنا أن الاهتمام بذلك منه أعظم لقدر الدين ،فقد كان يجب أن يقدمه على ما اشتدت عنايته به ،لأن الفساد في تغيير القرآن أعظم من الفساد الواقع مما كان من معاوية ،والصلاح في رده إلى طريقته أعظم من الصلاح بإبطال أمر معاوية ،فهلا تشاغل به ،وصرف الهمة إليه "(٣) .

وإضافة إلى ما سبق في إفحام الإمامية والروافض ،يرى القاضي عبد الجبار أن القول بزيادة أو نقصان في القرآن الكريم سيؤدي إلى أمور تدخل

---

(١) سورة الحجر : آية رقم ٩

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ "إعجاز القرآن" ص٣٨٥

(٣) المصدر السابق : ص٣٨٥،٣٨٦

المسلمين متاهات عقدية وتشريعية :

فلو كان زعمهم هذا صحيحاً " لما كان القرآن معجزاً ولا دالاً على صدق محمد صلى الله عليه وسلم "(١) .

ولو كان زعمهم هذا صحيحاً " لما كانت هناك ثقة بشيء مما يتضمنه من الشرائع والأحكام ،لتجويز أن يكون قد تعبدنا بصلاة سادسة ،وبصوم شهر آخر ،وبحج بيت بخراسان "(٢) .

ولو كان زعمهم هذا صحيحاً " لكنا لا نثق بشيء من الأحكام ،لتجويز أن تكون هذه الأحكام كلها منسوخة ،وقد نقل إلينا المنسوخ "(٣) .

ولو كان زعمهم هذا صحيحاً ،لما عرفنا مداخل الوضوء وأركانه ،فقد "نجوز أن لا يكون غسل الأيدي من واجبات الوضوء ،لتجويز أن يكون قوله تعالى " وأيديكم إلى المرافق "(٤) ،مزيداً ،وفي ذلك من الفساد ما لا خفاء به "(٥) .

وفي هذه المسألة يحمل القاضي عبد الجبار على مروجي هذا الزعم ،ويبين سوء نيتهم وخبث مقصدهم ... فيقول "إن الذي يوردونه من الآيات وتغييرها ،والزيادات فيها ،من أعظم مكايد الشيطان ،ولا يجوز إلا أن يكون من فعل الملحدة ،الذين تستروا بإظهار مذهب " الإمامية " على أنهم يوردون في آيات كثيرة ما يدل على ذكر أمير المؤمنين علي ،وأنه المقدم ،ولو كان ذلك حقا لما ترك – عليه السلام – ذكره في المواقف التي دفع

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٦٠١

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٤) سورة المائدة : آية رقم ٦

(٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٦٠١،٦٠٢

إلى ذكر فضائله ومناقبه فيها "(١) .

وأما طعن البعض في القرآن الكريم وزعمهم أن فيه تناقضاً ، فأكبر ممثل لهؤلاء هو " ابن الراوندي (٢) الملحد " ،والرد عليهم أكثر إفحاما ،لضعف ما يحتجون به ، فهؤلاء الزاعمون وجود تناقض أو اختلاف في آيات القرآن الكريم ،لو أنهم نظروا – باعتبار – إلى معركة – بل معارك – التحدي التي كانت قائمة بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقومه ،وهم من هم معرفةً بالمتناقض والمتخالف ،وقدرةً على إظهار ما تقوى به دعواهم ،ويبطل – من ثم – حجة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحديه لهم ،لكنهم لما علموا أن لا تناقض ولا اختلاف في القرآن الكريم وآياته ... عدلوا عن هذا الأمر إلى غيره ،فقد " كانت العرب أعرف بالتناقض من الكلام من هؤلاء المخالفين ، وكانت على إبطال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أحرص ،وكان – صلوات الله عليه – يتحداهم بالقرآن ،ويقرعهم بالعجز عنه ،فلو كان الأمر في تناقض القرآن على ما قاله القوم ،لكانت العرب في أيامه إلى بيان ذلك أسبق ، فلما رأيناهم قد عدلوا عن ذلك إلى غيره من الأمور ، علمنا بزوال التناقض عنه وسلامته على اللغة"(٣) .

وابن الراوندي –وأمثاله – يحاول ايراد آيات قرآنية كريمة يدعي فيها أنها تناقض آيات أخرى : فيدعي أن قوله تعالى " ليس كمثله

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦" إعجاز القرآن " ص٣٨٦

(٢) المصدر السابق : ص٣٤٦، ٣٩٠،علي فهمي خشيم : الجبائيان . ص٢٢١

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٩٩،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦"إعجاز القرآن" ص٣٨٧،د.عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص١٢٥

شئ "(١) يناقض قوله تعالى " قل هو الله أحد "(٢) ،مما يتأدى معه إلى نفي الصانع (٣) ، لكن الفهم السوي للآيتين الكريمتين ينتهي بنا إلى الإقرار بأنهما " تشتركان في الدلالة على تنزيه الله تعالى عن المثل والند ،غير أن الكاف في إحداهما مزيدة ،ودخولها على " مثل " يقتضي توكيد النفي كلية من خلال نفي المثل "(٤) .

وابن الراوندي – وأمثاله – يدعي أن قوله تعالى " فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم "(٥) يناقض قوله تعالى " وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه "(٦) وقوله تعالى " أولئك الذين طبع الله على قلوبهم "(٧) ،ويرد القاضي عبد الجبار على هذا الادعاء بقوله " إن الآية الأولى يراد بها الحجج والقرآن ،دون العلم بصحة ما جهلوه ،لأنه أطلق العلم ولم يقيده ،والآية الثانية تشبيه لهم لإعراضهم عن النظر فيما أتاهم من الحجج بمن هذا حاله ،فلما أعرضوا وجهلوا وكفروا ،حصل في قلوبهم لكفرهم ما يسمى طبعاً وختماً "(٨) .

وأما طعن البعض في القرآن الكريم من ناحية تكرار قصصه والتطويل

---

(١) سورة الشورى : آية رقم ٥

(٢) سورة الإخلاص : آية رقم ١

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٩٨

(٤) المصدر السابق : ص٥٩٩ ،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٨٩ ،القاضي عبد الجبار :تنزيه القرآن عن المطاعن .ص٣٦٨ ،علي فهمي خشيم : الجبائيات ص٢٢١

(٥) سورة الجاثية :آية رقم ١٧

(٦) سورة الإسراء :آية رقم ٤٦

(٧) سورة النحل :آية رقم ١٠٨

(٨) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن" ص٣٩٠ : ٣٩٦ ،علي فهمي خشيم :الجبائيات .ص٢٢١ :٢٢٣

فيه ،فمما لا شك فيه أن " العادة من الفصحاء جارية بأنهم قد يكررون القصة الواحدة في مواطن متفرقة بألفاظ مختلفة ،لأغراض تتجدد في المواطن وفي الأحوال ،وذلك من دلالة المفاخر والفضائل ،لا من دلالة المعايب في الكلام "(١) .

وأما الحال مع القرآن الكريم ،فنحن نعلم أنه " أُنزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – في ثلاث وعشرين سنة ،حالاً بعد حال ،وكان المعلوم من حاله – عليه الصلاة والسلام – أنه يضيق صدره لأمور عارضة من الكفار والمعارضين ،ومن يقصده بالأذى والمكروه ،فكان – عز وجل – يسليه لما ينزل عليه من أقاصيص من تقدم من الأنبياء – عليهم السلام – ويعيد ذكره بحسب ما يعلمه من الصلاح ،والغرض من ذلك،كما قال تعالى"وكُلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"(٢) ،أي تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ،مما يستوجب أن يعيد عليه ما لحق المتقدمين من الأنبياء من أعدائهم ،ويعيد ذلك ويكرره "(٣) .

وأما التطويل ، فيعد عيباً في " المواضع التي يمكن الإيجاز ويغني عن التطويل فيها ، فأما إذا كان الإيجاز متعذراً ،أو ممكناً ،ولا يقع به المعنى ،فالتطويل هو الأبلغ في الفصاحة ، ولذلك استحبوا في إصلاح ذات البين ،وتقرير الأحوال في النفس ، التطويل "(٤) .

وأما طعن البعض في القرآن الكريم لكون بعضه محكماً والآخر متشابهاً،فهذا مدخل من هؤلاء الطاعنين لنفي كون الله تعالى حكيماً،ونفي

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٩٧

(٢) سورة هود :آية رقم ١٢٠

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٩٧ ، أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٦٠

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦" إعجاز القرآن" ص٤٠١

كون أفعاله سبحانه وتعالى كلها صواباً ،فالطعن بذكر المتشابه " إنما يصح متى ثبت أنه على هذا الوجه لا بد من أن يقبح ،وأن لا يقع من الحكيم ،فأما إذا لم يمكن بيان ذلك ،فلا مطعن به ،لأنا نعلم في الجملة أنه لا بد مع وروده من الحكيم أن يكون كذلك،ومن يطعن في ذلك فليس يخلو أن يكون مسلّماً لكونه تعالى حكيماً،ولكون القرآن معجزاً وواقعاً من جهته تعالى ،أو لايسلم ذلك ،فإن لم يسلمه فالكلام في هذين الأصلين أولى من الكلام في المتشابه ،لأنه لا وجه للكلام في أمر معين :هل هو حكمة أو ليس حكمة ؟ ونحن لا نثبت الفاعل حكيماً ،وإن كان يسلم ذلك فقد زال الطعن ،كما نعلم أن تعبده تعالى بالصلاة وغيرها من العبادات حكمة ، وإن لم نعلم تفصيل وجه الحكمة فيها ،وكما نعلم في سائر أفعاله أنها حكمة وإن لم نعلم الوجه في ذلك "(١) ، هذا من ناحية ،ومن ناحية ثانية فإن كون القرآن الكريم على هذه الهيئة من الجمع بين المحكم والمتشابه له ثلاث فوائد :

الأولي : أن وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم " أدعى لنا إلى البحث والنظر ،والصرف عن الجهل والتقليد "(٢) .

الثانية : أن الجمع بين المحكم والمتشابه فيه من المشقة "ما يكون في باب الثواب أدخل ،لأن القديم تعالى إذا كان غرضه بالتكليف أن يعرضنا به إلى درجة لا تنال إلا بالتكليف ،فكل ما كان أدخل في معناه كان أحسن لا محالة "(٣) .

الثالثة : أن المحكم والمتشابه أدخل في باب الدلالة على كون القرآن الكريم معجزاً ،ودلالة على صدق نبينا محمد ،صلى الله عليه وسلم ،لأن

---

(١) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦"إعجاز القرآن" ص٣٧٠

(٢) المصدر السابق : ص ٣٧٤ ،القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٦٠٠

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٦٠٠

القرآن الكريم " في أعلى طبقات الفصاحة ،ليكون علماً دالاً على صدق النبي ،صلى الله عليه وسلم ،وذلك لا يتم بالحقائق المجردة ،بل لا بد من سلوك طريقة التجوز والاستعارة "(١) .

وهكذا ... رأينا كيف تتبع القاضي عبد الجبار كل دعوى من شأنها أن تنتقص من القرآن الكريم ،وتنفي كونه صحيحاً ،ومنزهاً عن النقص أو الزيادة ،أو التحريف والتبديل ،ورأينا كيف أثبت القاضي عبد الجبار أن القرآن الكريم – كله – حكيم ،لأنه من عند الله تعالى ،الموصوف بالحكمة المنزه عن ضدها ،ومن لم يدرك ذلك فالعيب في المدرِك لا المدرَك .

الأمر الثاني : إثبات صدق ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،بإثبات صحة وصدق معجزاته ،وأهمها القرآن الكريم :

أما الكلام عن إعجاز القرآن الكريم عند القاضي عبد الجبار فمجال واسع ،حيث كانت للقاضي عبد الجبار يد عُليا وقدم راسخة في هذا الأمر ،وكان هذا من القاضي عبد الجبار أمراً طبيعياً متفقاً مع مذهبه العام ، حيث كان القاضي يستمد أصول نظرياته من الإسلام ، ولا شك أن أساس الإسلام هو القرآن الكريم (٢) .

ويمكننا تلمس نظرية إعجاز القرآن الكريم عند القاضي عبد الجبار في ثلاثة أسس :الإعجاز اللغوي ،والإعجاز الإخباري ،والإعجاز الناقض للعادة :

الأساس الأول :الإعجاز اللغوي .أو الإعجاز داخل النص :

---

(١) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٦٠٠ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٧٠ :٣٧٧

(٢) يقول القاضي عبد الجبار " القرآن معتمد الدين ،وهو ما نرجع إليه في الحلال والحرام ،وإليه يرجع في الشرائع والأحكام " .أنظر القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٥٦ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٣٠،٥٣١

يمكننا القول بأن القاضي عبد الجبار يرى في القرآن الكريم المعجزة الأعظم للرسول صلى الله عليه وسلم ،لأن عليه -- أي القرآن الكريم – يمكن الاعتماد فيه في رد الخصوم ،ومواجهة المخالفين ،ولأنه – أي القرآن الكريم – معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ،الباقية،ولا معجزة سواه باقية (١) ،مع الإشارة إلى أن القاضي عبد الجبار يعترف بما عدا القرآن الكريم من معجزات(٢) ،لكنه يجعل هذه المعجزات خوارق للطبيعة ،وهي مؤكدة وزائدة في شرح صدور المؤمنين(٣) ،لكن ما يمكن أن يعتمد عليه في محاجاة الخصوم هو القرآن الكريم(٤) .

والقاضي عبد الجبار يرى في القرآن الكريم أعلى درجات الفصاحة(٥) ،تبعا لمذهبه القائل بأن معجزة كل نبي تأتي في أعلى درجات ما اشتهر به قومه(٦) ،وهو ما يمكن أن نطلق عليه " الإعجاز داخل النص "(٧) ،بمعنى أن القرآن الكريم هو الوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ،وهو – نفسه – معجزته الكبرى ،وهذا معناه استغناء القرآن الكريم عن " دليل خارجي "خارق للعادة يقع على يد الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١١٨

(٢) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٤٠٧،٤١٣،٤١٥،٤١٦،٤١٩،٤٢٢

(٣) المصدر السابق :ص١٥٢،٤٠٧،٤١٤ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢١٤ ،د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص١٢٣

(٤) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٤١٤ .

(٥) القاضي عبد الجبار :المختصر في أصول الدين .ضمن رسائل العدل والتوحيد .تحقيق د.محمد عمارة .دار الهلال .القاهرة ١٩٧١م ط١ ج١ ص١٣٨ ،أبو الحسن الرماني :النكت في إعجاز القرآن .ص٧٠.

(٦) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٧٢ ،القاضي عبد الجبار :المغني .ج١٦ ص٣١١ ،أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٥٨ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢١٩

(٧) د.نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص .دراسة في علوم القرآن .ص١٣٥ وما بعدها .

مؤكداً لرسالته وصدق نبوته ،لأن الحال هنا ،القرآن هو الوحي – القرآن هو المعجزة – اتحد الدليل بالمدلول ،فلم يعد القرآن الكريم في حاجة إلى دليل خارجي يؤكد صدقه ،على غير ما كان عليه الحال في حالات الوحي السابقة ،التي صاحبت الرسل السابقين على الإسلام ،حيث انفصل فيها الدليل عن المدلول ،واحتاج الوحي – من ثم – إلى دليل خارجي يؤكد صدقه ويبين إعجازه (١) .

ومع العلم بأن آراء كثيرة في الإعجاز تصدق على القرآن الكريم (٢) ،إلا أن الغالب والأعم بين المعتزلة أن هناك إجماعاً على أن أهم ما في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز هو بلاغته ،أو ما يمكن أن نطلق عليه " الضبط اللغوي "(٣) .

وعند الكلام عن الضبط اللغوي ،أو النظم المخصوص للقرآن الكريم ،تثار أمامنا مشكلتان :

هل عارض العرب القرآن الكريم ،بما لديهم من مخزون بلاغي وثروة لغوية ،أم صُرفوا عن ذلك ؟.

ما مفهوم الفصاحة وحسن النظم عند القاضي عبد الجبار ؟.

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة . ص٩٤ وما بعدها ،د. نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص . دراسة في علوم القرآن . ص١٣٨

(٢) فمن قائل إن وجه الإعجاز في القرآن الكريم أنه في أعلى درجات الفصاحة ، ومن قائل إن هذا الإعجاز في كون القرآن الكريم ذا نظم غريب وأسلوب عجيب في مطالعه ومقاطعه ، ومن قائل أن هذا الإعجاز فيما أخبر به القرآن الكريم عما كان وما سيكون ... إلى آخر هذه الآراء . أنظر في ذلك . علي فهمي خشيم : الجبائيان . ص٢١٤ ،د. منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة . ص٣٧ :٤٧

(٣) كمال الدين الزملكاني : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . ص٥٣ :٥٦ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان . ص٢١٤ ،٢١٥ ،د. نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص . دراسة في علوم القرآن . ص١٣٨ ، د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص١٢٦

أما المشكلة الأولى ،فإنها ستدخل بنا إلى ما يُعرف في تاريخ الفكر الاعتزالي بـ " الصرفة " والتي تُنسب إلى إبراهيم بن سيار النظام(١) ،الذي كان يرى " أن الآية والأعجوبة في القرآن الكريم ما فيه من الإخبار عن الغيوب ،فأما التأليف فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد،لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم "(٢) .

ويشرح أبو الحسين الخياط هذا الموقف قائلاً " إن القرآن حجة للنبي صلى الله عليه وسلم ،وعلى نبوته عند إبراهيم من غير وجه : فأحدها : ما فيه من الإخبار عن الغيوب ،مثل قوله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض "(٣) ،ومثل قوله تعالى " آلم ،غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون "(٤) ،وقوله تعالى " قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين "(٥) ،ثم قال " ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم ،والله عليم بالظالمين "(٦) ،فما تمناه منهم أحد ،ومثل قوله تعالى "فقل

---

(١) عنه يقول الشهرستاني " يرى النظام أن إعجاز القرآن في الإخبار عن الأمور الماضية والآتية ،ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ،ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً ،حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً " أنظر . أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص٥٦،٥٧،وأيضاً . كمال الدين الزملكاني : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . ص٥٣،أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٧٢،جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١١٩ :١٢٣ ،علي فهمي خشيم : الجبائيان . ص٥١ وما بعدها

(٢) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين . تحقيق . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٥٠م ج١ ص٢٧١،كمال الدين الزملكاني : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . ص٥٣،علي فهمي خشيم : الجبائيان . ص٢١٤

(٣) سورة النور : آية رقم ٥٥

(٤) سورة الروم : الآيات رقم ١ :٣

(٥) سورة الجمعة : آية رقم ٦

(٦) سورة الجمعة : آية رقم ٧

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين "(١) ،ومثل إخباره عما في نفوس قوم ،وعما سيقولونه "(٢) .

وهناك شرح لمعنى " الصرفة " عند النظّام ،فحواه أن الصرفة انصراف أكثر منها صرفة ،ذلك لأن " الإنسان عند النظّام حي مستطيع بنفسه لا بحياة ،واستطاعته هي غيره ،وتبقى الاستطاعة فعّالة ،وقادرة على الفعل إلى أن تحدث في الإنسان آفة أو علة معوقة ،وهذا الإنسان لا يعد قادراً على ما لا يخطر بباله ،بمعنى أن قدرة الإنسان رهن بمدى علمه ،فتصبح القدرة تابعة للعلم ،حتى الإرادة نفسها تأتي مرتبتها بعد مرتبة العلم ،فيصبح الإنسان عالماً للشيء ثم مريداً له ،ثم تقوم القدرة بالتنفيذ ،فالعجز ليس في القدرة الإنسانية ،لكنه في استطاعة القدرة التي منحها الله الإنسان ،فالمنحة التي منحها الله تعالى الإنسان بذلت استطاعتها فاستطاعت كل الأغراض ،ثم لم تستطع القرآن ،وقد حاولت وجربت ففشلت ،لا لأن القرآن قديم ،ولا لأنه حكاية عن القديم ،فالحكاية والأصل واحد عند المعتزلة ،بل لأن المنحة محدودة والقدرة لها نهاية ولا حيلة معها ،فهكذا أراد المانح جل وعلا ،فلو زاد في العطاء لزادت القدرة والاستطاعة .وبذلك يعد مبدأ الصرفة فرعاً على المبدأ الثاني للمعتزلة وهو العدل(٣) ،وهذا معناه أن ما لم يقدر عليه العبد فقد انصرف عنه لسبب ،فالصرفة عند النظّام انصراف أكثر منها صرفة ،ورجوع بعد شعور بالعجز أكثر منه تحويل العجز إلى إعجاز "(٤).

---

(١) سورة آل عمران :آية رقم ٦١

(٢) أبو الحسين الخياط :الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ،ص٤١

(٣) فيه جاء قول القاضي " إن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها " أنظر .القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص١٣٢

(٤) د.منير سلطان :إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة .ص٥١،٥٢ ،ويشرح المؤلف رأي –

والصرفة قد تكون في حد ذاتها وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ،سواء كان العرب قادرين على المعارضة وصُرفوا عنها ،أو صُرفوا حتى عن القدرة عن هذه المعارضة ،ولهذا جاء قول الماوردي " من وجوه إعجاز القرآن الصرفة عن معارضته ،واختلف من قال بها :هل صُرفوا عن القدرة عن معارضته ،أو صرفوا عن معارضته مع دخوله في مقدورهم ؟ على قولين :أحدهما :أنهم صُرفوا عن القدرة ،ولو قدروا لعارضوا ،والقول الثاني :أنهم صُرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم ، والصرفة إعجاز على القولين معاً ، في قول من نفاها ومن أثبتها"(١) .

لكن رأياً آخر ينفي كون " الصرفة " إعجاز ،تأسيساً على الاعتقاد بأن العجز تم من البشر بعد أن أُعلن التحدي ،وكانت قدراتهم باقية غير مصروفة عن هذا التحدي ،وإلى ذلك يشير " السيوطي " بقوله " زعم النظام أن إعجاز القرآن بالصرفة ،أي أن الله صرف العرب عن معارضته ،وسلب عقولهم ،وكان مقدوراً لهم ،لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات ،وهذا قول فاسد ،بدليل " قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً "(٢) ،

-الباقلاني في الإعجاز لينتهي إلى أن الباقلاني عندما يتكلم عن المعجز " سينتهي إلى القول بالصرفة - برغم ظهور التخفيف منها الذي يصبغ شرحه لرأيه - فالباقلاني جعل الباب موصداً من البداية أمام المحاولة ،فعنده أن الله تعالى قد وفق العرب إلى قدر من البلاغة ،لكنه أقدرهم على حد محدود ،وغاية في العرف مضروبة، لعلمه بأنه سيجعل القرآن معجزاً " انظر .د.منير سلطان :إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة .ص٩٩

(١) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٧٢ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣١٨

(٢) سورة الإسراء :آية رقم ٨٨

فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم "(١) ،فالعرب – إذن – حاولوا إلى المعارضة سبيلاً ،لكنهم عجزوا عن ذلك ،مما يعد في قائمة الإعجاز ،ذلك لأنه من وجوه إعجاز القرآن الكريم " عجز الأمم عن معارضته ،وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ،فلم تخرجهم أنفه التحدي ،وصبروا على نغص العجز مع شدة حميتهم وقوة أنفتهم ،وقد سفّه أحلامهم ،وسب أصنامهم ،ولو وجدوا إلى المعارضة سبيلاً ،وكان في مقدورهم داخلاً ،وقد جعله حجة لهم في رد رسالته ،لعارضوه ولما عدلوا عنه إلى بذل نفوسهم في قتاله وسفك دمائهم في محاربته "(٢) و " أما ترك العرب معارضة القرآن وعدولهم عنه إلى المقاتلة فظاهر ،لأنهم حين أحسوا من أنفسهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن ،تركوه إلى المقاتلة ،وذلك يؤذن بعجزهم عن ذلك ،وإلا فالعاقل إذا أمكنه دفع خصمه بأيسر الأمرين لا يعدل إلى أصعبهما "(٣) .

والقاضي عبد الجبار يرفض مبدأ" الصرفة" ويرى في القول به نفي أن تكون للقرآن الكريم مزية التحدي ،لأن التحدي إنما يكون والقدرة متوافرة والدواعي موجودة والهمم منصرفة إليه وليست منصرفة عنه ،والمخاطبون بالتحدي "لم يكونوا ممنوعين من الكلام ،لأن المنع والعجز لا يختص بكلام دون كلام ،وأنه لو حصل ذلك في ألسنتهم لما أمكنهم الكلام المعتاد ،والمعلوم من حالهم خلاف ذلك ،وهذا الوجه لو صح لم يوجب كون القرآن الكريم معجزاً ،وكان يجب أن يكون المعجز منعهم عن فعل مثله ،لكنه

---

(١) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١١٨

(٢) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٧٠،٧١

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٨٨،الجاحظ : رسائل الجاحظ .ص٢٧٤ :٢٧٨

تعالى قال " لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً "(١) ،ولو كان الوجه الذي له تعذر عليهم من المنع لم يصح ذلك ،لأنه لا يقال في الجماعة إذا امتنع عليها الشيء : إن بعضها يكون لبعض ظهيراً ،لأن المعاونة والمظاهرة إنما تكون مع القدرة ،ولا تصح مع العجز والمنع "(٢) .

نخلص في هذا التساؤل الأول عن : هل عارض العرب القرآن الكريم أم لا ؟ إلى القول بأنهم حاولوا ذلك جاهدين ،ولم يستطيعوا فثبت عجزهم ،وثبت – من ثم – إعجاز القرآن الكريم وصدقه في أنه لا أحد من الإنس أو الجن بقادر على أن يوجد مثل هذا القرآن ،ولا سورة من سوره ،ولا آية من آياته ،والأدلة على ذلك كثيرة :

منها ... أن العرب نقلوا إلينا معارضات هشة وركيكة ،كمعارضات مسيلمة الكذاب وغيره ، وهذا يدل على توافر الدواعي وقصد النوايا ووجود الهمم ،وإلا لما كنا نعرف الهش الركيك كما لا نعرف الأقوى (٣) .

ومنها ... أن العرب طُولبوا بالمعارضة تحدياً وإعجازاً ،وهي أسهل من قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ،ومن الناحية العقلية لا يوجد عاقل يترك ما هو سهل إلى ما صعب ،إلا إذا فشل فيما هو سهل(٤) ،وإلا "فكيف اختار

---

(١) سورة الإسراء : آية رقم ٨٨ ،ومن هذه الآية الكريمة ينتهي القاضي عبد الجبار إلى القول " إن الله تعالى قد نبه إلى أن القرآن الكريم له من الرتبة في الفصاحة ما لا يدركه العباد انفردوا أو اجتمعوا ،ولو كانوا يقدرون عليه ،وإن صرفوا عنه، لم يكن لهذا القول معنى " أنظر . القاضي عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن . ص٢٣٢،٢٣٣

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٢٢،٣٢٣، القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٨٦

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٨٩،أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة . ص٦٠،٦١،٧٠ :٧٢

(٤) د.منير سلطان :إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة .ص٧٠،٧١

العرب المقاتلة ،وهي صعب جداً ،على المعارضة التي كانت أسهل عليهم من كل شيء ؟ فلما اشتغلوا بالمقاتلة وأبوا إلا المحاربة التي كانت من المجوّز أن لا يرتفع غرضهم بها بأن تكون الدائرة عليهم ،وتركوا المعارضة التي كانت عندهم – كما يزعمون – بمنزلة الأكل والشرب والقيام والقعود ،تبيّنا عجزهم وقصورهم عن المعارضة "(١) .

وأما المشكلة الثانية ،فقد مرّ بنا أن القاضي عبد الجبار يرى أن أخص وأعظم معجزات النبي – عليه الصلاة والسلام – القرآنُ الكريم ،وأن أخص وأعظم إعجازات القرآن الكريم " كونه قد بلغ في الفصاحة حداً لا يتمكن العرب من معارضته ،وذلك يوجب كونه معجزاً ،ودالاً على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "(٢) .

إن الكلام عن إعجاز القرآن الكريم " من الداخل " أي فصاحته وبلاغته ،لا ينفي الاعتراف بوجود وجوه أخرى للإعجاز ضمها القرآن الكريم ،لكن الإعجاز الأكبر في القرآن الكريم أنه إعجاز نابع من ذات القرآن الكريم ،بمعنى عدم الحاجة إلى تدخل خارجي يمنع من الإتيان بمثله ،لأنه – والحال هكذا – لو صح أن إعجاز القرآن الكريم يكمن في إخباره عن ما مضى وما سيكون ،فسوف تشاركه في ذلك الأمر الكتب السماوية التي سبقته : كالتوراة والإنجيل ،لكن هذه الكتب " ليس شيء منها بمعجز في النظم والتأليف ،وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب ،وإنما لم يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ،ولأنا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع التحدي إلى القرآن ،وأيضاً فإن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٩٠،٥٩١

(٢) المصدر السابق : ص٥٩٢،القاضي عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن . ٢٣٢،٢٣٣

حد الإعجاز "(١) .

وحد الإعجاز المقصود هنا هو اشتمال القرآن الكريم على أعلى درجات الفصاحة ،لأن القرآن الكريم " قد حصل له على كثرته وطوله تناسب في الفصاحة "(٢) ، بمعنى أن القرآن الكريم قد بلغ الغاية القصوى من الفصاحة(٣) .

ويبين لنا القاضي عبد الجبار دلالات الفصاحة من خلال ثلاثة محاور :

الأول :

معيار الفصاحة : فقد تبين لنا مما سبق أنه صار في حكم المسلمات القول بأن القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة ،لكن ما الشروط التي يجب توافرها في اللفظ ليصح كونه فصيحاً ؟ ... يبين لنا القاضي عبد الجبار قسمة الكلام قسمين : ركيك وفصيح ،والفصيح منه " ما صعد إلى أكثر فصاحة ،إلى الأفصح ،إلى المتناهي في الفصاحة "(٤) ،مما يعني أن القدرة على الفصاحة لا بد أن تنتهي عند حد معين فلا تتجاوزه ،وهذا الحد محكوم بمدى العلم وبكيفية تحصيل هذا العلم ،أو هي مشروطة بـ " العلم والوسائل المعينة لهذا العلم من دربة وممارسة ومعاناة "(٥) ،ولما يصل أولو البصر والدراية في الفصاحة إلى معرفة أن القرآن الكريم تجاوز معارفهم وحدود علومهم يكون معجزاً من جهة فصاحته ،فأهل الفصاحة

---

(١) أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن . بهامش "الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي . ج١ ص٤٣،٤٤

(٢) المصدر السابق : ج١ ص٥٣

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٩٤،جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج١ ص١١٩ ،أبو الحسن الرماني : النكت في إعجاز القرآن . ص٣٦،٦٩،٧٠،٧٩ :٨٧

(٤) د. منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة . ص٨٦

(٥) المرجع السابق :نفس الموضع .

" يعلمون أنه قد بلغ النهاية إذا تأملوه ، لأن العلم بذلك – وإن كان ضرورياً في الأصل – فالعلم بأنه قد بلغ النهاية يحتاج إلى تأمل واختبار ،حتى نعرف كيفية وقوع ذلك الكلام المتضمن لذلك المعنى ، ووجوه وقوعه ،وأنه لا منزلة له أعلى من هذه المنزلة ،فيعلم أنه قد بلغ النهاية "(١) .

وللفصيح من الكلام شرطان :أن يكون جزلاً ، وأن يكون اللفظ في معناه حُسْن ،أو بمعنى آخر " المعيار الذي يزن به القاضي عبد الجبار الكلام ويدخله مدخل الكلام الفصيح ،هو أن يكون جزل اللفظ حسن المعنى "(٢) ،ذلك لأن القاضي عبد الجبار يروي عن أبي هاشم قوله " إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحُسْن معناه ،ولابد من اعتبار الأمرين(٣) ،لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى ،لم يعدّ فصيحاً ،فإذن يجب أن يكون جامعاً لهذين الأمرين "(٤) .

الثاني :

العلاقة بين ظهور الفصاحة ونوع الكلام :ففي هذا الشرط يبين لنا القاضي عبد الجبار أن الكلام المفرد غير المجموع ،لا يعد فصيحاً ،ذلك لأن الفصاحة عنده " لا تظهر في أفراد الكلام "(٥) ،وهذا يمهد للقول بأشكال ثلاثة للكلام المجموع :فإما أن يكون الكلام المجموع مترابطاً على هيئة جُمل وعبارات ،لا مجرد كلمات ،وإما أن يكون هذا الكلام الموصوف بالفصاحة قد تحدد من خلال إعرابه ،وإما أن يكون لهذا الكلام صفة

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٩٤

(٢) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص١٢٦

(٣) أي جزالة اللفظ وحُسْن معناه .

(٤) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٩٧ ،أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٥٨

(٥) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٩٩

معروفة من موقعه العام كالتقديم والتأخير ،ولهذا قال القاضي عبد الجبار "الفصاحة تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ،ولابد في الضم أن يكون لكل كلمة صفة ،وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ،وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ،وقد تكون بالموقع ،وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع ،لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها ،ولابد من الاعتبار في كل كلمة ،ثم لابد من اعتبار مثله في الكلمات ،إذا انضم بعضها إلى بعض ،لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة ،وذلك ككيفية إعرابها وحركاتها وموقعها ،فعلى هذا الوجه تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها "(١) .

وما نريد توضيحه هنا ،أن القاضي عبد الجبار بنصه على هذين الشرطين :الجزالة والحُسْن للفظ من ناحية ،وضم الكلام بعضه إلى بعض من ناحية ثانية ،لا يعني الوقوف عندهما وحدهما ،بل إنه يرى أن المزية أو التميز لا يقعان – فقط – في المعنى ،لأن " المعاني ،وإن كان لا بد منها ،فلا تظهر فيها المزية ،وإن كانت تظهر في الكلام لأجلها ،ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر ،والمعنى متفق ،وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع ،والمعبر عنه في الفصاحة أدون ،فهو مما لابد من اعتباره ،وإن كانت المزية تظهر بغيره ،على أنا نعلم أن المعاني لا يقع فيها تزايد ،فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عند الأفراد التي يعبر بها عنها "(٢) .

وهكذا يتبدى لنا أن القاضي عبد الجبار يحرص على " جعل المزية والفصاحة في الألفاظ ،تلك الألفاظ والمفردات اللغوية غير المفردة ،بل

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٩٩

(٢) المصدر السابق :ص١٩٩،٢٠٠

المركبة المنضمة بعضها إلى بعض على شكل مخصوص "(١) .

الثالث :

العلاقة بين الفصاحة ونظم القرآن الكريم :إذا كان القاضي عبد الجبار قد بيّن لنا أن القرآن الكريم معجزٌ لكونه ذا كلام جزل اللفظ حسن المعنى ،ومجموعاً على شكل بلاغي فصيح محدد ،فإن هذا كله لا يختص به أي موضع إلا القرآن الكريم ،فقد " تعين أن إعجاز القرآن الكريم إنما نشأ من جهة التأليف الخاص به ،لا مطلق التأليف ،وذلك بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنةً ،وعلت مركباته معنى "(٢) .

ولنا أن نقول إن حصر الفصاحة في المحاور الثلاثة السابقة ،محاولة من القاضي عبد الجبار لجعل الإعجاز مما يمكن اكتشافه وفق قوانينه ،مع التسليم بأن هناك ما قد يشارك القرآن الكريم في هذه المحاور أو بعضها ،لكن – أبداً – لن يماثل القرآنَ شيءٌ ،فأين " النبع من الغرب ،والصبر من الضرب(٣) ،وهل يحتوي كتاب أو يشتمل خطاب على ما يشتمل عليه كتاب الله تعالى من سهولة لفظ وجزالته ،وبلاغة معنى وغرابته ،وعجائب لا تنقضي ،وعرائس في نفائس الحلي تتجلي ،ومن ثم قالوا :إن له لحلاوة ،وإن عليه لطلاوة ،وإن أسفله لمغدق ،وإن أعلاه لمثمر "(٤) .

ومن هذه الجزئية تظهر لنا نتيجتان :

النتيجة الأولي :تتمثل في " استبعاد التفسيرات الجزئية للإعجاز ،التي

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٩٩،٢٠٠ ،د.نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص .دراسة في علوم القرآن.-ص١٥٣،١٥٤

(٢) كمال الدين الزملكاني :البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن .ص٥٤ :٥٦

(٣) النبع :شجر للقسي والسهام ،ينبت في رؤوس الجبال ،الغَرَب :نبت ضعيف ينبت على الأنهار ،الصبر :عصارة شجر مر ،الضرب :العسل .

(٤) كمال الدين الزملكاني :البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن .ص٥٦

تحصره مرةً في البلاغة ،ومرةً في البديع ، فنقع في دائرة التفرقة بين أجزاء النص التي يكون فيها الإعجاز لائحاً ،وبين الأجزاء الأخرى التي لا يتضح فيها الإعجاز "(١) ،مما يعني أن إعجاز القرآن الكريم قد نراه في الجملة الواحدة ،وفي الجمل الكثيرة ،في الآية القصيرة ،وفي الآية الطويلة ،تأسيساً على أن القواعد التي تخضع لها عملية تفسير أو فهم الفصاحة تؤدي عملها في الجملة الواحدة كما تؤديه في الجمل الكثيرة ،وتؤدي عملها في الآية القصيرة كما تؤديه في الآية الطويلة سواء بسواء(٢) .

النتيجة الثانية : تتمثل في التسليم بأن القول بقوانين لغوية محددة يخضع لها فهمنا للفصاحة ،سوف يؤدي – ضرورةً – إلى استبعاد مفهوم الإيقاع من تحديد خصائص الكلام ،ذلك لأن مفهوم "الوزن " ارتبط ارتباطاً شديداً بالشعر في مفاهيم العقلية العربية ،ولما كانت المغايرة والمباينة بين القرآن الكريم والشعر مغايرة ومباينة ضرورية ،كان سعي القدماء لاستبعاد هذا البعد من مفهوم الفصاحة ،ومن مفهوم الإعجاز كذلك ،حتى مع الاعتراف بوجود علم " القراءات والتجويد "(٣) .

الأساس الثاني : الإعجاز خارج النص . الإعجاز الإخباري :

هذا الأساس من الأسس الثلاثة التي أقام عليها القاضي عبد الجبار نظريته في الإعجاز ،ولا يجب قصره على الكلام على جانب واحد من الإخبار ،بل سنتكلم عن ثلاثة جوانب تمثل – كلها – معنى الإخبار :

الإخبار عن الغيب ،والإخبار عن الماضي ،والإخبار عما في الضمائر :

---

(١) د. نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص . دراسة في علوم القرآن . ص١٥٥،١٥٦

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ "إعجاز القرآن" ص٢٠٠

(٣) د. نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص . دراسة في علوم القرآن . ص١٥٧،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ "إعجاز القرآن" ص٢٠٠ ،وللمزيد حول بيان اللغة في القرآن الكريم . أنظر . كمال الدين الزملكاني : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . ص٥٧ :٦١

فأما الإخبار عن الغيب ،فمما لا شك فيه أن من وجـــوه الإعجـــاز فـــي القرآن الكريم ،الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة(١) ،وهذا القول نخلص منه إلى معرفة الفارق بين الإخبار عن المستقبل عند القاضي عبد الجبـــار ،وهذا الإخبار نفسه عند النظّام ،فبينما هو عند النظّام " وجه للإعجاز فـــي القرآن الكريم "(٢) ،نجده عند القاضي عبد الجبار "أحـــد محـــاور نظريـــة الإعجاز "(٣) ،بدليل قول القاضي عبد الجبار " فأما كون القـــرآن معجـــزاً ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،من حيث يتضمن الإخبار عـــن الغيوب فصحيح"(٤) .

والإخبار بالغيب كأحد وجوه الإعجاز فـــي القـــرآن الكريـــم – مقارنـــاً بالجانب البلاغي – محدود ،لذلك " فإن القاضي عبد الجبار يبـــدي تـــردداً واضحاً في اعتباره – أي الإخبار بالغيب – مماثلاً للنظم في القرآن الكريـــم ،ذلك النظم الذي يستغرق القرآن كله ،لكن القاضي يضـــع الإخبـــار عـــن المستقبل باعتباره دليلاً تكميلياً ووظيفياً لنظريته في الإعجاز "(٥) ،بمعنى أن الإخبار عن الغيوب ليس أمراً عاماً في القرآن الكريم ،وإن كـــان دليـــلاً(٦) ،وهذا الرأي يعضده قول السيوطي بأن القرآن الكريم "منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة ،منها ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ،وما لـــم يكـــن موجوداً فوجد "(٧) ،وقول الماوردي عن إعجاز القرآن الكريم " من إعجـــاز

---

(١) د. منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة . ص٧٠

(٢) أبو الحسين الخياط : الانتصار . ص٢٧،٢٨،٤١

(٣) د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص١٢٩

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ "إعجاز القرآن" ص٣٣٠

(٥) د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص١٣٠

(٦) المرجع السابق : نفس الموضع .

(٧) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ج٢ ص١٢٢

القرآن الكريم ما تضمنه من علم الغيب بأخبار تكون فكانت "(١) .

ويقسم لنا القاضي عبد الجبار الإخبار بالغيب قسمين : أحدهما يتم بعلـــم ،والآخر يتم عن ظن أو تبخيت (٢) واتفاق :

فأما الذي عن ظن وتبخيت وإتفاق " لا يجوز أن ينعقد فيه الصدق علـــى التفصيل وعلى طريقة واحدة ،وإنما يقع الصدق من القليل "(٣) .

وأما الذي عن علم ،ففيه " يصح الاستدلال بوقوع الأخبار الكثيرة عـــن الأمور المفصلة صدقاً ،على علم المخبر عنه ،ذلك لأنا علمنا أن القدر الذي يعرفه العباد من الأمور المستقبلة لا يبلغ هذا الحد ،لأنه إنما يعلمـــون مـــا جرت العادة بمثله :كحدوث البرد والحر في أوقاتـــهما ،والثمـــار والـــزرع ،وسائر ما يعرف أهل الفلاحة ،وهم إنما يعرفون ذلك على جهة الجملة مـــن غير تفصيل ،وعلى جهة التقريب ،ومن غير تحقيق "(٤) .

وفي بيان هذا الجانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم ،يعتمد القـــاضي عبد الجبار مجموعة آيات قرآنية كريمة ،ليدلل من خلالـــها علـــى صـــدق القرآن الكريم فيما أخبر به من أمور قال بها ،لم تكن ثم وجدت :

قوله تعالى " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظـــهره علـــى الدين كله ،ولو كره المشركون "(٥) ، وقوله تعالى " لقد صدق الله رســـوله الرؤيا بالحق لتدخلن المســـجد الحـــرام إن شـــاء الله محلقيـــن رءوســـكم

---

(١) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦٤

(٢) التبخيت من عبارات المتكلمين ،ويعنون به الاعتقاد الواقع على سبيل الابتداء من غير نظر في شيء ،وأخذه عنهم الفقهاء ،فقال بعض الشافعية ،في اشتباه القبلة :إذا لم يمكنه الاجتهاد صلـــى علـــى التبخيت .أنظر في ذلك .القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٣١ ،هامش رقم ١

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٣١

(٤) المصدر السابق :نفس الموضع .

(٥) سورة الفتح :آية رقم ٢٨

ومقصرين"(١) ،من الدلالات على الإخبار الصادق عن الغيب ،حيث وقع كل ما قال به القرآن الكريم ،وكما أخبر الله تعالى ،حتى إنه " بعد صد المشركين عن دخولها ،ووقوع الشك في نفر من قومه ،بيّن لهم أن ذلك سيكون لا محالة من بعد ،فكان الأمر كما قال ،وحقق الله رؤياه المتقدمة"(٢).

قوله تعالى " آلم ،غلبت الروم ،في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين "(٣) ،يدل على ذلك الإخبار الصادق عن الغيب ،إذ كان الأمر كما أخبر الله تعالى ،فانهزم الفرس ،وتحقق الجانب الغيبي ،مما أصبح أمراً معروفاً ،ودليلاً على صدق بشرى الله تعالى للمؤمنين(٤) .

قوله تعالى " سيهزم الجمع ويولون الدبر "(٥) ،دليل على ذلك الإخبار الصادق عن الغيب ،حيث انهزم المشركون يوم بدر ،وظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ،عليهم(٦) .

قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم "(٧) ،يدل على ذلك الإخبار الصادق عن

---

(١) سورة الفتح :آية رقم ٢٧

(٢) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٣٢ ،القاضي عبد الجبار :تنزيه القرآن عن المطاعن .ص٣٩٣

(٣) سورة الروم :الآيات رقم ١ :٣

(٤) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٣٢ ،القاضي عبد الجبار :تنزيه القرآن عن المطاعن .ص٣١٩

(٥) سورة القمر :آية رقم ٤٥

(٦) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٣٢ ،القاضي عبد الجبار :تنزيه القرآن عن المطاعن .ص١٥٨

(٧) سورة المائدة :آيه رقم ٥٤

الغيب فهو " يحكي عن القبائل العربية المرتدة ،أو التي سترتد في وقت قريب ،بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ،وأن الله سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه ،يجاهدون في سبيله تعالى ،ضد حركات الردة التي استطاع هؤلاء المجاهدون أن يطوقوها وينهوا تمردها ويصفوا قادتها "(١) .

كل هذه الآيات – وغيرها كثير(٢) – يقدمها القاضي عبد الجبار كدليل من جانبه على إعجاز القرآن الكريم ،وتأكيد على الإعجاز الإلهي فيه ،متمثلاً ذلك في " تجاوز القانون الثابت المستقر الذي يخضع لمعطيات التجربة الإنسانية ووقائعها الحسية في زمن ،بينما تفصل المعجزة القرآنية وقائع المستقبل ونتائجها "(٣) .

وأما الإخبار عن الماضي ،وأخبار الأولين من أمم وشعوب وحضارات ،فإن السيوطي يعطينا ضبطاً لأنواع وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ،يتضمن هذا الذي نحن بصدده – أعني الإخبار عن الوقائع الماضية – فيقول " الوجه الرابع ما نبأ به من أخبار القرون السابقة والأمم البائدة والشرائع الداثرة ،مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب ،الذي قطع عمره في تعلم ذلك ،فيورده – صلى الله عليه وسلم – على وجهه ،ويأتي به على نصه ،وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب "(٤) ،ومن ثم يحق لنا التأكيد على أنه إذا كان " الإعجاز الغيبي يمثل أخبار المستقبل

---

(١) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص١٣١

(٢) من المفيد أن نبين – هنا – أن القاضي عبد الجبار التزم الإيجاز في عرض الآيات القرآنية الكريمة التي تبين الإعجاز متمثلاً في أخبار المستقبل ،وإلى هذا يشير بقوله " هذا مما يكثر إن نذكر " أنظر .القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٣٣.

(٣) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص١٣١

(٤) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١٢٢ ،كمال الدين الزملكاني :البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن .ص٥٥

ووقائعه – تفصيلاً(١) – فإن الوجه الآخر لهذا الإعجاز يمثل أخبار الأولين وكتبهم المنزلة ،وما تضمنته من خلق آدم ،عليه السلام ،وما كان له مع الملائكة ،ومع ولده ،ومع إبليس ،وقصة نوح ،عليه السلام ،مع قومه ،ثم إبراهيم ،عليه السلام ،وإسحاق ويعقوب والأسباط ،ويحيي وأيوب وموسى وهارون وعيسى ،وغيرهم من الأنبياء – عليهم السلام – مما يجعل هذه الأخبار أدلة على إعجاز القرآن الكريم ،ومن ثَمَّ على صدق النبي عليه الصلاة والسلام "(٢) ، وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة ... ومنها :

قوله تعالى " تلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ،ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا "(٣) .

قوله تعالى " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك "(٤) .

وهذا كله يعد وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم ،بما تضمنه من أخبار ما مضى من الحوادث ،ومن مضى من الناس ،وقد صار هذا من جملة ما تحدى به القرآن الكريم الجميع ،وخاصة أهل الكتاب الذين وُصفوا بالعناد ،وبالقدر غير المستهان به من القدرة على اللجاج والحجاج ، فجعلت قصص الأمم السابقة كأهل الكهف ،وموسى والخضر ،وذي القرنين ،أدلة على إعجاز القرآن الكريم ،وهذا الإعجاز يعد دليلاً على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،وهو نبي أميّ لم يقرأ تلك الكتب التي تناولت القصص الماضية ،ولا عرف ما فيها ،ولا جلس إلى أحد من علمائها(٥) ،

---

(١) لعل من المفيد في هذا المقام ،الإشارة إلى أن أحداث المستقبل تعد بالنسبة لله تعالى أموراً معلومة ،بدليل رواية هذه الأحداث في القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي .

(٢) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص١٣٢،١٣٣

(٣) سورة هود : آية رقم ٤٩

(٤) سورة يوسف : آية رقم ١٠٢

(٥) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٤٢١

كل هذا ... وغيره ،يعد تأكيداً لقضية الإعجاز القرآني باعتباره عملاً إلهياً ،ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ،قد " أبان لقومه ،ولأهل الكتاب ،من غوامض أسرار وغرائب أخبار جعلوها حجاجاً له وعليه ،ففصح بالجواب عن أسرارها ،وصدع بنعت غوامضها ،فخرج عن العرف إلى ما ليس بعرف ،فصار معجزاً "(١) .

وأما الإخبار عما في الضمائر ،فهذا يُعدّ وجهاً معتبراً من وجوه الإعجاز القرآن الكريم ،ذلك لأنه من المعتمد عند المعتزلة " أن من إعجاز القرآن ما فيه من الإخبار بضمائر القلوب ،التي لا يصل إليها إلاّ علاّم الغيوب "(٢) ،ودليل ذلك قوله تعالى " إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا "(٣)،فحدث ما حكى القرآن الكريم عنه ،دون أن يصدر عن إحداهما أو هما معاً قول أو فعل يظهر الفشل (٤) .

وقوله تعالى " وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ـات الشوكة تكون لكم "(٥) ،فكان ما حكى عنه القرآن الكريم ،وحدث مطابقاً لقول الله تعالى ،وإن لم يتكلموا به (٦) .

<u>الأساس الثالث : الإعجاز خارج النص . الإعجاز الناقض للعادة :</u>

هذا الأساس الثالث – والأخير – الذي أقام عليه القاضي عبد الجبار ظريته في إعجاز القرآن الكريم ،يُعدّ مترابطاً – بشكل ما – مع الأساسين

---

(١) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦٣،٦٤ ،د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص١٣٢،١٣٣

(٢) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦٤

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ١٢٢

(٤) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦٤

(٥) سورة الأنفال : آية رقم ٧

(٦) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٦٤ ،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٤٢١

: الأول والثاني السابقين ،بحيث يكون الثلاثة عملاً متكاملاً ،يتضـــح منـه خرق وتجاوز القرآن الكريم للمنظومة البشرية،والجهد البشري ،فيظهر فـــي العمل الإلهي التوحد والتوافق والانسجام،على حين يتصف العمل البشـــري بغير ذلك،مثل الاختلاف وما شاكله،ولعل هذا هو ما عبر عنه القرآن الكريم بقول الله تعالى "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً"(١) .

إن مبدأ " نقض العادة " يتبدى في كون القرآن الكريم قد ظهر للخاصـــة والعامة معجزاً ،فلم يقدروا على شيء من معارضته ،مع توفـــر الدواعـــي وشدة الحاجة والتحدي للكافة ،ذلك لأن " العادة كانت جارية بضروب مـــن أنواع الكلام معروفة ،منها الشعر ،ومنها السجع ،ومنها الخطـــب ،ومنـــها الرسائل ،ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ،فـــأتى القـــرآن الكريم بطريقة مفردة خارجة عن العادة ،لها منزلة في الحسن تفوق به كـــل طريقة ،ويفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام " (٢) .

ويمكن عد القرآن الكريم ناقضاً للعادة لأنه " تضمن من المعاني والأدلـــة ،والأحكام الشرعية ،واستقامة جميع ذلك ،وزوال التنـــاقض عنـــد التفريـــع ،والاستنباط ،ووضوح القول في ذلك على الأوقات "(٣) .

وقد علمنا أن القاضي عبد الجبار يجعل من " نقـــض العـــادة " شـــرطاً لصحة كون المعجز معجزاً ،فيقول "من شروط المعجز أن يكـــون ناقضـــاً لعادة من بين ظهرانيه ،لأنه لو لم يكن كذلك ،لم يكن ليدل على صدق مـــن ظهر عليه أصلاً "(٤) ،فالقرآن الكريم " انتقضت فيه العادة بأن أنزله جـــبريل

---

(١) سورة النساء : آية رقم ٨٢.

(٢) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج٢ ص١٢٢

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٢٩

(٤) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٧١

،عليه السلام ،فصار القــــرآن معجـزاً لنزولــه ،وعلــى هــذا الوجــه ، ولاختصاص الرسول – عليه الصلاة والسلام – به "(١) .

وفي نهاية كلامنا عن " إعجاز القرآن الكريم " عند القاضي عبد الجبـــار ،يمكننا بيان النقاط الآتية :

أن أحد ما يتبين به عظم شأن القرآن الكريم في الإعجاز " أنه لا وجـــه يطعن به الملحدة ،وسائر من خالف في نبوة محمد – صلى الله عليه وســـلم – إلا وهو غير قادح في كونه معجزاً "(٢) .

أن القرآن الكريم – بالإضافة إلى إعجازه البلاغي ،الإعجاز داخل النص – فهو معجز أيضاً لزوال التناقض والاختـــلاف ،ولأنـــه ضـــم الأخبـــار المستقبلة والماضية ،وما دار في نفوس وضمائر معاصريه ،مما اتفقنا علـــى تسميته بـــ " الإعجاز خارج النص " .

وبعد ... فهذه هي نظرية الإعجاز عند القاضي عبد الجبـــار ،قدمناهـــا ضمن الكلام عن القرآن الكريم عند القاضي عبد الجبار ،وإن كان الشـــرح فيه قد طال ،فلأنها تستحق هذا وأكثر ،لما تمثله من قيمة فكرية وعقدية فـــي وقت واحد .

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٢٣١

(٢) المصدر السابق :ص٣٣٦



الباب الثاني

في النبوة

الفصل الأول

الموقف من النبوة

- المبحث الأول :الكلام عن منكري النبوة
- المبحث الثاني :الرد على منكري النبوة

المبحث الأول : الكلام عن منكري النبوة:

نرى أن العقلية العربية - والعرب هم أول من نزل فيهم ولهم الإسلام - لديها قناعة معرفية وإيمانية شديدة بضرورة وجود فصل - كيفي ونوعي - تام، بين الله تعالى من ناحية، وبين من عداه وما عداه من الموجودات من ناحية ثانية، وهذه العقلية العربية لديها قناعة معرفية وإيمانية شديدة - كذلك - بضرورة وصول كلمة الله تعالى إلى البشر حاملة لهم أوامره تعالى ونواهيه، ولما كان هذا التصور راسخاً في العقلية العربية، كان لابد من وجود " وسيط " ليحمل كلمة الله تعالى للعالمين، وهذا " الوسيط " هو النبي أو الرسول(١) .

وبذلك نستطيع فهم أهمية نظرية النبوة في الفكر الإسلامي - بوجه عام - حتى رأينا كيف أفرد لها كثير من الفلاسفة المسلمين وعلماء الكلام فصولاً في مؤلفاتهم، يتناولون فيها أدلة إثبات النبوة، أو الرد على منكريها(٢).

ولقد عاصر المعتزلة زمناً حفل بتصارع التيارات الفكرية المختلفة

---

(١) د.سيد عبد الستار ميهوب :الولاية عند عبد الكريم الجيلي .ص٦١

(٢) أنظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر .القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ،القاضي عبد الجبار :تثبيت دلائل النبوة ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة ،أبو الحسين الخياط :الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ،أبو نصر الفارابي :آراء أهل المدينة الفاضلة ،ابن سينا: رسالة في إثبات النبوات ،ابن تيمية :الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ،د.ابراهيم بيومي مدكور :في الفلسفة الإسلامية .منهج وتطبيقه .ج١ ،د.أبو الوفا التفتازاني :علم الكلام وبعض مشكلاته ،د.محمد عاطف العراقي :النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ،د.عبد الفتاح بركة :الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ،د.سيد عبد الستار ميهوب :الولاية عند عبد الكريم الجيلي .

المتناقضة ،وبتضارب الاتجاهات الدينية التي اصطبغت بالسياسة ،فكـــان – والحال هكذا – من الطبيعي أن يشهد ذلك العصر مداً إلحادياً ظاهراً غـــير خفي ،كانت له هجمات هنا وهناك على كثير من أوليات الديـــن الإســـلامي ،بوجه عام ،والنبوة ،بوجه خاص ،ولم يكن المهاجمون ينطلقون من فـــراغ ،بل كانوا على وعي تام بأن " النبوة " – في الإسلام – تمثل حجر الزاويـــة ،وإذا تم الطعن فيها بالهجوم عليها ،فإن البنيان العقدي والتشريعي – ومـــن ثم الأخلاقي والاجتماعي والسياسي – ســـوف ينـــهار كليـــاً(١) ،ذلـــك لأن المعتقدات الإسلامية إنما جاءتنا عبر الرسول ،صلى الله عليه وسلم ،ثم ،فـــي مرحلة تالية أعلمنا ،صلى الله عليه وسلم ،التشريعات مـــن خـــلال الفعـــل والترك ،أو الأمر والنهي ،ذلك كله الذي تحول بعد ذلك – بداية من العـــهد المدني – إلى اجتماع وسياسة وأخلاق ،فهذا كله ... سوف تذروه الرياح إذا هدم ذلك المد الإلحادي نظرية النبوة،وبث بين الناس بطلانها وعدم إمكانها.

إن المعتزلة كانوا من أول المدافعين عن نظريـــة النبـــوة(٢) ،إذ كـــانوا مؤمنين بالعقل والوحي معا ،مما أضفي عليـــهم صفتـــي النزعـــة العقليـــة ،والدفاع عن الإسلام(٣) .

---

(١) د.إبراهيم بيومي مدكور :في الفلسفة الإسلامية .منهج وتطبيقه .دار المعارف .القاهرة ١٩٧٧م ط٣ ج١ ص٨٤

(٢) المرجع السابق :ص٨٣ ،وقد كان من بين المدافعين عن نظرية النبوة – بطبيعة الحال – أهل السنة ،حيث ذهبوا إلى القول بأن النبوة اصطفاء من الله تعالى لعبد من عباده ،دون شرط الأعراض أو الأحوال المكتسبة بالرياضات والمجاهدات .

(٣) حاول بعض خصوم المعتزلة اتهامهم بأنهم ينفون النبوة ،وكان منطلق هؤلاء – إذا أحسنا بهم الظن !!! – اعتقادهم بأن المعتزلة ينكرون ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من المعجزات عدا القرآن الكريم ،إضافة إلى قول المعتزلة بالتحسين والتقبيح العقليين ،لكن الموقف على غير ذلـــك تماماً ،شريطة أن يؤخذ موقف المعتزلة من كتبهم وعلى ألسنة شيوخهم ،وليس من كتب مخالفيـــهم ولا من أقوالهم عنهم ،فيما اتفق على تسميته " التصفية المعنوية للمعتزلة " .أنظر في تفاصيل ذلك ما يقوله=

لقد عورضت نظرية النبوة من داخل المجتمع الإسلامي – نفسه(١) – ومن خارجه ، لأن " فريقاً من الأمم أنكر نبوات الرسل ، وهم في ذلك ثلاثة أصناف :

أحدهم :ملحدة دهرية ،يقولون بقدم العالم ،وتدبير الطبائع ،فهم لإنكار المرسل أجدر أن يقولوا بإنكار الرسل .

والصنف الثاني :براهمة موحدة ،يقولون بحدوث العالم ويجحدون بعثة الرسل ويبطلون النبوات ،وهم المنسبون إلى " بهرمن " صاحب مقالتهم .

والصنف الثالث :فلاسفة لا يتظاهرون بإبطال النبوات في الظاهر ،وهم مبطلوها في تحقيق قولهم ،لأنهم يقولون :إن العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة ،ليضعها من كملت رياضته إذا كان عليها مطبوعاً "(٢) .

فأما الصنف الأول ،فربما لا يعنينا الرد عليهم ،إذ أن الإيمان بالرسل فرع على الإيمان بالله تعالى رباً وإلهاً ،وهذا معناه أن منكري النبوات من الملحدة والدهرية لا يغني معهم الكلام في إثبات النبوة وإثبات بعثة الأنبياء والرسل ،وذلك لأن الملحدة " ينكرون وجود الله ،والإلحاد اصطلاح يطلق

– عنهم الشهرستاني " اتفقت المعتزلة على أن أصول المعرفة وشكر النعمة ،واجبة قبل ورود السمع ،والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل ،واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك ،وورود التكاليف ألطاف الباري ،أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء ،عليهم السلام ،امتحاناً واختباراً " واللافت للنظر أن الشهرستاني دائماً يصدر كلامه عن المعتزلة بقوله :ومن ضلالاتهم ،ومن مخازيهم ،ومن تدقيقهم في الضلال ،ومن بدعهم ... إلى آخر هذه المقدمات التي تهيئ نفس القارئ ليتلقى القول على مراد الخصوم ،لا على مراد أصحاب المذهب أنفسهم .أنظر .أبو الفتح الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٥،٨١،٨٤،٨٥ ،جمال الدين القاسمي :تاريخ الجهمية والمعتزلة .ص٣٠ :٣٦

(١) د.إبراهيم بيومي مدكور :في الفلسفة الإسلامية .منهج وتطبيقه .ج١ ص٨٤ ،حيث يعرض لنا صورة عن أفكار ابن الراوندي الملحد ،وطعنه في النبوة .

(٢) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٢٣

على أولئك الذين يحيون وكأن الله تعالى غير موجود(١) ،والدهرية تعني " إنكار الله تعالى ،بمعنى أنه لا شيء خارج الطبيعة ،فالطبيعة مستكفية بنفسها مستغنية عن خالق يوجدها ،فالدهريون طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القدير ،وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ،بلا صانع ،ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ،كذلك كان وكذلك يكون أبداً ،وكما أنهم ينكرون الخالق فإنهم ينكرون النبوات ،والثواب والعقاب ،ويردون كل شيء إلى فعل الأفلاك والطبيعة ،ولا يعرفون خيراً ولا شراً إلا اللذة والألم ،كما أن من معاني الدهرية جواز مرور العلل إلى ما لا نهاية ،فالدهر دائر لا أول له ولا آخر "(٢) .

وهذا معناه أن الدهريين هم " الذين لم يجدوا في الوجود كله إلا مولوداً يأتي وميتاً يذهب ،وهذا الأمر كان فيما مضى ،وهو كائن فيما هو قائم ،وهو سوف يظل هكذا فيما سيوجد :أزلاً وأبداً "(٣) .

وأما الصنف الثالث من منكري النبوة والرسل والرسالات ،فأكبر ممثل لهم هو الرازي الطبيب ،الذي أفاض في كتبه في الكلام عن الله تعالى والكون والإنسان ،لكنه أعلن أن " الشر ناتج عن الاتباع النقلي ،لأن الدين سبب الحروب ،حيث إنه يعادي الفلسفة والعلم "(٤) ،مما يعني أن " احتمال اللقاء بين الدين والفلسفة مستحيل ،لاختلاف طرائق وأهداف مباحث كل منهما :فالأديان تخلق التنافر وتنشط الصراعات ،بينما الفلسفة تدعو إلى

---

(١) د.مراد وهبة :العجم الفلسفي .دار الثقافة .القاهرة ١٩٧٩م ط١ ص٤٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق :ص٩٦،٢٥٣

(٣) د.سيد عبد الستار :الولاية عند عبد الكريم الجيلي .ص٨٣

(٤) أبو بكر الرازي :الرسائل الفلسفية .القاهرة ١٣٢٩هـ ص١٨٢ ،د.ابراهيم بيومي مدكور :في الفلسفة الإسلامية .منهج وتطبيقه .ج١ ص٨٧ :٩٣

صلاح المجتمع والإنسان "(١) .

وربما علمنا أن السبب وراء موقف الرازي هذا ،اعتقاده بأن " الناس يولدون وعندهم استعدادات يتساوى فيها الجميع ،ويكون العقل – وحده – هو المرجح عند الاختلاف ،والمرجع عند الحاجة إلى دليل ،لأننا بالعقل – وحده – نعرف الخير والشر ،والنفع والضرر "(٢) .

لكن القاضي عبد الجبار " لم يحلل عقيدة الرازي في النبوة ،ولم يفند حججه ،كما فعل مع الباطنية والرافضة ،وأصحاب العقائد والديانات الأخرى – إنما شدد هجومه على الناحية الشخصية للرازي ،فاتهمه بأنه كان نصرانياً يذهب مذهب الملحدة ،ثم أظهر الإسلام وأطلق على نفسه " محمد " وكان اسمه " يوحنا " من قبل "(٣) .

وأما الصنف الثاني ،فهم البراهمة ،وقد ظن البعض أنهم إنما سموا براهمة انتساباً إلى إبراهيم أبي الأنبياء – عليه السلام – وذلك خطأ ،فالبراهمة " هم المخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً ،وقد انتسبوا إلى رجل منهم يقال له براهم أو " بهرمن " ،وقد مهد لهم نفي النبوات أصلاً ،وقرر استحالة ذلك في العقول ... بوجوه :

منها ،أنه قال : إن الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين :إما أن يكون معقولاً ،وإما أن لا يكون معقولاً ،فإن كان معقولاً فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه ،فأي حاجة لنا إلى الرسول ؟ وإن لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً ،إذ قول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية ودخول

---

(١) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٣٣

(٢) د.عبد الرحمن بدوي :من تاريخ الإلحاد في الإسلام .القاهرة ١٩٤٥م ص٢٠٤ :٢٠٨ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢٤٨ ،د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٣٢،٣٣٤

(٣) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٣٤

في حريم البهيمية .

ومنها ،أنه قال :قد دل العقل على أن الله تعالى حكيم عليم ،والحكيم لا يتعبد الخلق إلا بما تدل عليه العقول – عقولهم – وقد دلت الدلائل العقلية على أن للعالم صانعاً عالماً قادراً حكيماً ،وأنه أنعم على عباده نعما توجب الشكر ،فننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا ،وإذا عرفناه وشكرنا له ،استوجبنا ثوابه ،وإذا أنكرناه وكفرنا به ،استوجبنا عقابه ،فما بالنا نتبع بشراً مثلنا ؟ فإنه إن كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلاً ظاهراً على كذبه .

ومنها ،أنه قال :وقد دل العقل على أن للعالم صانعاً حكيماً ،والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم ،وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل ،من التوجه إلى بيت مخصوص في العبادة ،والطواف حوله ،والسعي ،ورمي الجمار ،والإحرام ،والتلبية ،وتقبيل الحجر الأصم ،وكذلك ذبح الحيوان ،وتحريم ما يمكن أن يكون غذاء للإنسان ،وتحليل ما ينقص من بنيته ... وغير ذلك ،وكل هذه الأمور مخالفة لقضايا العقول .

ومنها ،أنه قال :إن أكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل ،يأكل مما تأكل ،ويشرب مما تشرب ،حتى تكون بالنسبة إليه كجماد يتصرف فيك رفعاً ووضعاً ،أو كحيوان يصرفك أماماً وخلفاً ،أو كعبد يتقدم إليك أمراً ونهياً ،فأي تميز له عليك ؟وأية فضيلة أوجبت استخدامك ؟وما دليله على صدق دعواه ؟فإن اغتررتم بمجرد قوله ،فلا تمييز لقول على قول ،وإن انحسرتم بحجته ومعجزته ،فعندنا من خصائص الجواهر والأجسام ما لا يحصى كثرة "(١) .

---

(١) أبو الفتح الشهرستاني :الملل والنحل .تحقيق .محمد سيد كيلاني .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٧٦م ج٢ ص٢٥٠ :٢٥٢ ،وأنظر أيضا .عبد الكريم الجيلي :الإنسان الكامل في معرفة الأواخر –

ولعل أكثر منكري النبوة مجموعون على خمس علل جعلوها أسباباً لإنكارهم حجج النبوة وأدلتها :

الأولى : قالوا إن العلة في إبطال النبوات " إن الله تعالى قد أغنى عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما تأتي به الرسل "(١) .

الثانية : قالوا إن العلة في إبطال النبوات " أن بعثة الرسل إلى من يعلم من حالهم أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه إليهم ،عبث يمنع من حكمة الله تعالى "(٢) .

الثالثة : قالوا إن العلة في إبطال النبوات " أن ما جاء به الرسل مختلف ينتقض بعضه بعضاً ،وينسخ المتأخر ما شرعه المتقدم ،وقضايا العقول لا تتناقض "(٣) .

الرابعة : قالوا إن العلة في إبطال النبوات " أنه لا سبيل إلى العلم بصحتها – أي النبوة – لغيبها ،وأن ظهور ما ليس في الطباع من معجزاتهم ممتنع في الطباع الدافعة لها "(٤) .

الخامسة : قالوا إن العلة في إبطال النبوات " أن ما يظهرونه – أي الأنبياء – من المعجز الخارج عن العادة ،قد يوجد مثله في أهل الشعبذة والمخرقة وأهل النارنجيات ،وليس ذلك من دلائل صدقهم ،فكذلك أحكام المعجزات "(٥) .

= والأوائل .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٨١م ط٤ ج٢ ص١٢١ ... وقد توسعنا في الرد على هذه المزاعم ،وذلك في رسالتنا للدكتوراه :أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية .مخطوط دكتوراه .كلية الآداب .جامعة الزقازيق ١٩٩٠م ص١٨٨ وما بعدها .

(١) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٢٣

(٢) المصدر السابق :ص٢٣،٢٤

(٣) المصدر السابق :ص٢٤

(٤) المصدر السابق :نفس الموضع .

(٥) المصدر السابق :ص٢٤،٢٥

ولما كانت حجج منكري النبوة كثيرة ،وقد تبدو – خاصة عند الأغمار – قوية ،فقد آثرنا أن نفرد لها مبحثاً خاصاً بها ... وهو المبحث التالي .



المبحث الثاني : الرد على منكري النبوة :

من الناحية المنهجية ،نرى - من جانبنا - أنه قبل الرد على أشد فـــرق منكري النبوة لجاجة - أي البراهمة - يجب الرد علـــى المنكريـــن للنبـــوة بوجه عام .

فأول ما يحتج به المنكرون للنبوة ،أن الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - إنما يأتون بما تدل عليه العقول ،ومن ثم فلا حاجة إلى الرسل .

وهذا القول يمكننا الرد عليه بأمرين :

الأول : أن العقول قد تدل على معارفها بإحدى ثلاث طرق :

فإما أن العقول تدل على معارفها جوازاً ،فهنا لا مـــانع مـــن أن يـــأتي الرسل - وجوباً - بما دلت عليه العقول جوازاً .

وإما أن العقول تدل على معارفها وجوباً ،فهنا - أيضاً - لا مانع مـن أن يأتي الرسل موجبة لما دلت عليه العقول وجوباً .

وإما أن تدل العقول على معارفها وجوباً ،فهنا لا مـــانع مـــن أن تـــأتي الرسل مؤكدة لما هو موجب في العقول ،وذلك مثل " ترادف دلائل العقـــول على التوحيد ،ولا يمنع وجود بعضها من وجود غيرها "(١) .

الثاني : أن قضايا العقول غير مستغنية عن بعثة الرســـل ،لأنـــها - أي العقول - غير مستكفية بنفسها ؛فكثير ما تختلف العقول في أمور ذات أدلـــة متكافئة ،ولا يكون حسم هذا الاختلاف إلا على أيدي الرسل ،إضافة إلـــى أن العقول لها " سقف " معرفي ،بحيث يمكننا القول بأن العقـــول وحدهـــا " لا مدخل لها فيما يأتي به الرسل من الوعد والوعيد ،والجنـــة والنـــار ،ومـــا

---

(١) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٢٣

يشرعونه – أي الرسل – من أوصاف التعبد الباعث على التأله ... فلم يغن عن بعثة الرسل "(١) .

وثاني ما يحتج به المنكرون للنبوات ،أن بعثة الرسل فيها ما ينفي حكمة الله تعالى ،إذ أنه تعالى يبعث رسله وأنبياءه إلى من لا يصدقون هؤلاء الرسل .

وهذا القول يمكننا الرد عليه بأمرين :

الأول : أنه من المعروف من حال الرسل أنهم لا يرفضون من " كل " قومهم ؛بل هناك من يقبلهم ويؤمن بهم ويصدقهم ،حيث نعلم أن من بين الناس المؤمن والكافر ،وما دام الأمر كذلك فإن بعثة الله تعالى الرسل ليست عبثاً أن يكون في الناس من لا يقبلها ،كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثاً ،وإن كان منهم من لا يستدل به على توحيده ،كذلك بعثة الرسل "(٢) .

الثاني : مبني على الأمر الأول ؛إذ ثبت أن في الناس من يقبل ما بعث به الرسل ،ومنهم من لا يقبل ،فما دام هناك مؤمن متقبل للنبوة ،تصبح بعثة الرسل واجبة وليست عبثاً ، " بينما المنكرون يمنعون إرسال الرسل إلى من يقبل ومن لا يقبل ... وهذا باطل "(٣) .

وثالث ما يحتج به المنكرون للنبوة ،أن شرائع الرسل متناقضة بعضها مع بعض ،وناسخة بعضها البعض .

وهذا القول يمكننا الرد عليه بأمرين :

الأول : أن اختلاف الرسل كائن في " الفروع " ولم يكن – أبداً – في "

---

(١) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٢٣

(٢) المصدر السابق : ص٢٤

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع .

الأصول " ،تأسيساً على أن ما جاء به الرسل على نوعين : ما لا يجوز الخلاف فيه ،وما يجوز الخلاف فيه ،أما ما لا يجوز الخلاف فيه فهو مثل قضايا " التوحيد وصفات الرب المربوب ،فلم يختلفوا فيه ،وأقوالهم متناصرة عليه "(١) ،وأما ما يجوز الخلاف فيه فهو مثل العبادات التي تختلف باختلاف الأوقات التي بعث فيها الرسل .

الثاني : أن قضايا العقول يحدث فيها اختلاف بين العقلاء ،ومع هذا " فلم يمتنع كون العقل دليلاً ،وكذلك ما اختلف فيه الرسل ،لا يمنع أن تكون بعثة الرسل حجة "(٢) .

ورابع ما يحتج به المنكرون للنبوة ، أن البعثة – بعد وقتها – تكون من الغيبيات ،وإن جاءت بالمعجزات .

وهذا القول يمكننا الرد عليه بأمرين :

الأول : أن المعجزات إنما هي من فعل الله تعالى ،وليست من فعل الرسل ،فخرجت عن حكم طباعهم .

الثاني : لما تميز الرسل " بالخروج عن الطباع من الرسالة ،تميزوا بما يخرج عن الطباع من الإعجاز "(٣) .

وآخر ما يحتج به المنكرون للنبوات ،أن معجزات الرسل – عليهم السلام – ربما وجد مثلها عند غيرهم من المشعبذة وأمثالهم ، وهذا ليس دليل صدق هؤلاء المشعوذة ،فكذلك معجزات الرسل ،ليست دليل صدق لهم .

وهذا القول يمكننا الرد عليه بأمرين :

---

(١) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٢٤

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٣) المصدر السابق : نفس الموضع .

الأول : أن شعبذة المشعبذ إنما تصدق عند من لا يحسن استخدام عقله ،وهي – من ثم – تظهر " لضعاف العقول ،وتتدلس على الغر الجهول ،وهذا مخالف للمعجزة التي تذهل العقول "(١) .

الثاني : أن المشعبذ يتعلم شعبذته بفنون وطرق وحيل ،بينما المعجزة "مبتكرة ولا يتعاطاها غير صاحبها ،ولا يعارضه أحد بمثلها ،كما انقلبت عصا موسى حية تسعى تلتقف ما أفكه السحرة ،فخروا له سجداً(٢) ،وهذا معناه أن الشعبذة والشعوذة " مما يمكن أن يتعلم ،وهذا غير ثابت في المعجز ،والشعوذة مما يقع فيها الاشتراك ،وليس كذلك المعجز ،والشعوذة لها حاجة إلي آلات وأدوات ،دونها لا تنفذ ،وليس كذلك المعجز ،والشعوذة تنفذ على من لم يكن من أهل صناعتها ولا دراية له بها ،وليس هذا حال المعجز "(٣) .

❁❁❁

إن القاضي عبد الجبار تمثل عنده نظرية النبوة محوراً أساسياً ،يقوم عليه الإسلام بعقائده وتشريعاته وأخلاقه ،ومن ثم فهو يتكلم في النبوة باعتبارها لازمة من لوازم الإيمان ،فهو يرد على منكريها ،خاصة من يدخلون في دائرة " التوحيد " أي هؤلاء الذين يدعون أنهم موحدون ،وينكرون – في الوقت نفسه – النبوة ،وهؤلاء هم البراهمة ،الذين جاء فيهم قول القاضي عبد الجبار " المخالف في النبوة جماعة من البراهمة ، يثبتون الصانع بتوحيده وعدله ،وينكرون النبوات ،ويقولون : إن ما أتى به الأنبياء ؛نحو أفعال الصلاة من القيام والقعود والركوع والسجود ،وأعمال

---

(١) أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة . ص٢٥

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٧٢

الحج نحو التلبية والهرولة ورمي الجمار والطواف ،كلها مستقبحة من جهة العقل منكرة ،لأن كل عاقل يستقبح بكمال عقله ذلك وينكره ،فيجب أن ترد ولا تقبل "(١) .

هذا قول لهم ... وقول آخر " إن ما أتى به الأنبياء لا يخلو ؛إما أن يكون موافقاً للعقل ،ففي العقل غنية عنه وكفاية ،أو مخالفاً له ،وذلك ما يوجب أن يرد عليهم ،وأن لا يقبل منهم "(٢) .

ولهم قول ثالث " إنه تعالى إذا بعث رسولاً فلا بد من أن يظهر عليه علما معجزاً دالا على نبوته ،ليكون فرقاً بينه وبين المتنبي ،ولا يمكننا أن نميز بين المعجز والحيلة بوجه ،لأنه ما من معجز إلا ويجوز أن يكون من باب الشعوذة وخفة اليد وما جرى مجراها ،فيجب أن لا يقبل قولهم ،ويعتمد على العقول "(٣) .

لكن حجج البراهمة لا تستقيم قوةً ومنطقاً ،ذلك لأن قولهم بأن العقل يقبح ما أوجبه الأنبياء كالصلاة والصيام،وأن العقل يحسن بعض ما قبحه الأنبياء كالمنافع واللذات ،وأن العقل يقبح بعض ما حسنه الأنبياء كذبح البهائم ،هذا القول قياس غير صحيح ، لأن الفعل في حد ذاته لا يوصف لا بحسن ولا بقبح ،هكذا مجرداً ،بل إن وصف الفعل بحسن أو قبح رهن بحصول غرض حسن فيه ،أو انعدام القبيح ،وهنا يكون الفعل حسناً ومحموداً ،وإلا اعتبر قبيحاً ومذموماً،وبالنظر إلى أفعال العبادات في الإسلام نجد أنها لا تخلو من وجه حسن وألطاف من الله تعالى ،فهذه الأفعال"لنا فيها مصالح

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٦٣ ،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥ " التنبؤات والمعجزات ". ص ١٩،١٥٥ ،حسني زينة : العقل عند المعتزلة . تصور العقل عند القاضي عبد الجبار . ص١٢٧،١٢٨ !

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٦٣

(٣) المصدر السابق : ص٥٦٤

وألطاف ،فكيف نجوز أن نحكم فيها بالقبح ؟ فنحن نستحسن القيام في كثير من الحالات كتعظيم صديق ،أو لغرض من الأغراض ،وكذلك نحن نستحسن القعود إذا تضمن انتظار رفيق ،وكذلك الركوع والسجود والمشي والكلام والطواف وغير ذلك ،فما من شيء من هذه الأفاعيل إلا ولها وجه في الحسن ،إذا تعلق به أدنى غرض ،فإذا كان يحسن منا الطواف حول البيت لننظر هل اشترم أم لا ،وهذا غرض حقير ،فكيف لا يحسن الطواف حول بيت الله تعالى ،وقد تضمن من المصلحة واللطف ما ظهرت به الدلالة ،وهكذا فإذا كنا نرمي صيداً – مع أن النفع يسير – ثم نستحسن الهرولة إليه كيلا ينفلت ،فكيف لا تستحسن أعمال الحج ،وقد علم الله تعالى ما فيها من المصلحة ما قد ظهر على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ "(١) .

وأما محاولات البراهمة نفي النبوات تعويلاً على اعتقادهم في كفاية العقل عما يأتي به الرسل " إذ العقل أوكد في طريق العلم والمعرفة ،فنستغني عن بعثة الأنبياء ،سيما وفي طريق معرفة نبوتهم وشرائعهم من الشبه ما ليس في العقل وأدلته ،ولا يجوز من الحكيم أن ينزل بالمكلف عن الطريق القوي في المعرفة إلى الطريق الضعيف ،كما لا يجوز ألا يعرفه مصالحه ،وذلك يوجد الغنى عن بعثة الرسل ،وأن تقبح بعثتهم "(٢) .

وذلك قول تنقضه معرفتنا أنه ما من شيء إلا ويجوز وقوعه على وجه

---

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٦٦،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبوات والمعجزات " ص١١٥ : ١٢٣،١٢٠،١١٧

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص١٣٩ ،ونحن – من جانبنا – ندرك التقارب – بشكل ما – بين فكرة كل من البراهمة والمعتزلة عن العقل ،باعتبار أن الفريقين يجعلان العقل معيار الحكم ،لكن المعتزلة لا تلغي الشرع لحساب العقل ،لكنها تجعل العقل به المعارف جملة ،والشرع فيه تفصيل ما هو مجمل ،وسوف نرى – في مبحث النبوة – كيف أن المعتزلة ترفض رؤية البراهمة للعقل باعتباره بديلاً للشريعة .

فيحسن ،وعلى وجه آخر فيقبح ،تأسيساً على بطلان الحكم على فعل من الأفعال بالقبح أو الحسن بمجرده ،ومن هنا يصح القول بأن ما تأتي به الرسل إن هو إلا تفصيل لما هو مجمل في العقول ،حيث إن "وجوب المصلحة وقبح المفسدة متقرران في العقل ،إلا أنا لما لم يمكننا أن نعلم عقلاً أن هذا الفعل مصلحة ،وذلك مفسدة ،بعث الله تعالى إلينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال ،فيكونوا قد جاءوا بتقرير ما قد ركبه الله تعالى في عقولنا ،وتفصيل ما قد تقرر فيها ،وصار الحال في ذلك كالحال في الأطباء إذا قالوا إن هذا البقل ينفع وذلك يضر ،وكنا قد علمنا قبل ذلك أن دفع الضرر عن النفس واجب ،وجر المنفعة إلى النفس حسن ،فكما لا يكون والحال ما قلناه قد أتوا بشيء مخالف للعقل ،فكذلك حال هؤلاء الرسل"(١) .

وأما نفي البراهمة النبوات تأسيساً على ظنهم أن برهان صدق الأنبياء معجزاتهم ،وهذه المعجزات تقع في إمكان المشعوذين وأصحاب الحيل " إذ منهم من يجوز ظهور المعجزات على السحرة والكهنة والمشعبذين والممخرقين "(٢) ،وهذا مما يظهر بطلانه ،لأنه " إن جاز أن تظهر المعجزات على الساحر والكاهن والكذاب والممخرق ،فمن أين أن كل نبي ظهر عليه المعجز ،ليس هذا حاله ،وهذا يمنع من الثقة بالنبوات ،ويبطل دلالة الأعلام على نبوتهم "(٣) .

---

(١) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٦٤،٥٦٥ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد العدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص١٣٩،١٤٠ ،د.محمد عمارة :رسائل العدل والتوحيد .دار الهلال .القاهرة ١٩٧١م ج١ ص٢٣٥

(٢) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد العدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٢١١،٢٥٩،٢٦٨

(٣) المصدر السابق : ص ٢٥٩

والسحرة – في حقيقة الأمر – لو أمكنهم ذلك لكانت سحرة فرعون على
ل ذلك أقدر ،وكان لا يظهر منهم العجز والانقياد لموسى – عليه السلام
عند مشاهدة قلب العصا حية ،وتلقفها لما تلقفت "(١) .

وأما المشعبذون والممخرقون ،فإن أفعالهم على نوعين : " أحدهما يصح
ى الوجه الذي يرى عليه ،لتجربة منهم ومعاناة وتكلف للتعب شديد
ذلك مثل إدخالهم السيف في الحلق ،ومشيهم على النار ،إلى ما يجري
جراه ،لأن ذلك مما تكلفوه ،وجعلوا الآلة على صفة لا تضرهم الضرر
كبير ،وذلك كما نجد الواحد يتناول الطعام الحار ،لعادة سلفت في تناول
جمر إذا كان كثير رطوبة الفم ،وقد تهدى فيه إلى منع الهواء من مداخلته
لا شيء في ذلك إلا وإذا ساواهم الغير في تحمل المشقة والوقوف على
سبب ،شاركهم في ذلك الفعل ،والثاني ما يقع منهم فيه التمويه والتخييل ،
كون الأمر على خلاف ظاهره ،لخفة يد ،وحركة ،وعادة في ذلك مستمرة
ى غير ذلك مما إذا فتش ظهرت الحال فيه "(٢) .

وواضح هنا أثر التفرقة بين النبي وإعجازه ،من ناحية ،وبين غيره ،من
حية أخرى ،ممن ليسوا أنبياء ولا رسلاً ،أن من ليسوا مرسلين تأتي
عالهم في نطاق المستطاع لغيرهم ،لأن " من فتش عن أسباب أفعالهم وقف
يها ،وتمكن منها ،إذا تعاطى وتكلف "(٣) .

هكذا يبين لنا القاضي عبد الجبار ردوده المنطقية على منكري النبوة من
راهمة ،عبر تفنيده لنظريتهم التي بنوا عليها هذا الإنكار للنبوات وبعثة
نبياء والرسل ،ذلك كله مما يدل على ما لنظرية النبوة من أهمية في فكر

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ "التنبؤات والمعجزات" ص٢٦٠
(٢) المصدر السابق : ص١٦٨،١٦٩
(٣) المصدر السابق : ص١٦٩

القاضي عبد الجبار خاصة ،والمعتزلة عامة .



الفصل الثاني

القاضي عبد الجبار ونظريته في النبوة

- المبحث الأول : الكلام في النبوة
- المبحث الثاني الكلام في النبي

المبحث الأول : الكلام في النبوة :

نظرية النبوة تمت معالجتها في الفكر الإسلامي على ثلاثة محاور ،هذه المحاور الثلاثة تمثل أهم ما قيل في النبوة :

محور البراهمة ،وقد علمناهم جماعة من المفكرين المتفلسفين الذين أنكروا النبوة – أساساً – إما لكفاية العقل في معرفة الواجب وما شاكله ،وإما لأن النبوة في حد ذاتها – فيما يزعمون – تقبح ،لأن الله تعالى قادر على جعل العقل يحصل معارفه التي بعث بها الرسل (١).

ومحور أهل السنة والأشاعرة ،وهؤلاء يؤخرون العقل ودوره ،في أي فعل – وقد ينكرونه – ويقدمون السمع ،حتى قالوا "هو المالك في خلقه ،يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ،فلو أدخل الخلائق كلها بأجمعهم الجنة لم يكن حيفاً ،ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً ،إذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف ،أو وضع الشيء في غير موضعه ،وهو المالك المطلق ،فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب إليه جور ،والواجبات كلها سمعية ،والعقل لا يوجب شيئاً ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً "(٢)،وقالوا في النبوة وما يتعلق بها"له تعالى أن يرسل،لأن الملك ملكه،والأمر أمره،فيدبر بما شاء"(٣).

---

(١) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل .ج١ ص٤٥،ج٢ ص٢٥٠ :٢٥٢،د.مراد وهبة :المعجم الفلسفي . ص٤٢،القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٦٣،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص١١٥،وما بعدها ،أبو محمد علي بن أحمد " ابن حزم الظاهري : الفصل في الملل والأهواء والنحل . بهامشه الملل والنحل للشهرستاني . مكتبة الخانجي . القاهرة ج١ ص٦٣،٦٤

(٢) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص١٠١،د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص٣٢٣

(٣) القاضي عبد الجبار:المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٩٧-

ومحور المعتزلة – عموماً – والقاضي عبد الجبار – خصوصاً – وهـو محور يحاول إبراز البرهان العقلي كدليل على حكمة الله تعالى ،وصحة كل الأفعال الإلهية التي تتعلق بالنبوة وبعثة الأنبيـاء والرسـل – وغيرهـا – فتكون – من ثم – دلالة وحجة أمام الخصوم ،خاصة منهم غير المسـلمين ،فالعقل عند القاضي عبد الجبار له قدرة " تتجاوز ما أطلعه عليـه منشـأه الشافعي – الأشعري(١) من فائدة في الـرأي والاجتـهاد ،فبعثـة الرسـل تفترض – أصلاً – كون الإنسان عاقلاً ،ولا تجعله بهذه الصفة إلا بتخطـي النظر حدود الفروع الفقهية إلى الأصول الدينية نفسها ،ممـا يمثـل ميـلاً متنامياً نحو العقلانية "(٢) .

من هنا يكون الكلام عن النبوة عند القاضي عبد الجبار أدخل إلى بـاب " العدل " و" الصلاح والأصلح " و" اللطف "... إلى غير ذلك مـن الأمـور التي تجعل كفة نظرية النبوة ترجح ،لأن فيها "عدلاً " و" صلاحاً "و" لطفاً " .

إننا نستطيع الكلام عن أصل " العدل " عند المعتزلة ،حين نتكلـم عـن نظريتهم في النبوة ،وخاصة كتابة القاضي عبد الجبار في تلك النظرية ،ذلك لأن أصل العدل(٣) عندهم – أي المعتزلة – هو " أن أفعال الله تعالى كلـها

– ،أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل . ج١ ص١٠٢

(١) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص١٦ ،حسني زينة :العقـل عنـد المعتزلـة .تصور العقل عند القاضي عبد الجبار .ص١٢٨

(٢) حسني زينة :العقل عند المعتزلة .تصور العقل عند القاضي عبد الجبار .ص١٢٨،١٢٩

(٣) اختلف المعتزلة والأشاعرة حول مفهوم العدل ،فالمعتزلة أرادوا به إنقاذ العدل الإلـهي مـن الظلم ،والأشاعرة رأت أنه لا ظلم في الحقيقة ،لأن الله تعالى فاعل على الحقيقة ،ومعني أن الله تعـالى عدل عند المعتزلة أنه تعالى يفعل كل ما يقتضيه العقل من الحكمة ،وهو إصدار الفعـل علـى وجـه الوجوب والمصلحة ،على حين رأت الأشاعرة أن الله تعالى عدل بمعنى أنه متصرف في ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ،وقد أراد المعتزلة بقولهم إن الله تعالى عدل ،أن ينزهوه تعالى عن الظلم ،فارتفعوا بالإرادة الإنسانية وجعلوها مسؤولة عن فعلها ، ورأت الأشاعرة في ذلك تضييقاً من قدرة الله تعالى –

حسنة ،وأنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه "(١) ،ويزيد القاضي عبد الجبار هذا المجمل وضوحاً ... فيقول " علوم العدل أن يعلم أن أفعال الله تعالى كلها حسنة ،وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه ،وأنه لا يكذب في خبره ،ولا يجور في حكمه ،ولا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ،ولا يظهر المعجزة على الكذابين ،ولا يكلف العباد ما لا يطيقون ولا يعلمون ،بل يقدرهم على ما كلفهم ويعلمهم صفة ما كلفهم ،ويدلهم على ذلك ويبين لهم ،ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة "(٢) ،وهذه " البينة " إنما تتم بالتبليغ والنبوة والرسالة(٣) .

إن نظرية النبوة تدخل ضمن الأصل الثاني للمعتزلة ،وهو أصل العدل ،الذي يتضمن – ضمن ما يتضمن – نظرية الصلاح والأصلح ،ونظرية اللطف الإلهي ،وهذا كله لا يستغنى فيه عن العقل والسمع معا ،لأن العقل قد " تقرر فيه العلم بوجه وجوب الأفعال على الجملة ،وإنما يحتاج في تفصيلها إلى استدلال عقلي أو سمعي ،لأنه إذا تقرر فيه أن رد الوديعة واجب ،ولم يستغن العقل بهذا القدر عن معرفة كون المال وديعة ،فإذا عرفه وديعة ،وعرف المطالبة من صاحبه تلزمه الرد ،فالكفاية لا تقع بما تقرر في العقول من ذلك "(٤) ،ولذلك لابد من قيام الأدلة السمعية التي بها نعرف تفصيل الأدلة العقلية ،وإذا سلمنا بذلك فإن الأدلة السمعية إنما يؤديها

=،ولذلك قالوا بنظرية الكسب،وهي تعني أنه لا فاعل –على الحقيقة– للأفعال إلا الله تعالى،وهو قادر على كل شيء ،وقد قدر كل شيء قبل خلقه ،ويقترن خلق الله تعالى لأفعال العباد بكسب منهم ،فالأفعال مخلوقة من الله تعالى مكسوبة من العبد.أنظر في ذلك.القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة. ص١٣١

(١) القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة. ص١٣٢

(٢) المصدر السابق :ص١٣٣

(٣) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٢٠

(٤) القاضي عبد الجبار :المغني في أبوا التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٤٣،٤٤

الرسول ،ولذلك كان حسناً من أفعال الله تعالى أن يبعث الرسول .

وهكذا استدل القاضي عبد الجبار – عقلاً – على وجوب قيـــام الأدلـــة السمعية ،تلك التي لا يؤديها إلا الرسل ،ومن ثم تصبح بعثة الرسل حســـنة ،مما يجعلها داخلة في باب " العدل " ،الذي يدخل فيه القول باللطف ،وعلـــى هذا نقول " إن نظرية النبوة عند القاضي عبد الجبار تعتبر أســـاس نظريـــة اللطف الإلهي ،لأن الأصل في ضرورتها :أن فيها صلاحاً للمكلفيـــن ،فقـــد تقرر في العقل أن الأفعال التي يدعو بعضها إلى بعض ،ويصرف بعضـــها عن بعض ،إذا علم الله تعالى في فعل المكلف ما إذا تمسك به كـــان أقـــرب إلى فعل الواجبات ،أو أنه يكون فاعلاً لها لا محالة ،ولم يكـــن فـــي قـــوة العقول ما يمكن الوقوف على تفاصيله ،فلا بد من حكمة من أن يبعث إليـــهم من يعرفهم به "(١) .

ونخلص من ذلك كله إلى أن " النبوة تثبت لكونها نوعـــاً مـــن اللطـــف والتمكين ،يتم بها معرفة المصالح والمفاسد ،وتفصيلات ما تقرر في العقـــل إجماله " (٢) .

والنبوة إنما شرعت كي تجعل الناس أقرب إلى الصلاح ،فتدعوهم إلـــى المعروف ،وأبعد عن الفساد فتنهاهم عن المنكر ،فهي – بـــهذا المعنـــى – صلاح للإنسانية ،وما فيه الصلاح يعد واجباً على الله تعـــالى ،لأن أفعالـــه تعالى كلها صلاح وعدل ،ومن ثم فبعثة الرسل واجبة على الله تعالى ،لأنـــه " إذا كان في الرسالة مصلحة لبعض المكلفين ،وتعرى ذلك عن كل مفســـدة ،فالقديم تعالى مخير في بعثة من شاء ،وإن كان الصلاح ضم واحـــد إلـــى آخر ،بعثهم جميعاً ،وإن كان صلاح المكلف لا يتم إلا بمعرفـــة مـــن قبـــل

---

(١) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة ،ص٦٤،٥١٩

(٢) د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . ص٣٢٦

الرسول وجبت البعثة ،والرسول المؤكد لما في العقول بمنزلة تواتـــر أدلـــة العقول ،فإذا حسن منه تعالى نصب دليل بعد دليل ،فكذلك القول فـــي بعثـــة الرسول ،وتحسن البعثة لأن بها تتم ألطاف الله تعالى ،ومتى حسنت البعثـــة وجبت "(١) ،و " إن البعثة لابد من أن تكون لطفاً لنا ،فإذا علم الله تعـــالى أن صلاحنا في بعثة وجبت البعثة لا محالة ،ولا يجوز الإخلال بها "(٢) .

---

(١) القاضي عبد الجبـــار : المغنـــي في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥ " التنبؤات والمعجـــزات "ص١٨ :٢٠

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٥٧٥،٥٧٦ ،حسني زينـــة :العقـــل عنـــد المعتزلة .ص١٣٠



المبحث الثاني : الكلام في النبي :

نظرية النبوة تمثل كيفية الاتصال القائمة بين الله تعالى والمكلفين ،ويكون فيها الرسول الملك واسطة بين الله تعالى وبين النبي الإنسان ،ويكون فيها النبي الإنسان واسطة بين الله تعالى والرسول الملك من ناحية ،وبين المكلفين من ناحية ثانية ،وهذا معناه أنه " ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب "(١) ،مما نفهم – تبعاً له – مسألة الوحي في الفكر الديني الإسلامي ،حيث " اسم الوحي يدل على كل النصوص الدالة على خطاب الله تعالى ،هذا من ناحية الاستخدام القرآني ،ومن حيث اللغة ،فالوحي اتصال يتضمن نوعاً من الإعلام "(٢) .

وهو – أي الوحي – من ناحية الأصطلاح " أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ،ولكن بطرقة سرية خفية ،غير معتادة للبشر "(٣) .

ولفظ النبي إذا أطلقناه فإننا نعني به كل أنبياء الله تعالى ،عليهم السلام ،وإذا قيدناه فنحن نقصد به نبيّنا محمداً – صلى الله عليه وسلم – تحديداً ولهذا فالكلام هنا سيسير وفق هذا التوضيح .

إن الدارس للقرآن الكريم يخرج بثلاث طرق تمثل – وحدها – وسائل الاتصال بين الله تعالى وبين الآخرين :

الطريقة الأولي : هي ما يمكن أن نسميه " إلهاماً " وهذا الأمر وقع إلى أم موسى ،عليه السلام ،ووقع إلى الملائكة والنحل ،وهذه الطريقة الأولى

(١) سورة الشورى :آية رقم ٥١

(٢) د.نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص .دراسة في علوم القرآن .ص٣١

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٥٦

يمثل الوحي فيها " كلاماً لا يفهمه إلا طرفا الاتصال ،فهو كلام بدون قول ،فهو موقف غير تبادلي ،إنما هو مجرد تلقي الأمر بفعل ،كقول الله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ،فإذا خفتي عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ،إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين "(١) ،وقوله تعالى " وأوحي ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون "(٢) ،وتكون استجابة المستقبل للوحي مجرد تنفيذ الأمر وتحقيق الفعل "(٣) .

الطريقة الثانية : تتمثل في الكلام من وراء حجاب(٤) ،ككلام الله تعالى لموسى عليه السلام من وراء حجاب :الشجرة ،والنار ،والجبل .

كقوله تعالى " وهل أتاك حديث موسى ،إذ رءا ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ،فلما أتاها نودي يا موسى ،إني أنا ربك فاخلع نعليك ،إنك بالواد المقدس طوى ،وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى "(٥) .

وقوله تعالى " واذكر في الكتاب موسى ،إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ،وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً "(٦) .

وقوله تعالى " فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة

---

(١) سورة القصص :آية رقم ٧ ،وواضح هنا أن هذه الآية الكريمة قد اشتملت على أمرين ،ونهيين ،وبشارتين ،فأما الأمران فقوله تعالى :ارضعيه ،فألقيه ،وأما النهيان فقوله تعالى :لا تخافي ،ولا تحزني ،وأما البشارتان فقوله تعالى :إنا رادوه ،وجاعلوه من المرسلين .

(٢) سورة النحل :آية رقم ٦٨

(٣) د.نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص .دراسة في علوم القرآن .ص٠ ٤٠،٤١ ،محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٥٦

(٤) محمد عبد العظيم الزرقاني :مناهل العرفان في علوم القرآن .ج١ ص٥٦

(٥) سورة طه :الآيات رقم ٩ :١٣

(٦) سورة مريم :الآيتان رقم ٥١،٥٢

المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين "(١) .

وقوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك ،قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ،فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ،فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ،قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين "(٢) .

وهذه الطريقة تم فيها الاتصال بكلام فهمه موسى عليه السلام ،إضافة إلى وجود حوار تضمنه الفعل :قال ،وهو فعل يدل على الكلام (٣) .

الطريقة الثالثة : تتمثل في الوحي غير المباشر ،وذلك بتوسط الملك الرسول بين الله تعالى وبين الرسول البشر ،حيث يوحي الملك الرسول إلى الرسول البشر ما أمره الله تعالى أن يوحيه إليه ،وهذه الطريقة هي التي خاطب الله تعالى بها نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ،عبر جبريل عليه السلام ؛فكان كلام الله تعالى إلى جبريل عليه السلام ،تنزيلاً ،وكان كلام جبريل عليه السلام ،إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،وحياً وكان كلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم ،إلى المكلفين بلاغاً ،متمثلاً في التبشير والنذير(٤) .

مما سبق يمكننا القول بأن النبوة – البعثة – لها أربعة أطراف :المرسل

---

(١) سورة القصص :آيه رقم ٣٠

(٢) سورة الأعراف :الآيتان رقم ١٤٣،١٤٤

(٣) د.نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص .دراسة في علوم القرآن .ص٤٠،٤١

(٤) جاء في ذلك قول الله تعالى في سورة البقرة :الآية رقم ١١٩ "إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا "،وانظر أيضا في نفس معنى البشرى والإنذار .سورة المائدة :الآية رقم ١٩ ،سورة الأعراف :الآية رقم ١٨٨ ،سورة هود :الآية رقم ٢ ،سورة سبأ :الآية رقم ٢٨ ،سورة فاطر :الآية رقم ٢٤ ،سورة فصلت :الآية رقم ٤ ،سورة الإسراء :الآية رقم ١٠٥ ،سورة الفرقان :الآية رقم ٥٦ ،سورة الأحزاب :الآية رقم ٤٥ ،سورة الفتح :الآية رقم ٨

والمرسل ،والمرسل به ،والمرسل إليه .

أما المرسل – بالكسر – فهو الله تعالى ،وهو في التصور الاعتزالي " واحد ليس كمثله شيء ،وهو السميع البصير ،ليس بجسم ولا شبح ،ولا جثة ولا صورة ،ولا لحم ولا دم ،ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ،ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ،ولا بذي حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة ،ولا طول ولا عمق ولا عرض ،ولا اجتماع ولا افتراق ،ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ،وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ،وليس بذي جهات ،ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ،ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ،ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ،ولا الحلول في الأماكن ،ولا يوصف بشيء من أوصاف الخلق الدالة على حدوثهم ،ولا يوصف بأنه متناه ،ولا يوصف بمساحة ،ولا ذهاب في الجهات ،وليس بمحدود ولا والد ولا مولود ،ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ،ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ،ولا تجري عليه الآفات ولا تحل به العاهات ،وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له ،ولم يزل أزلاً سابقاً للمحدثات موجوداً قبل المخلوقات ،ولم يزل عالماً قادراً حياً ،ولا يزال كذلك ،لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ،ولا تحيط به الأوهام ،ولا يسمع بالأسماع ،شيء لا كالأشياء ،عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء ،وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له في ملكه ولا وزير له في سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق ،لم يخلق الخلق على مثال سبق ،وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا أصعب عليه منه ،ولا يجوز عليه اجترار المنافع ،ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام ،ليس بذي غاية فيتناهى ،ولا يجوز

عليه الفناء ،ولا يلحقه العجز والنقص ،تقدس عن ملامسة النساء وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء "(١) .

وأما المرسل به ،فهو القرآن الكريم ،الذي هو – عند القاضي عبد الجبار – " كلام الله تعالى ووحيه ،وهو مخلوق محدث ،أنزله الله تعالى على نبيه ليكون علماً ودالاً على نبوته ،وجعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال والحرام ،واستوجب منا الحمد والشكر والتحميد والتقديس ،وهو الذي نسمعه اليوم ونتلوه ،وإن لم يكن محدثاً من جهة الله تعالى فهو مضاف إليه على الحقيقة "(٢) .

وأما المرسل إليه ،فهم المكلفون الذين لهم أن يؤمنوا أو يكونوا غير مؤمنين ،حيث الفعل – عند القاضي عبد الجبار – خاص بالإنسان ،لقوله تعالى " وقل الحق من ربكم ،فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "(٣) .

وأما المرسل – بالفتح – فهو النبي ،الذي إذا أطلق معناه فهو كل أنبياء الله تعالى ،وإذا قيد فهو نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – .

حقيقة النبي :والقاضي عبد الجبار لا يرى أن ثمة فارقاً بين النبي والرسول في الاصطلاح(٤) ،حيث إن الرسول " من الألفاظ المتعدية ،أي لابد من أن يكون هناك مرسل – بالكسر – ومرسل – بالفتح – ،وإذا أطلق فلا تنصرف إلا إلى المبعوث من جهة الله تعالى دون غيره ،حتى إذا أراد

---

(١) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٧٠م ج١ ص٢٣٥،٢٣٦ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص١٥١ وما بعدها ،الحافظ أبو الحسن المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر .تحقيق .محمد محي الدين عبد الحميد .دار الفكر .بيروت ط٥ ج٣ ص٣٥١

(٢) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٢٨

(٣) سورة الكهف :آية رقم ٢٩

(٤) د.عبد الرحمن بدوي :مذاهب الإسلاميين .ج١ ص٤٧٥

أحد غير ذلك فلابد من أن يقيد "(١) ،وأما النبي " فقد يكون مهموزاً ومشدداً ،فإذا كان مهموزاً فهو من الإنباء ،وهو الإخبار ،وإذا وصف به الرسول فالمراد به أنه المبعوث من جهة الله تعالى ،وإذا كان مشدداً فإنه يكون من النباوة وهو الرفعة والجلالة ،وإذا وصف به المبعوث فالمراد به أنه المعظم الذي رفعه الله تعالى وعظمه "(٢) ،وفي الخبر أن بعضهم قال للنبي ،صلى الله عليه وسلم :يا نبئ الله – مهموزاً – فقال له الرسول :لست نبئ الله ،وإنما أنا نبي الله "(٣) ،وفي قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – للسائل

---

(١) القاضي عبد الجبار شرح الأصول الخمسة .ص٥٦٧ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٩

(٢) لعل هذا هو ما نفهمه من قول الله تعالى في سورة " الشرح "الآية رقم ٤ "ورفعنا لك ذكرك ".

(٣) جاء في " الإتقان " نص يفيد أنه " ما همز الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء ،وقال أبو شامة :هذا حديث – أي من جاء وقال يا نبئ الله – لا يحتج به – ،وراويه – موسى بن عبيدة – ضعيف عند أئمة الحديث ،وعن حمران بن أعين أن أعرابياً جاء إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقال :يا نبئ الله ،فقال :لست نبئ الله ،ولكني نبي الله .قال الذهبي :حديث منكر ،وحمران بن أعين رافضي ليس بثقة " .أنظر .جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٩٨ ،وقد جاء أن الشاطبي قال " الهمز في " النبئ " و " النبوءة " همز الكل غير نافع ،وقال ابن القاصح " قرأ الكل غير نافع في النبي الواحد بياء مشددة تابعة " .أنظر .علي بن عثمان بن محمد بن الحسن القاصح :سراج القاري المبتدي وتذكار القارئ المنتهي .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٧٣هـ /١٩٥٤م ط٣ ص١٥١ ،ومن يهمزون حجتهم :أنه أخذه من قوله " أنبأ بالحق " إذا أخبر به ،ومنه ما جاء في سورة " البقرة " الآية رقم ٣١ " أنبئوني بأسماء هؤلاء " ومن لا يهمز حجتهم من ثلاثة أوجه :أن الهمز مستثقل في كلامهم ،والدليل عليه قوله – صلى الله عليه وسلم – " لست نبئ الله " كأنه كره الهمز ،لأن قريشاً لا تهمز .الثاني :مأخوذ من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض وعلا ،لأنه أخبر عن العالم العلوي ،وأتى به عن الله تعالى ،والثالث :أن العرب تدع الهمز من النبي وهو أنبأت :ومن الخابية وهي من خبأت ،ومن البرية وهو من برأ الله الخلق ،ومن الذرية وهي من ذرأهم ،وقال الذهبي تعليقاً على هذا الحديث :حديث منكر .أنظر في نص الحديث .الحافظ أبو عبد الله " الحاكم " :المستدرك على الصحيحين في الحديث .دار الفكر .بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ج٢ ص٢٣١ ،وأنظر بذيله .تلخيص المستدرك للذهبي "الحافظ شمس الدين أبي عبد الله بن محمد " حيث التعليق وأسباب الإنكار .ج٢ ص٢٣١ ،د.محمد سالم محيسن :الهادي .شرح طيبة النشر في القراءات العشر .دار الجيل .بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ط١ ص٢٣٥ ،أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة :حجة القراءات .تحقيق–

ناهياً إياه :لست نبئ الله ،إنما أنا نبي الله ،بيان للمنع من هذا الوجه ،على قول الجبائيين ،على حين نجد القاضي عبد الجبار لا يرى مانعاً من إطلاق اللفظين ،حيث إن معنى كل واحد من الوجهين يصح فيه ،صلى الله عليه وسلم وآله ،فكيف يقع المنع من ذلك لأنه رفيع عند الله ،وهو – مع ذلك – ممن أنبأه الله أخبره ،وكلا الوجهين يتأتّى فيه .

وعلى هذا الوجه قال الله تعالى في قصة بعض أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – " من أنبأك هذا "(١) ،ولا يصح من ذلك إلا قولنا " نبئ " بالهمز ،لكنه – صلى الله عليه وسلم – علمهم ،من الله تعالى ،أن يصفوه بأشرف الصفات وأقربها إلى الرفعة والجلالة ،وإلى التعظيم الذي يستحقه ،وأبعدها عن خلافه ،كما علمنا الله تعالى تشريفه عند الذكر بذكر الصلوات والرحمة ،وذلك يصح فيما يجب أن يستعمل ،وإن كان لا يطعن في جواز الوجه الآخر في اللغة "(٢) .

وإذا كان مذهب القاضي عبد الجبار هو الجمع بين " النبي " و" الرسول" اصطلاحا ،فإن آخرين يرون أن ثمة فرقاً بين اللفظين ،واستدلوا لرأيهم هذا بقول الله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي "(٣) ،حيث قالوا : فصل القديم تعالى بين الرسول والنبي ،فيجب أن يكون أحدهما غير الآخر"(٤) ،لكن القاضي عبد الجبار يرد على هذا بقوله " الذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هنا أنهما يثبتان معا ويزولان معا في الاستعمال

- .سعيد الأفغاني .مؤسسة الرسالة .بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ط٣ ص٩٨ :١٠٠
(١) سورة التحريم :آية رقم ٣
(٢) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " .ص١٥
(٣) سورة الحج :آية رقم ٥٢
(٤) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٦٨ ،د.عبد الرحمن بدوي :مذاهب الإسلاميين .ص٤٧٥

،حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام ،وهذا هو أمـــارة إثبـــات كلتي اللفظين في الفائدة،وأما هذه الآية الكريمة التي يحتج بها المخـــالفون(١) ،فإنها لا تدل على ما ذكروه ،لأن مجرد الفصل لا يـــدل علـــى اختـــلاف الجنسين ،ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء ،ثم لا يـــدل هذا على أن نبينا ليس من الأنبياء ،وكذلك فإنه تعالى فصل بيـــن الفاكهـــة وبين النخل والرمان ولم يدل ذلك على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهـــة ،وكذلك ههنا "(٢) .

وإذا كان الأمر كذلك عند القاضي عبد الجبار في الجمع بين لفظي " نبي " و"رسول " فإنه يجعل النبوة جزاءً على عمل(٣) ،على غـــير الحـــال فـــي الرسالة :فالنبوة " المستفاد بها الرفعة التي هي جزاء عمله،ولذلك قالوا :إنـــها مستحقة،دون الرسالة،هو قدر التعظيم والثواب،وليس كذلك الرسالة "(٤) .

ونجد في الوصف أن كل رسول نبي ،وليس كل نبـــي رســـولاً ،فكـــأن الرسول أعم من النبي والنبي أخص ،لكنه – أي الرسول – مع كونه رسولاً فهو نبي أولا ،لتجتمع له الرفعة والتعظيم والجلالة ،ثم تضاف له الرســـالة التي ليست بمدح ولا ثواب(٥) ،فإذا لم يكن رسولاً ،فهو نبي له – فـــي كـــل حال – الرفعة والتعظيم والجلالة .

والأنبياء المرسلون تختلف أحوالهم :فمنهم من بعثه الله تعالى إلى قـــوم دون قوم – كالحال مع الأنبياء والمرسلين السابقين لنبينا محمد – ومنهم من بعثه الله تعالى للناس كافة :الأبيض منهم والأسود ،العربي منهم والأعجمـــي

---

(١) يقصد قوله تعالى في سورة الحج :آية رقم ٥٢ " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " .

(٢) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥٦٨

(٣) علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢٥١

(٤) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص١٦

(٥) المصدر السابق :ص١٢

، كالحال في نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لكنه – في كل الأحوال – قد علم الله تعالى أن هذه البعثة أو تلك فيها صلاح للمبعوث إليهم ،وللمبعوث نفسه ،ولذلك "جوزنا أن يكون المعلوم في المكلفين أن ذلك لطف لهم إذا أداه إليهم نبي مخصوص دون غيره ،وأوجبنا – عند ذلك – بعثته بعينه دون غيره "(١) و "البعثة لطف للمبعوث ذاته لأنه لا يجوز من الله الحكيم أن يحمل المكلف مشقة لنفع مكلف آخر فقط "(٢) .

صفات النبي : لاشك أن صفات النبي الخلقية لها ارتباط وثيق الصلة بكل من التكليف على حقيقته ، واللطف على كماله ،ولذلك – وبما أن البعثة لطف بالمبعوث والمبعوث إليه – فإن " الله تعالى يفعلها في العباد على أحسن وجوهها "(٣).

وأهم هذه الصفات التي يختص بها النبي أن يكون منزهاً عن المنفرات ،مما يجعل تأثيره فيمن بعث إليهم على أكمل الوجوه وأحسنها ،وهذا معناه أن النبي أو الرسول " لابد من أن يكون منزهاً عن المنفرات جملة كبيرة وصغيرة ،لأن الغرض بالبعثة ليس إلا لطف العباد ومصالحهم ،وما هذا سبيله فلابد من أن يكون مفعولاً بالمكلف على أبلغ الوجوه ،والله تعالى يجنب رسوله – عليه السلام – ما ينفر من القبول منه ،لأنه لو لم يجنبه عما هذه حاله ،لم يقع القبول منه ،فلذلك يجب أن يجنبه الله تعالى عن سائر ماله حظ في التنفير "(٤) .

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبوات والمعجزات " ص٢٢ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة.ص٥٧٣ ،د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .ص٣٢٧

(٢) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٥٧٥ ،د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .ص٣٢٧

(٣) د. عبد الستار الراوي : العقل والحرية . دراسة في فكر القاضي عبد الجبار . ص٣٢٧

(٤) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة.ص٥٧٣

ثم بعد تجنيبه كل المنفرات ،يجب تنزيهه عن الكبائر في الحالتين :قبل البعثة وبعدها ،حتى قيل " من حقه ألا يقع منه ما ينفر عن القبول منه أو يصرف عن السكون إليه أو عن النظر في عمله ،نحو الكذب على كل حال ،والتورية ،والتعمية فيما يؤديه "(١) ،ولهذا جاء قوله تعالى مؤكداً إبعاد نبيه – صلى الله عليه وسلم – عن كل ما ينفر " فبما رحمة من الله لنت لهم ،ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك "(٢) ،لأنه " لا يجوز على الأنبياء الكبيرة ،لا قبل البعثة ولا بعدها "(٣) .

وهناك طريقان لإثبات أن الكبائر لا تجوز على الأنبياء – عليهم السلام – قبل وبعد البعثة :

أحدهما : أن العلم يقتضي المنع من ذلك ،لأن أدلة العقول أعلمتنا أن بعثة الرسل لطف ومصلحة للعباد ،والله تعالى " إذا كان إنما يبعث الرسول لتعريف المصالح ،ويظهر عليه العلم لإيجاب القبول منه ،فلابد من أن يكون معظماً في الصدور مستحقاً للرفعة ،فإذا ظهر عليه العلم ،فلابد من استحقاقه التعظيم والتبجيل ،ولو جوزنا عليه الكبائر لجوزنا أن يكذب فيما يؤديه ،ويغيره ،ويبدله ،ولو جاز أن يرتكب الكبائر فما الأمان أن يرتكب الكفر :كعبادة الأصنام والأوثان ،وتعظيم غير الله تعالى ،والكفر بنعمته ،ومن هذا حاله كيف يوثق بأنه يؤدي الشرائع ؟"(٤) .

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٢٧٩ ،أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٣٦

(٢) سورة آل عمران :آية رقم ١٥٩

(٣) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة.ص٥٧٣ ،د.عبد الرحمن بدوي :مذاهب الإسلاميين .ج١ ص٤٧٨

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٣٠٠ :٣٠١

الثاني : إنما يمنع من الكبائر لما فيها من التنفير ،ذلك لأنه ثبت " أن الله تعالى بعث الرسل لتعريف المصالح التي لا تعرف إلا من قبلهم ،فبعثتهم مصلحة ،ومن حيث لا تصح مصالح الأمة إلا هم ،وقد ثبت فيما هو صلاح أنه تعالى يجب أن يفعله على أقوى الوجوه ،وإذا صح ذلك ،وكان المتعالم فيمن تجوز عليه الكبائر ،أن النفوس لا تسكن إلى القبول منه ،سكونها إلى من كان منزهاً عن ذلك(١) ،فلو بعث الله تعالى الرسول للمنع من الكبائر والمعاصي بالمنع والردع والتخويف ،فلا يجوز أن يكون مقدماً على مثل ذلك ،لأنه لو أن واعظاً أنتصب يخوف من المعاصي من يشاهده مقدما على مثلها لاستخف به وبوعظه "(٢) و " لا يجوز على الأنبياء – عليهم السلام – في الخلقة والأخلاق ما ينفر، كما لا يجوز ذلك في الأفعال"(٣) .

وإذا كان القاضي عبد الجبار قد نزه الأنبياء – عليهم السلام – عن الكبائر سواء قبل البعثة أو بعدها ،فإن " الحشوية " جوزت الكبيرة على الأنبياء في الحالين ،وهم – أي الحشوية – إنما " يتمسكون في ذلك بأباطيل لا أصل لها ،نحو قولهم :إن داود هم بامرأة أوريا وعشقها ،ويوسف هم بامرأة العزيز كما همت هي به ،إلى غير ذلك ،وفساد ذلك ما قد دخل من الحشو !! ،ويجب أن يكون الرسول منزهاً عما ينفر عن القبول

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٢ " النظر والمعارف " .تحقيق د.ابراهيم بيومي مدكور .مصر .ص١٣ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة.ص٤٤ ،أبو رشيد النيسابوري :الخلاف بين البصريين والبغداديين .ص٣٠٢ ،حسني زينة :العقل عند المعتزلة .ص٢٠ ،د.سيد عبد الستار :أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية .ص٤٥٩ :٤٦٨.

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٣٠٢ ،أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٢٨ ،حسني زينة :العقل عند المعتزلة .ص١٣١

(٣) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٣١٢ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة.ص٥٧٥

عنه (١) ،والكبائر كلها منفرة فيجب أن يجنب الله تعالى رسوله عنها ،لأن النفوس مطبوعة على القبول ممن لم يتدنس بالمعاصي ،ولا ارتكب شيئاً من كبائرها ،كما هي مطبوعة على أن لا تقبل ممن يتعاطاها "(٢) .

وإذا كان القاضي عبد الجبار قد منع الكبائر عن النبي أو الرسول ،قبل البعثة وبعدها ،فإنه جوز عليه الصغائر دون تنفير ،لأن الصغائر " التي لا حظ لها إلا في تقليل الثواب دون التنفير ،فإنها مجوزة على الأنبياء ،ولا مانع يمنع منه ،لأن قلة الثواب مما لا يقدح في صدق الرسل ولا في القبول منهم "(٣) ،هذا إذا كانت الصغائر غير منفرة ،أما إذا كانت غير ذلك – أي كانت منفرة – فإن القاضي عبد الجبار " لا يجوز على الأنبياء الصغائر إذا كانت منفرة ،ولذلك لم يجوز عليهم الكذب ولا الصغائر المستخفة "(٤) .

وكأن القاضي عبد الجبار – بتأكيده على هذه الصفات النبوية – قد " أدرك البعد الإنساني في النبي في جواز الصغائر عليه ،في نطاق بشريته ، على النحو الذي عاتبه الله تعالى في سورة " عبس " وفي قصة أسرى بدر "(٥) ،لكن إذا كان الأمر أمر تبليغ عن الله تعالى وأداء وإخبار عنه تعالى ،فهو مختلف تماماً ،إذ " ليس يجوز على النبي الغلط ولا الخطأ في

---

(١) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٣٦

(٢) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة.ص٥٧٣، ٥٧٤ ،القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٣٠٣ .د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .ص٣٢٨، ٣٤٧ .د.عبد الرحمن بدوي :مذاهب الإسلاميين .ج١ ص٤٧٨، ٤٧٩ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢٥٣ وما بعدها .

(٣) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة.ص٥٧٥

(٤) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٣٠٩

(٥) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .ص٣٢٩ ،وانظر .سورة عبس :الآيات رقم ١ :٣، سورة الأحزاب :الآيات رقم ٢٦ :٢٨ ،سورة الأنفال :الآيات رقم ٦٧ :٧٠

ذلك ،لأن الله تعالى قد أوجب على الخلق طاعته فيما أمر به ،وتصديقه فيما أخبرهم عن ربهم ،فلم يكن الله ليأمرهم بتصديق من يجوز عليه الخطـأ ،ولا بطاعة من لا يؤمن منه الغلط ،ومعنى ذلك أن النبي لا يجوز عليه الخطـأ في رسالته ،وأن فيما عدا هذه الرسالة فهو غير معصوم ،ولكن بما أن الله اصطفاه من بين الناس ،فهذا دليل واضح على أن ذنوبه كلها مغفـورة "(١) ،وهذا يعني – بوجه آخر – أن ذنوب الأنبياء " ليست إلا ما وقـع بنسيان ،أو بقصد إلى ما يظنونه خيراً مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم ،فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل به "(٢) .

وتأكيد القاضي عبد الجبار على الجانب البشري للرسول – صلى الله عليه وسلم – يدخل بنا إلى باب أوسع ،هو كون المبعوث بشراً وليس ملكـاً ،ولعل هذا ما نعاه القرآن الكريم على غير المؤمنين في قوله تعالى " وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لو لا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً "(٣) ،وقوله تعالى " قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ،وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً "(٤) ،مما يجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – إنساناً يعيش كما يعيش غيره من الناس :يأكل كما يأكلون ،ويشرب كما يشربون ،ويتألم وييسر ،ويفرح ويحزن ،ثم – في نهاية مشواره – يموت كما يموت غيره ،وذلك كله ليكون النبي أقرب إلى فهم من بعث إليهم ،باعتباره من جنسهم ،

---

(١) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٢٩ :القاضي عبد الجبار :المغني في أبوب التوحيد والعدل .ج١٥ "التنبؤات والمعجزات " ص٢٨٠

(٢) أبو محمد على بن أحمد " ابن حزم " :الفصل في الملل والأهواء والنحل .تحقيق د.محمد ابراهيم نصر ،د.عبد الرحمن عميرة .مكتبة عكاظ .الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ج٤ ص٤٦

(٣) سورة الفرقان :آية رقم ٧

(٤) سورة الإسراء :الآيتان رقم ٩٣،٩٤

والحال تختلف تماماً لو كان الرسول ملكاً من الملائكة ،وهذا ما نعلمه من صفات نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فهو لم يكن منعزلاً عن قومه ولا مجتمعه ،بل كان – صلى الله عليه وسلم – " جزءاً من الواقع والمجتمع ،كان ابن المجتمع ونتاجه :نشأ في مكة يتيماً ،وتربى في بني سعد كما تربى أترابه في البادية ،تاجر كما كان يتاجر أهل مكة ،وسافر معهم ،وشاركهم حياتهم وهمومهم ،وحين أراد بعض الأعراب أن يعاملوه – بعد البعثة – معاملة الملوك ،رفض ،وحين رأى أعرابياً ترتعد فرائصه وهو يستعد للقائه ،هدأ روعه ،وقال قولته المشهورة " إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة "(١) .

ولعل ما اشتهر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الأمانة ،دليل على ذلك ،فإنه لا يشتهر بالأمانة إلا من عامل الناس وعاملوه ،واختلط بهم واختلطوا به ،بما يسمح لهم بالحكم عليه ،حتى اشتهر بين الناس بصفات الكمال التي يرغب فيها كل متطلع للحق والخير ،مما حدا " بأمنا خديجة – رضي الله عنها – أن تخطبه لنفسها ،وهي كريمة من كريمات العرب ،ذات مال وجمال وحسب ،مرغوب فيها لا مرغوب عنها "(٢) ،حتى عندما جاءه الوحي ،أخذت السيدة خديجة – رضي الله عنها – تهدأ روعه بعد ما عاناه من لقاء جبريل – عليه السلام – أول مرة ،وتقول له " كلا ،أبشر ،والله ما يخزيك الله أبداً ،إنك لتصل الرحم ،وتصدق الحديث ،وتحمل الكل ،وتكسب المعدوم ،وتقري الضيف ،وتعين على نوائب الحق "(٣) ،وكل هذه الأوصاف تعني وصفاً لمن يتعامل مع مجتمعه ،فيما يعرف بـ " الأخلاق

---

(١) د.نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص .دراسة في علوم القرآن .ص٥٩

(٢) المرجع السابق :ص٥٩،٦٠

(٣) جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن .ج١ ص٢٤

المتعدية للغير "(١) ،تلك الأخلاق التي تؤهل الموصوف بـــها أن يكـون ذا خبرة بمن سيخاطبهم بكلام الله تعالى ،فيصبر على ما سـيلقاه مـن عنـت ومشقة في سبيل إبلاغ كلام الله تعالى للعالمين ،ولعل هذا ما نفهمه من قـول الله تعالى " إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً "(٢) ،وقوله تعالى "ولربك فاصبر"(٣).

دلائل النبي : إن الكلام عن " دلائل النبي " يدخل بنا إلى مسألتين :

واحدة ،تحتاج للحسم ،والحسم – بدوره – يحتاج للعقل الواعـي الفـاهم الناقد .

والثانية ،تم حسمها بنصوص شرعية :قرآناً كريماً وسنة نبوية مطـهرة ،قطعية الثبوت قطعية الدلالة .

أما المسألة الأولي : فقد دخلت إلى عالمنا العربي والإسلامي من بـاب نجله ونحترمه ،لأنه أحد مظاهر الإسلام ،وهو المظهر السلوكي الأخلاقـي العملي ،ونقصد به :التصوف ،ذلك لأنه حدث خلط – وخبط – بين الكرامـة التي تنسب للصوفي الولي ،وبين المعجزة التي لا تكون إلا للنبي – صلـى الله عليه وسلم – ومهما كانت التبريرات المعطاة لتجويز أو تبرير الكرامـة ،فإن القول بها – في البدايات – تضخم حتى شوش على العقليـة العربيـة ،فتواكلت واعتمدت على ما هو غير عقلي ولا علمي – بل سـهل – كـي تحل به مشكلاتها الكونية ثم الاجتماعية والسياسية ،وفي تغييـب العقـل – فيما نرى – تغييب العلم ،والعلم هو السبيل الوحيد لفـض أسـرار الكـون والسيطرة على ظواهره وتسخيرها لخدمتنا ،لنكون – من ثم ،وكمـا قـال

---

(١) د.نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص -دراسة في علوم القرآن .ص٦٠

(٢) سورة المزمل :آية رقم ٥

(٣) سورة المدثر :آية رقم ٧ ،وانظر في تفصيل ذلك .القاضي عبد الجبار :المغني فـي أبـواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٩،١٧،١٨،٢٦،٤٥،٩٥

القرآن الكريم – خلفاء في الأرض في قوله تعالى " إني جاعل في الأرض خليفة "(١) ،فإذا تخلف العقل المفكر وركن إلى إمكان خرق قوانين الطبيعة على أيدي البشر العاديين ،ففي هذا نفي وجودي واستبعاد حضاري ،ولا أظننا في حاجة إلى جهد كبير لندلل على ذلك النفي والاستبعاد ،فيكفينا نظرة واحدة – تتقي الله – لنعرف ما صارت إليه أحوال الأمة على كل الصعد.

والعقلية الاعتزالية – ممثلة في القاضي عبد الجبار – كأنها كانت تخشى أن يغيب العقل الإسلامي ،فيغيب معه العلم ،فتغيب الأمة – بغيابهما – عن دورها الحقيقي ،فأسست موقفا نقديا من مسألة الكرامات ،بل وامتد هذا الموقف إلى المعجزات غير القرآن الكريم للرسول – صلى الله عليه وسلم – فلما أيدها القاضي عبد الجبار – أي المعجزات غير القرآن الكريم – لم يجعلها ذات مضمون إعجازي فعال ،إنما جعلها مجرد حوادث وظيفية ،لا تقوم حجة أمام المخالفين وجعل القرآن الكريم – وحده – المعجزة الوحيدة الأعظم لنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – حيث فرق القاضي عبد الجبار بين معجزات من قبله – صلى الله عليه وسلم – من الرسل – عليهم السلام – وبين معجزة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – فاعتمد النوع الأول على الحواس :كفلق البحر ،وقلب العصا حية ،وإبراء الأكمه والأبرص ،وجعل النوع الثاني يعتمد على العقل ،الذي اكتمل ،فكان حقاً له أن يخاطب بما يليق به ،وهو الخطاب الإلهي المتمثل في القرآن الكريم ،الذي كثيراً ما تنتهي آياته الكريمة بالحديث عن :العقول والألباب وأولي النهي والتدبر والتفكير والاعتبار ،وكلها – كما هو واضح – مخاطبات للعقل الذي يدور معه التكليف الشرعي وجوداً وعدماً ،والذي هو – أعني

(١) سورة البقرة :آية رقم ٣٠

العقل – أعدل الأشياء قسمة بين الناس(١) .

إن مسألة " الكرامات " تمثل – عند القاضي عبد الجبار – ردة عن الفكر العقلي المستنير ،تقوم على أساس نبذ العقل وإنكاره ،والاشتغال بالغيبيات والخرافات ،والاعتقاد بسلطان مطلق لشيوخها ،فيتصرفون في الكون حسبما يشاءون ،ويلحقون الضرر والأذى بمن لا يعتقد في قدراتهم وولايتهم !!!حيث سرت بين الناس قدرة هؤلاء على نقض قوانين الطبيعة الثابتة ،في أي زمان وفي أي مكان شاءوا(٢) ،مما دفع به – أي القاضي عبد الجبار – إلى رفض ما ينسب إلى الأولياء من كرامات جملةً وتفصيلاً(٣) ،تمشياً مع العقلية الاعتزالية المنهجية والنقدية .

يقول القاضي عبد الجبار مبيناً عدم إجازة الكرامات ،لا على ولي ولا على صالح ،بل ولا على صحابي أو تابعي ،ومبقيا – فقط – على معجزة الأنبياء من حيث هم مؤيدون بالمعجز من عند الله تعالى " لو كانت الكرامة تظهر على الصالحين ،لكانت بأن تظهر على السلف الصالح من كبار الصحابة أولى ،وقد صح وثبت بتواتر الأخبار أنها لم تظهر عليهم ،ولأن القدم لم يدعوا ذلك فيهم "(٤) .

---

(١) انظر في ذلك،وفي مواضع مختلفة.د.زكي نجيب محمود:المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري.دار الشروق.القاهرة ١٩٧٨م ط٣ ،د.زكي نجيب محمود:تجديد الفكر العربي.دار الشروق .القاهرة ١٩٧٨م ط٥،د. زكي نجيب محمود :الجبر الذاتي .ترجمة د.إمام عبد الفتاح إمام .المؤسسة المصرية العامة للكتاب.القاهرة ١٩٧٣م،د.فؤاد زكريا:التفكير العلمي.عالم المعرفة .الكويت .العدد رقم٣

(٢) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٤٦ ،وانظر أمثلة لذلك ،وفي مواضع مختلفة .أبو بكر الكلاباذي :التعرف لمذهب أهل التصرف .تحقيق .د.محمود أمين النواوي .مكتبة الكليات الأزهرية .القاهرة ١٩٨٠م ط٤ ،د.حسن الشرقاوي :معجم ألفاظ الصوفية .القاهرة ١٩٨٧م ط١

(٣) أبو الفتح الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٨٤،٨٥ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٢٥٥

(٤) القاضي عبد الجبار:المغني في أبواب التوحيد والعدل.ج١٥ "التنبؤات والمعجزات " ص٢٤١–

وإذا كانت " الكرامة " تمثل نوعاً من التأييد والقدرة على تغيير المواقف لصالح صاحبها ،فلقد كان " الأولى بأن يظهر المعجز على أمير المؤمنين في حال منازعة غيره له ،كمعاوية وغيره ،لأنه أقوى في إزالة الشبهة وفي الاستغناء عن التحكيم الذي نتج في خلاف الخوارج ما نتج ،ليدل ذلك على أنه أولى بالأمر من معاوية،وطبقته أولى من سائر ما يروى في هذا الباب ، وكان ظهورها ربما يغني عن تكليف المحاربة،فكيف يجوز ،مع شدة حاجة الناس إلى فقه "الحسن" و" سعيد بن المسيب "والتعلم منهما والرجوع إليهما، ألا يظهر ذلك عليهما،ويظهر على من لا حظ له يعظم من الصالحين؟ "(١).

وبطبيعة الفكر الاعتزالي المعتمد على العقل ،يرفض القاضي عبد الجبار الاعتراف بأي نوع من " الكرامات " حتى لو صغر ،لأنه ذلك خرق للعادة لا تجوز إلا في المعجز ،والمعجز لا يكون إلا للنبي – صلى الله عليه وسلم – ويصبح التسليم بذلك " الصغير " من " الكرامة " تسليماً بأنه معجز ،ومن ثم فلو قال مدعو " الكرامات " إنهم " يقصدون بالكرامات ما تقصر مرتبته عن المعجزات "(٢) ،يرد عليهم القاضي عبد الجبار بقوله " لقد بينا من قبل أن الصغير من ذلك في حكم الكبير ،وأنه لا معتبر بالصغر والكبر ،فليس لكم أن تقولوا إن إحياء صغير الحيوان كرامة وإحياء الموتى من الناس معجزة ،لأن الحال في الجميع واحدة :نقض العادة "(٣) .

- ،د.أبو الوفا الغنيمي التفتازاني :ابن عطاء الله السكندري وتصوفه .مكتبة الأنجلو المصرية .القاهرة ١٩٦٩م ط٦ ص٧٥،٧٦ ،د.سيد عبد الستار ميهوب :الولاية عند عبد الكريم الجيلي .ص٧٠ :٧٤

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٢٤١،٢٤٢

(٢) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٢٤٢ ،د.أحمد محمود الجزار :الولاية بين الجيلاني وابن تيمية .ص٤٠ وما بعدها .

(٣) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٢٤٢،٢٤٣

وهذا التوجه من القاضي عبد الجبار يمهد الطريق أمام نفي كل ما من شأنه الحط – أو الحد – من قدرة العقل الذي خلق ليتعامل مع الكون بقوانينه وأسراره وظواهره ،فلا تكون قيمة لقول من يقول " إن الصالحين يمشون على الماء ،وتطوى لهم الأرض والمنازل ،ويحصل لهم من المراد من الطعام والشراب في البوادي والمفاز "(١) ،وكل ذلك إن لم يزد على معجزات الأنبياء لم ينقص عنها "(٢) ،وقريب من هذا جاء قول ابن عطاء الله السكندري " والله ،لقد صحبت أقواماً يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها بيده فتثمر رماناً للوقت ،فمن صاحب هؤلاء الرجال فماذا يصنع بالكيمياء !!!؟ "(٣) .

إن الأخذ بـ " الكرامة " لو" ظل تعلقنا به على هذا النحو ،وشغلنا بالأولياء لقعدنا عن العمل ،ولانصرفنا بعيداً عن الأخذ بأسباب الحياة ،مع أن الأفضل أن ننصرف إلى استلهام ما في أقوال هؤلاء الأولياء الكبار من معان روحية نزيل بها ما ران على القلوب والحياة من أدران المادية المسرفة "(٤) .

---

(١) د.أبو الوفا الغنيمي التفتازاني :ابن عطاء الله السكندري وتصوفه .ص٧٦

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص٢٤٣

(٣) ابن عطاء الله السكندري :لطائف المنن .تحقيق .د.عبد الحليم محمود .القاهرة ص١٧٤

(٤) د.أحمد محمود الجزار :الولاية بين الجيلاني وابن تيمية .ص٤٥ ،وهذا الموقف السالف يزيده قول أستاذنا الراحل الدكتور " التفتازاني " وضوحا " ليت كتاب التراجم من المناقبيين أمسكوا عن ذكر مثل هذه الخوارق ،والمبالغة في إظهار أهميتها ،إنهم لو فعلوا ذلك ما أساءوا إلى التصوف ،وما شوهوا صورته الحقيقية في نظر الناس " .انظر .د.أبو الوفا الغنيمي التفتازاني :ابن عطاء الله السكندري وتصوفه .ص٧٥،٧٦ ،ابن عطاء الله السكندري :لطائف المنن .ص٧٤ :٧٦ ،ابن تيمية :الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .المكتبة السلفية .القاهرة ١٣٩٩هـ ط٤ ص٧٨ وما بعدها ،د.زكي نجيب محمود :المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري .الفصل التاسع " يقظة الحالمين " ص٣٩١ :٤٣٥ ،د.سيد عبد الستار ميهوب :الولاية عند عبد الكريم الجيلي .ص٧١ :٧٤

وبهذا لم يبق – من ثم – إلا القول بأن المعجزة – للنبي صلى الله عليه وسلم – هي – فقط – التي يجوزها القاضي عبد الجبار ويقول بنقضها للعادة ،حتى عندما يعترف بمعجزات الرسول – صلى الله عليه وسلم – غير القرآن الكريم (١) ،فإنه إنما فعل ذلك بقدر كبير من العقلانية والموضوعية في تخليص الفكر الإسلامي من " الشطحات " ،إضافة إلى محاولته تقرير النبوة ،لما تمثله من التعاليم الشرعية :نقلاً وبياناً ،وما تقوم عليه من تأسيس إعجازي ينفرد بذاته ،ولا يقبل المشاركة بأي دعوى(٢) .

أما المسألة الثانية : وهي تلك التي حسمها الشرع بأدلته القرآنية والنبوية ،ونعني بها :المعجزة ،والتي إنما هي تأكيد لقدرة الله تعالى على الإعجاز ،بما تمثله هذه القدرة من اللامحدودية(٣) ،لأن المعجز الدال على صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – هو " ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدرة إلهية ،تدل على أن الله تعالى خصه – أي النبي – بها ،تصديقاً على اختصاصه برسالته ،فيصبر دليلا على صدقه "(٤) .

وأما شروط المعجز الذي يختص به النبي – صلى الله عليه وسلم – وحده ،فقد سبق وبيناها تفصيلاً بما يغني عن إعادتها هنا(٥) ،لكن ما نريد الكلام فيه هنا ،هو أن المعجزة عند القاضي عبد الجبار " أمر لا يقدر عليه العباد ،فضلاً عن خروجه على العادة ،ليعلم أنه تعالى فعله مع حكمته عند

---

(١) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٧٦ :٨٤

(٢) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٤٩

(٣) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص١٥١ :١٥٦ ،د.سيد عبد الستار ميهوب :الإلهيات عند ناصر الدين البيضاوي .دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع .القاهرة ١٩٩٤م ط١ ص٩٤ :١١٤

(٤) أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٣٩

(٥) هذا البحث :ص١١٤ : ١٢٠ ،القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة .ص٥٦٩ :٥٧١ ،د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٣٥٠،٣٥١

الدعوى "(١) ،مما يعني أن المعجزة أمر فوق قدرة البشر ،نظراً لتجاوزها قوانين الأشياء والظواهر والطبيعة ،لكنها – في الوقت نفسه – ليست من صنع النبي ،بل هي من صنع الله تعالى ،الذي أتقن كل شيء صنعه ،تصديقاً منه تعالى للنبي أمام مكذبيه ،ولما كان الأمر كذلك فإن ما يأتي به المشعبذون والحيليون مما قد " يشابه " المعجزة ،إنما مرده إلى " الاختصاص بلطيفة أو طبيعة ،أو ضرب من القدرة والمعرفة والآلة "(٢) ،وكل هذه الوسائل تمثل نوعاً من " الخداع والحيلة والتضليل ،ولأن المعجزة النبوية ترتبط إلهياً بعلة غائية ،هدفها الحق المطلق والعدل الشامل ،بينما الكرامات إحدى وسائل منفذيها من الحذق والشعوذة "(٣) .

هذا معناه ربط تجاوز قوانين الأشياء الكونية وقهر الفاعلية الإنسانية بشخص وبفعل وبزمان :

أما الشخص ،فهو المرسل من قبل الله تعالى ،على طريقة الاختيار والاصطفاء .

وأما الفعل ،فهو المعجزة ،التي يظهرها الله تعالى على نبيه تأييداً له ،وإفحاماً لمنكري نبوته ،وهو – أي المعجز – مرهون بصنف ما تفوق فيه أهل هذا النبي أو ذاك ،بما يجعلهم عاجزين عن هذا المعجز أو عن مثله :كله أو بعضه .

وأما الزمان ،فهو زمان النبي نفسه .

ولا خرق العادات والنواميس التي خلق الله تعالى الكون عليها إلا بهذه الأمور الثلاثة ،ومن ثم " لا يجوز في غير زمن النبي

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج ١٥ " التنبؤات والمعجزات " ص١٧٠

(٢) المصدر السابق : ص٢٦١

(٣) د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار .ص٢٥٣

نقض العادات "(١) ،فليس " يحسن من الله تعالى – عقلاً – أن يفعل ذلك في كل وقت ،لما يترتب عليه من بلبلة البشر ،فلا يجوز – مثلاً – أن يصطلي الإنسان إلى النار اتقاء للبرد ولا يحصل له ما كان يطلبه من دفء "(٢) .

وإذا كنا طلبنا " زمناً " محدداً للمعجزة ،فهذا للمعجزة المادية فقط ،أما المعجزة التي هي غير ذلك ،ولأنها تتعلق بالعقل ،فتبقى ما دامت الحياة نفسها باقية ،ومعجزة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – الكبرى والعظمى هي القرآن الكريم ،تلك التي جعلها القاضي عبد الجبار الأمر الوحيد الذي نحتج به على المخلفين(٣) ،أما غير القرآن الكريم من المعجزات للنبي – صلى الله عليه وسلم – فإن القاضي عبد الجبار يقر بها ويثبتها ،لكنه يجعلها " معجزات مؤكدة وزائدة في شرح الصدور في من

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٣ " اللطف " .تحقيق .د.أبو العلا عفيفي .مراجعة .د.إبراهيم بيومي مدكور .إشراف د.طه حسين .دار الكتب المصرية .القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ص٤٥٠

(٢) حسني زينه :العقل عند المعتزلة .تصور العقل عند القاضي عبد الجبار .ص١٣٢ ،وهذا الكلام – فيما نري – يدخل في نطاق ربط النتائج بالمقدمات ،أو المعلول بالعلة ،وهو على عكس ما تقول به الأشاعرة جميعاً – وبعض المعتزلة – من أنه من الجائز أن يحدث شبع ولا طعام ،وجوع مع طعام ،وأن يقع اتصال بين القطن والنار دون حدوث احتراق .وللمزيد حول هذه الجزئية .انظر .أبو رشيد النيسابوري :المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين .ص١٣٣ :١٤٩ ،أبو رشيد النيسابوري :ديوان الأصول .تحقيق .د.محمد عبد الهادي أبو ريدة .دار الكتب .القاهرة ١٩٦٩م ص٥٠٨،٥٠٩ ،د.سعيد مراد :ابن متوية وآراؤه الكلامية والفلسفية .مخطوط دكتوراه .كلية الآداب .جامعة الزقازيق .مصر ١٩٨٦م ص٤٤٢ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص١٥١ ،ابن رشد :تهافت التهافت .تحقيق د.سليمان دنيا .دار المعارف .القاهرة ١٩٨٠م،١٩٨١م ص٢٤٥ :٢٤٧ ،د.محمد عاطف العراقي :ثورة العقل في الفلسفة العربية .دار المعارف .القاهرة ١٩٧٨م ط٤ ص١١٢ ،د.سيد عبد الستار ميهوب :أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلامية والفلسفية .ص٣٧٣ :٣٧٨ ،د.سيد عبد الستار ميهوب :الإلهيات عند ناصر الدين البيضاوي .ص١٤٣،١٤٦

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج ١٦ " إعجاز القرآن " ص٢٣٦،٤١٤ ،د.محمد عمارة :رسائل العدل والتوحيد .ج١ ص٢٣٧ :٢٤٠

يعرفها من جهة الاستدلال "(١) .

إذن يبقى القرآن الكريم معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - الكبرى(٢) ،والضمانة الصحيحة لصحة صدق نبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو أي القرآن الكريم - الدليل الإلهي على صحة رسالته - صلى الله عليه وسلم - ومتى " صحت نبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وجب اتباعه ،لأن كلامه مفهوم ،ورسالته مفهومة للمرسل إليهم"(٣) ،والاتباع - هنا - عام ويشمل الناس جميعهم ،لأن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية المنزلة ،ولأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم ،فالرسول - عليه الصلاة والسلام - مكلف أن "يبلغ الجميع "(٤) ،والجميع - هنا - العرب وغير العرب ،مما يجعل الفكر الإسلامي أمام إشكالية ليست سهلة ... وهي :إذا قدر العرب على فهم القرآن الكريم ،فما بال غير العرب ؟ وهذه الإشكالية مؤسسة على أمرين :

<u>الأول :</u> أن القرآن الكريم مفهوم ،لا ملغز ولا معمى ،لقول الله تعالى " وهذا لسان عربي مبين "(٥) ، وقوله تعالى " نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين "(٦) ، وقوله تعالى " إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم

---

(١) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص١٥٢،٤٠٧،٤١٣،٤٢٢ ؛ ،أبو الحسن الماوردي :أعلام النبوة .ص٧٦ :٨٤

(٢) انظر . هذا البحث : الباب الأول . الفصل الثاني . المبحث الرابع . ص١٠٩ : ١٦٤

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٧ " الشرعيات " .حرر النص أمين الخولي .إشراف .د.طه حسين .المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ص٢٥٤.

(٤) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٦٥

(٥) سورة النحل :آية رقم ١٠٣

(٦) سورة الشعراء :آية رقم ١٩٥

تعقلون "(١) .

والثاني : أن فهم القرآن الكريم واجب ،ومعرفة معانيه مطلوبة ،لأن الإيمان به دون فهمه ومعرفة معانيه " لا يحسن التعبد به "(٢) ،مما يعني أن فهم القرآن الكريم أمر عام لكل المسلمين ،وليس للنبي – صلى الله عليه وسلم – وحده ،ولا للسلف الصالح – رضي الله عنهم – ولا للأئمة ... دون غيرهم(٣) ،لأن " نزول القرآن الكريم بلغة العرب يدل على أن أهل اللغة بمكنهم الوصول إلى معرفته ،لأن الكل إذا اشتركوا في معرفة اللغة ،لم يجز أن يختص بعضهم بأن يعرف المراد بالكلام دون بعض "(٤) ،وهنا تبدو الإشكالية التي نحن بصددها :وهي صعوبة فهم القرآن الكريم لغير العرب ،" فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان ،وما حجته عليهم "(٥) ،وهذه الإشكالية – غير السهلة – حلها القاضي عبد الجبار " بتركه الأشعرية الإيمانية الصرفة ،ودخوله الاعتزال ،وأخذه بالعقل المتغلغل في ثنايا الإيمان ،فيفهم السمع فهما متسقاً ومبادئه وقوانينه ،ذلك لأنه – أي العقل – ينطلق من ايمانه بقيمة ذاته كمبدأ كلي سابق للسمع

---

(١) سورة يوسف :آية رقم ٢ ،وانظر أيضاً في نفس سياق الأدلة .سورة فصلت :الآيتان رقم ٣٠،٤٤ ،سور- الرعد :آية رقم ٣٧ ،سورة طه :آية رقم ١١٣ ،سورة الزمر :آية رقم ٢٨ ،سورة الشورى :آية رقم ٧ ،سورة الزخرف :آية رقم ٣ ،سورة الأحقاب :آية رقم ١٢

(٢) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٥٧ ،وربما يكون هذا الشرط لوجوبية فهم القرآن الكريم ،ومعرفة معانيه ليحسن التعبد به ،معتمداً على قوله تعالى في سورة محمد :الآية رقم ٢٤ " أفلا يتدبرون القرآن ،أم على قلوب أقفالها "

(٣) القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ " إعجاز القرآن " ص٣٥٦،٣٥٩، ٣٦١،٣٦٣،٣٦٩

(٤) المصدر السابق :ص٣٦٢

(٥) د.ابراهيم بيومي مدكور :في الفلسفة الإسلامية .منهج وتطبيقه .ج١ ص٨٧ ،حسني زينه :العقل عند المعتزلة .تصور العقل عند القاضي عبد الجبار .ص١٣٣،١٣٤

وأوامره ونواهيه ،وبقدرته على سد النقص بالاستناد إلى حجج يستقيها من نصوص السمع كالقرآن الكريم والسنة ،أو من ممارسات المؤمنين كالإجماع ،فإنْ دل العقل على وجوب " شيء " وحسّنه ،صار مأذوناً فيه من قبل الله تعالى ،وإنْ منع العقل " شيئاً " ،فالواجب في " الشرع " إذا ورد ظاهره بما ينتقض ذلك أنْ نتأوله بما يتفق و"العقل "(١) ،فيما عرف بـ"الحسن والقبح العقليين " عند المعتزلة "(٢) .

❀❀❀

وبعد ... فهذا هو القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني :قاضي القضاة ،وآخر الرموز الكبيرة في مدرسة الاعتزال ،وقد تكلم عن القرآن الكريم باعتباره آخر الكتب السماوية التي تخاطب المكلفين ،فجعل له الإعجاز القائم بين ظهرانينا إلى يوم القيامة ،ولم يمنع من الإقرار بالمعجزات الأخرى التي ثبت صحتها ونسبتها إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – لكنه – أي القاضي عبد الجبار – لم يجعل لها حجة على المخالفين ،بل القرآن الكريم هو المعجزة التي يحتج بها على هؤلاء المخالفين .

وتكلم عن النبوة – بوجه عام – ونبوة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – بوجه خاص ،فجعلها حقيقة شرعية وعقلية معاً،ترتهن بها مصالح العباد ،تلك المصالح التي يريدها الله تعالى على أكمل الوجوه .

وتكلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فجعله آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم ،وأكّد معجزاته – صلى الله عليه وسلم – المادية التي روتها كتب التاريخ والسيرة ،وعلمناها ،كما نعلم – تاريخاً – البلدان وأخبارها ،والملوك

---

(١) حسني زينه :العقل عند المعتزلة .تصور العقل عند القاضي عبد الجبار .ص١٣٤

(٢) القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٣٠٥ ،أبو الفتح الشهرستاني :الملل والنحل ج١ ص٤٥ وما بعدها ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص١٢٨،٢٦٣،٢٦٦

وأحوالها ،وأكد معجزته – عليه الصلاة والسلام – الكبرى والعظمى :وهـــي القرآن الكريم ،كحجة تبقى شامخة ،ودليل على نبوة نبينا محمد – صلـــى الله عليه وسلم – به – أي القرآن الكريم – نميز بين الحـــلال والحـــرام ،وبـــه نعرف دواعي التكليف ووسائله وغاياته وثماره .



ثبت المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا :المصادر العامة :

١- القرآن الكريم

٢- كتب الأحاديث القدسية النبوية :

- الأحاديث القدسية .مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .القاهرة
- الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية .جمع .محمد أحمد المدني .مكتبة الأزهر .القاهرة ١٩٨٠م ط١
- صحيح البخاري .ضبط وتخريج .د.مصطفى ديب البغا .دار ابن كثير .دمشق .طبعة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ج٣ ،ط٥ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ج١، ٣، ٤، ٥
- صحيح مسلم .تحقيق .محمد فؤاد عبد الباقي .دار إحياء التراث .بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م ط٤ ج٣

٣- المعاجم ودوائر المعارف والموسوعات :

- المعجم الوسيط .مجمع اللغة العربية .القاهرة ١٩٨٥م ط١
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .جمع .محمد فؤاد عبد الباقي .دار الفكر .بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م
- المعجم الفلسفي .وضع .د.مراد وهبة .دار الثقافة الجديدة .القاهرة ١٩٧٩م ط١
- المعجم الفلسفي.وضع.جميل صليبا.بيروت١٩٧١م ج١، ١٩٧٣م ج٢
- دائرة المعارف الإسلامية.مطبعة الشعب.مصر.مجلد٩ مادة " تفسير"
- الموسوعة العربية الميسرة.إشراف.محمد شفيق غربال .دار نهضة لبنان للطبع والنشر .١٤٠١هـ/١٩٨١م ج١، ٢

ثانيا : مؤلفات القاضي عبد الجبار :

- شرح الأصول الخمسة .تعليق .الإمام أحمد بن الحسين .تحقيق د.عبد الكريم عثمان .مكتبة وهبة .القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ط١
- المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج٧ " خلق القرآن " تقويم إبراهيم الإبياري .إشراف د.طه حسين .القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ط١
- ج١٢ " النظر والمعرف " تحقيق د.إبراهيم بيومي مدكور
- ج١٣ " اللطف " تحقيق د.أبو العلا عفيفي .القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م
- ج١٥ " التنبؤات والمعجزات " تحقيق .د.محمود الخضيري ،د.محمود قاسم .القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م
- ج١٦ " إعجاز القرآن " تقويم .أمين الخولي .القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م
- ج١٧ " الشرعيات " حرر النص .أمين الخولي .القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م
- تنزيه القرآن عن المطاعن .دار النهضة الحديثة .بيروت
- المحيط بالتكليف .جمع .الحسن بن متوية .تحقيق السيد عمر عزمي .الدار المصرية للتأليف والترجمة .القاهرة.

ثالثا : المصادر والمراجع العربية :

ابن الأثير " مجد الدين بن السعادات " :النهاية في غريب الأثر .تحقيق محمود الطناحي ،طاهر الزاوي .المكتبة العلمية .بيروت .ج٢.

ابن تيمية " الإمام أحمد " :منهاج السنة النبوية .بهامشه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .دار الكتب العلمية .بيروت .ج1

– الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .المكتبة السلفية .القاهرة ١٣٩٩هـ ط٤

– في عقيدة أهل السلف والفرقة الناجية .المكتبة السلفية .القاهرة ١٤٠١هـ ط٣

ابن الجوزي " أبو الفرج عبد الرحمن " :فنون الأفنان في عيون القرآن .تحقيق حسن ضياء الدين عتر .دار البشائر الإسلامية .بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ط١

ابن حزم " أبو محمد علي " :الفصل في الملل والأهواء والنحل .بهامشه الملل والنحل للشهرستاني .مكتبة الخانجي .القاهرة ج١ ،طبعة مكتبة عكاظ .الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ج٤ تحقيق .د.محمد إبراهيم نصر ،د.عبد الرحمن عميرة

ابن حنبل " الإمام أحمد " :الرد على الزنادقة والجهمية .تحقيق .محمد حامد الفقي .مكتبة السنة المحمدية .القاهرة ١٩٦٥م

ابن خالوية " الحسين بن أحمد " :الحجة في القراءات السبع .تحقيق .د.عبد العال سالم مكرم .دار الشروق .بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م

ابن خزيمة " محمد بن إسحاق " :التوحيد وإثبات صفات الرب .مراجعة .محمد خليل هراس .مكتبة أنس بن مالك .القاهرة

١٤٠٠هـ

ابن خلدون " عبد الرحمن " :المقدمة .دار الكتب العلمية .بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ط٤

ابن رشد " أبو الوليد " :تهافت التهافت .تحقيق د.سليمان دنيا .دار المعارف .القاهرة ١٩٨٠م

-الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة .تحقيق د.محمود قاسم .مكتبة الأنجلو المصرية .القاهرة ١٩٥٥م

ابن زنجلة " عبد الرحمن بن محمد " :حجة القراءات .تحقيق سعيد الأفغاني .مؤسسة الرسالة .بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ط٣

ابن سينا " الشيخ الرئيس " :رسالة في إثبات النبوات وتأويل رمزهم ضمن مجموعة رسائل.

- الرسالة العرشية في حقائق التوحيد وإثبات النبوة .جامعة الأزهر .القاهرة ١٩٨٠م

ابن الضريس " أبو عبد الله محمد " :فضائل القرآن .تحقيق مسفر سعد دماس .دار حافظ للنشر والتوزيع .الرياض ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ط١

ابن عساكر " أبو القاسم " :تاريخ دمشق .ج٢٠

ابن القاصح " علي بن عثمان " :سراج القاري المبتدي وتذكار القاري المنتهي .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٧٣هـ ط٣

ابن القيم " شمس الدين محمد " :اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .مكتبة دار المعرفة

- الصواعق المرسلة علـــى الجهميـة والمعطلـة .اختصره محمد بن الموصلـــي .مكتبـة الريـاض الحديثة

- الأمثال في القرآن .تحقيق ســعيد محمـد نمـر الخطيـــب . دار المعرفـــة . بـــيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ط٣

- التبيان في أقسام القرآن .تصحيح وتعليــق طـه يوسف شاهين .دار الكتاب العربي .

ابن كثير " الحافظ أبو الفدا إسماعيل " :فضائل القرآن .تصحيـح السـيد محمد رشيد رضا.مطبعة المنار.القاهرة١٣٤٧هـ

- تفسير القرآن العظيم .مطبعة الشعب .القاهرة

- البداية والنهاية .دار الفكر .بيروت ١٩٧٨م

ابن منظور " جمال الدين محمد بن مكرم " :لسان العرب .تقديم عبـد الله العلايلي .دار الجيل .بيروت ١٩٨٨م ج٥

ابن النديم :الفهرست .تحقيق رضا تجدد .طهران ١٩٧٨

أبو زهرة " الشيخ محمد " :أصول الفقه .القاهرة ١٩٥٧م

أبو ريدة " د.محمد عبد الهادي " :إبراهيـم بـن سـيار النظـام وآراؤه الكلامية والفلسفية .مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشر . القاهر ١٩٤٦م

أبو زيد " د.نصر حامد " :مفهوم النص .دراســة فـي علـوم القـرآن .المركز الثقافي العربي ١٩٩٠م ط١

أبو شهبة " د.محمد محمد " :المدخل لدراسة القرآن الكريم .دار اللــواء .الرياض ١٩٨٧م ط٣

الأسفراييني " أبو المظفر " :التبصير في الدين .تحقيق محمد زاهد الكوثري .مطبعة الأنوار .مصر ١٩٤٠م ط١

الأشعري " أبو الحسن " :مقالات الإسلاميين .تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م

- الإبانة عن أصول الديانة .تحقيق د.فوقية حسين محمود.دار الكتاب .القاهرة ١٩٧٩م ط١،٢

الأصفهاني " شمس الدين أبو الثناء " :بيان المختصر شرح مختصر ابن رجب .تحقيق د.محمد مظهر بقا .مركز البحث العلمي .جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ط١

الألباني " ناصر الدين " :ضعيف الأدب المفرد .مكتبة الجبيل .السعودية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ط٤

أمين " أحمد " :ضحى الإسلام .مكتبة النهضه المصرية .القاهرة

الإيجي " عضد الدين " :المواقف .القسطنطينية ١٩٢٨م

الباقلاني " أبو بكر " :التمهيد والرد على الرافضة والخوارج والمعتزلة .دار الفكر .القاهرة ١٩٤٧م

بدوي " د.عبد الرحمن " :مذاهب الإسلاميين .دار العلم للملايين .بيروت ١٩٧١م ط١ ج١

- من تاريخ الإلحاد في الإسلام .القاهرة ١٩٤٥م

- الإنسان الكامل في الإسلام .وكالة المطبوعات .الكويت ١٩٧٦م ط٢

بركة " د.عبد الفتاح " :الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية .مجمع البحوث الإسلامية .القاهرة ١٩٧١م

البغدادي"الحافظ أبو بكر":تاريخ بغداد.المكتبة السلفية.المدينة المنورة ج٢

البغدادي " عبد القاهر" :الفرق بين الفرق .تحقيق محمد عثمـــان خشـــت .مكتبة ابن سينا .بيروت ١٩٧١م

البيهقي " أبو بكر " :شعب الإيمان .تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلـــول .دار الكتب العلمية .بيروت ١٤١٠هـــــ/١٩٩٠م
ط١ ج١،٢،٣ ،طبعة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ج١٠

- الاعتقاد على مذهـــب الســلف أهــل الســنة والجماعة .مطبعة السلام العالمية .القاهرة١٩٨٤م

التفتازاني " د.أبو الوفا " :ابن عطاء الله الســـكندري وتصوفـــه .مكتبـــة الأنجلو المصرية .القاهرة ١٩٦٩م ط٢

- الكتاب التذكاري .دار الهداية للطباعة والنشـــر .القاهرة ١٩٩٤م

التهانوي"محمد علاء الدين":كشاف اصطلاحات الفنون.استبول١٣١٧هـ

التويجري " حمود بن عبد الله " :تنبيه الإخوان على الأخطاء في مســألة خلق القرآن .دار اللواء للنشر والتوزيع .الريـــاض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ط١

الجاحظ " أبو عثمان بن بحر " :رسائل الجاحظ .تحقيـــق وشـــرح عبـــد الســـلام هـــارون .مكتبـــة الخـــانجي .القـــاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ط١

الجرجاني " أبو بكر " :الرسالة الشافية .تحقيق محمد خلف الله ،د.محمـــد زغلول سلام .دار المعـــارف .القـــاهرة .ذخـــائر العرب .العدد ١٦

الجرجاني " على بن محمد " :التعريفات . ضبط د.محمد عبـــد الحكيـــم القاضي.دار الكتاب المصري.القاهرة١٩٩١م ط١

الجزار " د.أحمد محمود " :الله والإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري .دار الثقافة للطباعة والنشر .القاهرة ١٩٩٠م ط١

– الولاية بين الجيلاني وابن تيمية .دار الثقافة الجديدة للطباعة والنشر .القاهرة ١٩٩٠م

الجزري " محمد بن يوسف " :النشر في القراءات العشر .تحقيق د.محمد سالم محيسن .مكتبة القاهرة .مصر ج١

الجويني " أبو المعالي " :الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد .مكتبة الخانجي .القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م

- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة .تحقيق د.فوقية حسين محمود . الدار المصرية للتأليف . القاهرة ١٩٦٥م

الجيلي " عبد الكريم " :الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٨١م ط٤

الحفناوي " د.محمد إبراهيم " :دراسات في القرآن الكريم .دار الحديث .القاهرة.

خشيم " علي فهمي " :الجبائيان :أبو علي وأبو هاشم ١٩٦٨م ط١

– النزعة العقلية في تفسير المعتزلة .طرابلس .ليبيا ١٩٧٠م

الخضري " محمد " :أصول الفقه.المطبعة التجارية .القاهرة ١٩٦٩م ط٦

الخطيب " عبد الكريم " :من قضايا القرآن الكريم .دار الفكر العربي .القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

خليفة " حاجي " :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .الهند

الخولي " أمين " :المجددون في الإسلام .ج۱ .

الخياط " أبو الحسين " :الانتصار والرد على ابـــن الراونـــدي الملحـــد .تحقيق نيبرج .مصر ١٩٢٥م ط۱ ،طبعة مكتبـــة الكليات الأزهرية .القاهرة ١٩٨٨م

الرازي " أبو بكر " :الرسائل الفلسفية .القاهرة ١٣٢٩هـ

الرازي " أبو الفضل " :فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تلاته وحملتـه .تحقيق د.عامر حســـن صـــبري .دار البشـــائر الإسلامية .بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ط۱

الرازي " فخر الدين " :اعتقادات فرق المســلمين والمشـــركين .تحقيـق محمد زينهم محمد عزب .مكتبة مدبولي .القـــاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ط۱

الرازي " محمد بن أبي بكر " :مختار الصحـــاح .دار الكتـــاب العربـــي .بيروت ١٩٦٧م ،طبعة الهيئة المصرية العامـــــة للكتاب .القاهرة .تصحيح محمود خاطر

الراغب الأصفهاني " الحسين بن محمد " :المفردات في غريب القـــرآن .إعداد محمد أحمد خلـــف الله .مكتبـــة الأنجلـــو المصرية .القاهرة ١٩٧٠م

الرافعي " مصطفى صادق " :إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .دار الكتاب العربي .بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ط٩

الراوي " د.عبد الستار " :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبـــد الجبار .المؤسسة العربيـــة للدراســـات والنشـــر .بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ط۱

الرماني " أبو الحسن علي بن عيسى " :النكت في إعجاز القرآن .مطبعة

الحلبي .القاهرة ١٩٦٨م
الزرقاني " محمد عبد العظيم " :مناهل العرفان في علوم القرآن .مطبعة الحلبي .القاهرة
الزركشي " محمد بهادر " :البرهان في علوم القرآن .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م ط٢
الزركلي " خير الدين " :الأعلام .ط٣ ج٤
زكريا " د.فؤاد " :التفكير العلمي .سلسلة عالم المعرفة .الكويت .العدد٣
الزملكاني " كمال الدين عبد الواحد " : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق د. خديجة الحديثي ، د. أحمد مطلوب . مطبعة العاني . بغداد ١٣٩٤هـ/١٩٧٤مط١
زينة " حسني " : العقل عند المعتزلة . تصور العقل عند القاضي عبد الجبار. دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٩٨٠م ط٢
السبكي " تاج الدين " :طبقات الشافعية الكبرى .دار المعرفة للطباعة والنشر .بيروت ج٢
السبكي " علي بن عبد الكافي " :الإبهاج في شرح المنهاج .دار الكتب العلمية .بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ط١ ج١
السرخسي " أبو بكر بن أحمد " :أصول السرخسي .تحقيق أبو الوفا الأفغاني .دار المعرفة .بيروت ج١
السكندري " ابن عطاء الله " :لطائف المنن .تحقيق د.عبد الحليم محمود .القاهرة.
سلطان " د.منير":إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة.منشأة المعارف

.الإسكندرية ١٩٧٧م
السيوطي " جلال الدين " :الإتقان في علوم القرآن .بهامشه إعجاز القرآن للباقلاني .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ط٣
الشرقاوي " د.حسن " :معجم ألفاظ الصوفية .القاهرة ١٩٨٧م ط١
الشهرستاني " أبو الفتح " :الملل والنحل .تحقيق محمد سيد كيلاني .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م
– نهاية الإقدام في علم الكلام .تصحيح الفريد جيوم
الشوكاني " محمد بن علي " :إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول .بهامشه شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي .دار الفكر .بيروت
– الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .تحقيق عبد الرحمن اليماني .دار الكتب العلمية .بيروت ١٣٧٩هـ
صبحي " د.أحمد محمود " :في علم الكلام .دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية لأصول الدين .مؤسسة الثقافة الجامعية .الإسكندرية ١٩٨٢م ط٢
الطبري " الإمام أبو جرير " :جامع البيان في تفسير القرآن .بهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان .لنظام الدين القمي النيسابوري .دار المعرفة .بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ج٣٠
– تاريخ الأمم والملوك .دار الفكر .بيروت

١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

- إختلاف الفقهاء .دار الكتب العلمية .بيروت

عبده " الإمام محمد ":رسالة التوحيد.دار المعارف .القاهرة ١٩٧٧م ط٥

العراقي " د.محمد عاطف " ثورة العقل في الفلسفة العربية . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٨م ط٤

- النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد . دار المعارف . القاهرة ١٩٨٤م ط٢

- أدلة وجود الله في الفكر الإسلامي . الكتاب التذكاري للدكتور عثمان أمين . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٧٩م

- مذاهب فلاسفة المشرق . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٦م ط٥

عمارة " د.محمد " : رسائل العدل والتوحيد . دار الهلال . القاهرة ١٩٧١م ط١

-المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية . المؤسسة العربية للنشر . بيروت ١٩٧٢م ط١

الغرابي " د.علي مصطفى " : تاريخ الفرق الإسلامية . مطبعة صبيح . القاهرة ١٩٥٨م ط٢

الفارابي " أبو نصر " : آراء أهل المدينة الفاضلة . تصحيح عبد الوصيف محمد القوني . مطبعة الحسين التجارية . القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م ط٢

القاسمي " جمال الدين ":تاريخ الجهمية والمعتزلة . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ط١

القطان " مناع " : مباحث في علوم القرآن . مكتبة المعارف . الريـــاض ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ط١

قطب "سيد " : التصوير الفني في القـــرآن . دار المعـــارف . القـــاهرة ١٩٦٦م

القفطي " جمال الدين " : أنباه الرواة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتب . القاهرة ١٩٥٢م

القمحاوي " محمد صادق " : البرهان في تجويد القرآن . مكتبة الصحابـة . جدة ١٤١٤هـ١٩٩٣م ط١

كحالة " عمر رضا " : معجم المؤلفين . مكتبة المثنى . بغداد

- أعلام النساء في عالمي العـــرب والإســـلام . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٧٧م ط٣ ج٣

الكعبي " عبد الله بن أحمد " : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة . تحقيـق فؤاد ســيد . الـــدار التونســية للنشـــر . تونـــس ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م

الكلاباذي " أبو بكر " : التعرف لمذهب أهــــل التصـــوف . تحقيــق د. محمود أمين النواوي . مكتبة الكليات الأزهريـــة . القاهرة ١٩٨٠م ط٤

الماوردي " أبو الحسن علي " : أعلام النبوة . مراجعة طه عبد الـرءوف ســعد . مكتبـــة الكليـــات الأزهريـــة . القـــاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م

محمود "د.زكي نجيب " : المعقول واللامعقول في تراثنا الفكـــري . دار الشروق . القاهرة ١٩٧٨م ط٣

-تجديد الفكر العربي . دار الشـــروق . القـــاهرة ١٩٧٨م ط٥
- الجبر الذاتي . ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام . المؤسسة المصرية العامة للكتاب.القاهرة ١٩٧٣م
محمود " د. عبد الحليم " : التفكير الفلسفي في الإسلام .مكتبـة الأنجلـو المصرية . القاهرة ١٩٦٨ط٣
محيسن " د. محمد " : الهادي . شرح طيبة النشر في القراءات العشـر . دار الجيل . بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧ط١
مخلوف " عبد الرءوف " : الباقلاني وكتابه إعجـاز القـرآن . دراسـة تحليلية نقدية . دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٧٣م
مدكور "د.إبراهيم بيومي ": في الفلسفة الإسلامية . منهج وتطبيقـه . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٧م ط٣
مراد "د.سعيد ": مدرسة البصرة الاعتزالية . القاهرة ١٩٨٦م
- ابن متوية وآراؤه الكلامية والفلسفية . مخطـوط دكتوراه . آداب الزقازيق ١٩٨٦م
المسعودي " أبو الحسن " : مروج الذهب ومعـــادن الجوهـــر . تحقيـق محمد محي الدين عبـــد الحميـد . دار الفكـــر . بيروت ط٥ ج٣
المعري " أبو العلاء " : رسالة الغفران . دار صادر . بيروت
ميهوب " د. سيد عبد الستار " : أبو رشيد النيسابوري وآراؤه الكلاميـــة والفلسفية.مخطوط دكتوراه.آداب الزقازيق١٩٩٠م
- الولاية عند عبد الكريم الجيلـــي . دار الهدايـــة للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٤م ط١

- الإلهيات عند ناصر الديـــن البيضـــاوي . دار الهداية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٤م ط١
نادر "د. البير نصري" : فلسفة المعتزلة . مصر ١٩٥٠م ط١
النشار " د. علي سامي " : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام .دار المعارف .القاهرة ١٩٨١م ط٨ ج١
نوفل " عبد الرازق " :محمد رسولا ونبيا .القاهرة ١٩٦١م ط١
النيسابوري " أبو رشيد سعيد " :المسائل في الخـــلاف بيـــن البصرييـــن والبغداديين .تحقيق د.معن زيـــادة .دار الاتحـــاد .بغداد ١٩٧٩م
- ديوان الأصول .تحقيق د.محمد عبد الهادي أبو ريدة .دار الكتب .مصر ١٩٦٩م
النيسابوري " الحافظ أبو عبد الله محمد " الحـــاكم "" :المســـتدرك علـــى الصحيحين في الحديث .بذيله تلخيص المســـتدرك للذهبي .دار الفكر.بيروت ١٣٩٣هـ ج٢،٣
الهروي " أبو عبيد الله القاسم " :فضائل القرآن .تحقيق مـــروان عطيـــة ،محسن خرابة ،وفاء تقي الدين .دار ابـــن كثـــير .دمشق ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ط١
الهندي " علاء الدين بن المتقي " :كنز العمال في سنن الأفعال والأقـــوال .مؤسسة الرسالة .بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ج١ ،٢، ١٠ ،طبعـــة مؤسســـة الرســـالة .بـــــيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م تحقيق الشيخ بكري حياني

رابعا : المصادر والمراجع المترجمة :

أرنولد " توماس " :الدعوة إلى الإسلام .ترجمة د.حسن ابراهيم حسن .مكتبة النهضة .القاهرة ١٩٧٦م ط٣

أوليري"دي لاسي ":الفكر العربي ومكانته في التاريخ.ترجمة تمام حسان .الهيئة المصرية العامة للكتاب .القاهرة ١٩٦١م

جب " هاملتون " :دراسات في حضارة الإسلام .ترجمة د.إحسان عباس ،د.محمد نجم زايد .بيروت ١٩٦٤م

لوبون " جوستاف " :حضارة العرب .ترجمة عادل زعيتر .مطبعة الحلبي .القاهرة

خامسا : المصادر والمراجع غير العربية :

ARBERRY " P " :Sufism on account of the Mystik of Islam. London 1950

BREHIER " E " :Historie de la philosophie

BOHMAN " FAZLAR " :Islam .London 1950

WAAT " M " :Free will and predestination in early Islam .Lodon 1947



الفهرست